

إهداء

إلى عشائر الجان كافة وإلى الإنس الذين تخطوا حدود الزامكان، أهدي إليكم سطور هذا العمل وما فيه من حقائق فما هي إلا نتاج بحثنا جميعًا بل والتطرق إلى غياهب الدهر حيث الزوال.

تنويه:

سطور هذا العمل هي وقائع حدثت ما قبل حياة البشر على تلك الأراضي وما بعد الطوفان العظيم، لذلك ستشهد عيناك العجب وتعرف عن عوالم لا قبّل لك بها فإن أصابك الذعر أو هاجمتك الهمسات فتوقف عن القراءة بُرهةً من الوقت ريثما يُغادرون...

البداية والنهاية

الأول من كانون الثاني عام 2024م... الجزائر

ليلةً ضبابية لا تكاد تلمح على إثرها الهلال البازغ في السماء رُبَّما لكثرة الغيوم والتي تُعلِن
بنفسِ أبية سطوتها على المُحيط الكامل أسفلها عبر ظاهرتيها المتمثلتين في البرق الذي يصعق
قرنية العين والرعد بصوته الفَتَّاك الذي ازدان بأصواتٍ أخرى تشق طريقها عبر رمال
الصحراء.

شاب طويل الهيئة، عريض المنكبين ليس بالسمين أو النحيف يتدَثَّر بعباءةٍ سوداء لا يبرز منها
سوى راحة يديه وتلك الساعة غريبة الشكل، جلدها يلتف على يديه كأنَّها ثعبان وعدستها دائرة
تميل إلى البيضاوية قليلاً، لا عقارب أسفلها بل أرقامٌ وحروف غامضة!!!

يزيح القدم تلو الأخرى على رمال صحراءٍ جرداء وهو يميل برأسه يميناً ويساراً ليُحدد
وجهته القادمة، الطقس يزيد الأمور سوءاً فالمطر قد بدأ في الهطول عبر خطوطٍ ضعيفة من
المياه ليخلق كتلة طينية أسفل قدم الغريب السائر، ليست هيأته فقط ما قد تتعجب لها بل الكتل
التي تعنلي الرمال، على جانبيه تتواجد العديد من الصخور التي ازدان سطحها برسومات تبرز
منها، كائنات لا عهد لنا بها وطقوس تتحدث عن حروبٍ سابقة وأرواح تُحلق في السماء!

وصل الشاب إلى منعطف طرق ما بين صخورٍ وصخور وهنا زوى جذعه وسقط بغية
التماس الوصول إلى أسفل منحدرٍ رملي وبعد اجتيازه وقف جامداً، هل تاه الغريب أم أنه ما
زال يبحث عن ضالته؟

راحة يديه كانت وسيلته لعلق الطريق على طبلة أذنيه من ذلك الطنين المزعج، برغم علو
صوته إلا أنني استمع إلى أصواتٍ أخرى تتداخل معه، لغة بعيدة عن العربية وهمسات تقذف
في القلب خوفاً وقلقاً، لم يبذُ على الشاب التأثر أو القلق بل أكمل طريقه بعدما سكنت
الأصوات... دفع قدميه مُستزيداً من سرعته تحت كثافة المطر، وعلى مرمى بصره رأى
مجموعة من الصخور مُتباينة الأشكال والتي شكَّلت بوتقة دائرية الحجم وفي منتصفها
صخرتان كبيرتان الحجم قد نُصبا بشكلٍ رأسي وما عليهما لا أقدر على وصفه، لا بل لأكون
أكثر دقة لا أريد وصفه أبداً، هل سأخاف الآن أم أن الرحلة بحق مرعبة ولكن... المكان

الذي خطا عليه الشاب بدا مثل غرفة صغيرة مُنعزلة على نفسها وسط الرمال الشاسعة وتمثّل لي ذلك في كثافة ضغط الهواء بتلك البقعة واختلافه عن خارجها كأنّما يستمد طاقته من بؤرةٍ ما لا أستطيع رصدها أو الجزم بها، سار الشاب بضعة خطوات ثمّ توقّف في منتصف الصخرتين ليزيح عن رأسه الغطاء لأرى بشرته القمحاوية وعيناه بُنيّتي اللون، تقاسيم وجهه حادة للغاية، أنفه دقيقة وأعلى جانب وجهه الأيسر رسمة غريبة الأطوار تتألف من دائرة تميل إلى البيضاوية قليلاً يتخللها بعض الكتابات والتي لا تنتمي بطبيعة الحال إلى أي لغة مُعاصرة وخطوط مُتصلة في المنتصف ومُتداخلة مع بعضها البعض لُتُعطى مُربعات دقيقة الحجم تحوي داخلها رموزًا مُتباينة، صاح الشاب بصوتٍ هادر:

- ها قد آتيت، فلتكشف عن نفسك الآن يا مُعمر الأراضين.

ثوانٍ من الصمت القاتل تبعها هزةٌ خفية ارتعش لها الجسم ثم ومع ازدياد صوت الرعد انفجرت كُتلةٌ ما على الرمال بموازاة الصخرتين فأدار الغريب وجهه نحوها وقد تتعجب من ذلك، أقسم بأنني أراه مبتسمًا وإن لم تبرز أسنانه عن فيه، تقدّم بخطى ثابتة ناحية مكان الانفجار وهنا ظهر من العدم جلد قاتم اللون تعدّى سواده غبشة الليل الحالك ويا الله ماذا أبصر الآن!! إنها عينٌ واحدة دون عدسة تتوسطها بل لونٌ واحدٌ طغى على مظهرها ومع ذلك التشكل المُرعب جلس الغريب على الرمال وتحديدًا أسفل إحدى الصخرتين التي امتلكت رأسًا أفقية حمت جسمه ولو جزأياً من انهمار المياه أعلاه، نظر إلى العين مُتأهبًا:

- علمتُ أنّ هذه البقعة مصدر انبعائك لما تحويه رمالها من ذرّات ذات طاقة مُغايرة عمّا حولنا، وهذان التمثالان يُمثلان وبكل تأكيد أبوين الجان على الأرض، على ما يبدو ليس أماننا الكثير من الوقت قبل وصوله إلينا لذا لتبدأ الرحلة سريعًا وكلي آذانٌ صاغية.

هنا جحظت تلك العين ومعها سمعتُ صوتًا غليظًا أصابني بالإعياء من رهبته، صوتًا هادرًا تحدّث:

- أرى حرص إكمالك للشروط وقد وضعت على وجهك الهيكل المُلائم لاستقبال طاقة الرمال بتلك المنطقة، ظننت بأنك قد تضيع بداخل ذلك المعلم الغامض، تجاربك السابقة خلقت منك إنسانًا أقرب إلى الجان يا

وقبل أن يلفظ اسمه أوقفه قائلاً:

- لا تنطق اسمي الآن فقد يكون عدوُّنا على مقربةٍ منّا ويهتدي به إلينا فعلى ما يبدو الغيلان تنرصد بكثرةٍ هنا.

ساد الصمت لحظاتٍ أُخرى ثمَّ شرعت العين في الحديث وهي تُخبر الغريب أنّ هذه البقعة
ومند آلاف السنوات كانت كهفًا صغيرًا حوى داخله أسرارًا عظيمة الشأن ومع تتابع الأجيال لم
يبقَ منه سوى الصخور المتقطعة والتي تحمل بقاياها وهذين التمثالين وهما مركز الطاقة أو
بالأحرى البؤرة التي ومن خلالها سيقوم بتفعيل طاقة الرمال المُحيطة والشروع في بدء الرحلة
التي سيجني خلالها المعرفة الأشمل للكون وقد تتوقف إن شعرت بالخطر فقد تنضب روحه
جرّاء ذلك، هنا أوما الشاب برأسه وقد استعدّ سلفًا لمخاطر ما هو قادمٌ إليه، أخذ يتحسس
الدائرة التي تعتلي وجهه بحرص وهو يُمرّر أصابعه على رموزها الواحد تلو الآخر، مُدّد
جسمه الطويل على الرمال بشكلٍ أفقي مُغمضًا عينيه ومعها اختفت العين المُصاحبة له لتشرع
في تحويل طاقة الرمال صوب كاهله لينتفض بأكمّله وقد بصرتُ الدائرة أعلى وجهه وهي تُنير
كناية عن استقبال التيارات المنبعثة ليغط في سُباتٍ عميق ومعه أنا بكل تأكيد، أغوص في
ظلمات عقله رفقة العين التي تترقبه بسطوتها لتبدأ الرحلة الأخطر...

الفصل الأول

ما قبل البشر

أطفو الآن داخل أعماق الشاب الغامض، أراه يسير فوق سائل من الظلمة والعين بجواره قد صاحبت صوتها الصدى وهي تقول:

- سأتلو رحلتنا عبر الرؤية وستسمع صوتي وسط المشاهد والانتقال.

هنا تبدد السواد القاتم ليحل محله أرض تُشبه أرضنا تلك، سماء تُشبه سماءنا تلك وحيوات لا تُشبه أبدًا حيواتنا الحالية.. أشهد أمامي عددًا غفيرًا من الأرواح لا أقدر على وصف هيئتها فقط ألوانها تتباين بين السواد والحُمْرة، قرون بارزة من بعضهم وأجساد هلامية بعض الشيء، يقطعون مسافات هائلة في لحظات وأعينهم توحى بالظلمة ولكن مهلاً ماذا يحدث هنا، مئات الآلاف، لا بل مئات الملايين من الجثث الملقاة على سطح الأرض الذي انغمس بالدماء القاتمة، أعجزت الرمال عن امتصاصها أم أنّ غزارتها هي السبب لذلك؟!

صاحبت الغريب في رحلته التي شرعت بها العين لنرى سويًا خمس ممالك عظيمة، على رأس كلٍ منها ملك جسده هو الأضخم على الإطلاق وجميعهم ارتدى تيجان من معادن نفيسة يغلب عليها اللون الأصفر، جحافل من الجنود يتحركون، وقتال أبدي يبدو أنّه لن يتوقف وفي خضمه أشهد الحيوانات في ذعرٍ وكربٍ شديدين، عبر ملاحظة أعينهم تيقنت بأنهم لا يرون تلك الحرب الضارية إنّما تهتز لها أبدانهم وقد تُصاب جماعةٌ منهم بأذى، الجمار الأبيض بعيدًا أشهد على مُقلة عينيه الرعب وأجزم بأنّه يبكي الآن وعلى غرار البقية يرى ويسمع، وعلى أعالي الجبال أنظر صوب حيواتٍ أخرى تعيش في قبائل سويًا تنتظر إلى الأسفل وتريد الهجوم غير قادرة سوى على العواء والحرب الضارية قائمة، لا بشر هنا بل الجان!! نعم فما أقوله هو الحقيقة، هنا سمعت العين بصوتها الهادر:

- حرب الجان العُظمى، الحرب التي أطاحت بالقاصي والداني فلم يسلم منها أحد حتّى أتى هجوم الملائكة...

نظرنا إلى الأعلى فلم تقدر أعيننا سوى على إدراك تلك الأجنحة ضخمة الحجم والتي امتلأت بها السماء، بصرتهم وهم يهجمون على الممالك وحيواتها بعدما هبطوا من السماء بأمرٍ إلهي مباشر، أخذوا يتناوبون فيما بينهم لمسح كافة البقاع وقد بلغت سرعتهم أقصاها فلا مفر من التعرض لبطشهم وجرّاء ذلك أخذت جحافل الجان تهرب إلى أعالي الجبال حيث حيوات

أخرى ما زالت تصدر العواء وتترصد لمجيء هؤلاء فتفتك بهم!! البعض هرب إلى المحيطات والبحار في ثوانٍ معدودات ليغوص على مسافة كيلومترات مُلتمسًا بذلك القاع الأبدي، والآخر عَلمَ بأنَّ الأرض لم تعد موطنهم فطار أعلى السماء مُخترقًا بذلك الغلاف الجوي للأرض وتبقت مجموعة اختبأت خلف تماثيل وحضارة لم أرَ مثلها في البلاد... الملائكة تُطهر الأرض ممَّا أصابها...

بما حدث أماننا أذعن بأنَّ الحرب العُظمى للجان أوشكت على النهاية دون أن ينتصر طرفٌ على الآخر فالملائكة قضت على الفاسدين وأعطت الإشارة وعبر أمر ربها ببدء دورة حياة مليئة بالأحداث حيث لا دماء أخرى، بعد الانتهاء تسابقت الملائكة في مُغادرة الأرض وحينها شهد مَلَكٌ قبل عروجه إلى السماء طفلًا صغيرًا من الجان يبكي وهو يقول بأنه لم يُرد تلك الحرب وأسهب في الدعاء والتضرع لله، أراد السلام فقط فلم يكن من ذلك الملك ” الطائر سوى فعلةٍ عجيبة وهي أخذه معهم إلى السماء!!! صعد الرفيقان ولم نتبين بعد كُنية الجان الصغير ولم نُخبرنا العين باسمه.

قبل الخوض في الأحداث القادمة سمعنا العين وهي تتلو:

- سبق حرب الجان العُظمى بوقتٍ مديدٍ بل وقبل أكثر من 3000 عام من خلق البشر!! ظهر في تلك الحقبة مخلوق جديد على الأرض، عظيمُ الخَلقة شديد البأس وهو الكائن الأول على وجه البسيطة الذي امتلك العقل بل واتَّخذ القرارات بإرادته الكاملة، ذلك المخلوق هو (سوميا) أبو الجان...

ساد الصمت لحظات لتُكْمِل مُتحدثة عن شيءٍ آخر:

- قبل خلق سوميا قيل بأنَّ الأرض حينها سكنها مخلوقات بشعة الهيئة وحشية الخصال تُدعى (الحن والبن)

وهنا انتفض جسم الغريب الحقيقي في العالم الواقعي فقد شعرتُ بوخزات فهل هي عائدة إلى الأمطار!! لحظات وبدأت تسرد لنا العين عن مخلوقات غير عاقلة شديدة البأس والضراوة، ذكرها التاريخ والمدونون بأنَّها جاءت بعد قرونٍ مديدة من اعتلاء الديناصورات وغيرها من الحيوانات ضخمة الجثث سطح الأرض، امتلكت أجسامًا شبيهة للبشر إلى حدٍ كبير في أطوالها، مع اختلاف بعض الصفات مثل الرؤوس كبيرة الحجم والتي لا تتَّسق مع أجسامها، أظافر دقيقة حادة للغاية وكأنَّها الكائنات التي تعوي، شعر رأسهم كأنَّه دوائر متفرقة وأعينهم اكتست

بذلك الشريط الدموي في المنتصف، أضافت بأن جزءًا منهم امتلك جسم حيوان ورأس إنسان وبسبب ذلك كرس البعض حيواتهم للبحث عن هؤلاء القوم فظهرت مصطلحات تطور الحن والبن من كائنات بدائية إلى أجساد قوية للغاية تفتك عن طريقها بسائر الحيوانات في ذلك الوقت فكان البن هو الشكل البدائي والحن هو نتاج التطور، عاثوا في الأرض الفساد وقضوا على الأخضر واليابس ولم يسلم أي حيوان أو نبات منهم.

ولأول مرة أسمع صوت العين وهي تضحك بشراة وهي تُخبرنا عن وجود بعض الكتب المذكور عبر سطورها بأن الله خلق الجان ليخلص الأرض من خطر الحن والبن وكان لدعاء سوميا بالقوى الوسيلة في ذلك الفتك بهم... ساد الصمت بُرهة من الوقت ليزار صوت العين الذي أصابني بالقشعريرة ولم يهتز له الغريب، حينها أردفت:

- كيف يُصدق البشر ثر هات الحن والبن هؤلاء فلم يذكر أبونا سوميا أي شيء عنهم ولم نعهد نحن الملوك حربًا ضدهم أبدًا، وجميع المؤرخين الذين ذكروهم رواياتهم تفتقد للصحة وإن استشهد البعض بابين كثير عالمكم الجليل في هذا الصدد فما ذكره هو جملة واحدة عنهم ولم يستطرد حيث سرد: "خُلفت الجن قبل آدم عليه السلام، وكان قبلهم في الأرض الجن والبن فسلب الله الجن عليهم فقتلهم وأجلوهم عنها وأبادوهم عنها" .. جملة واحدة فنسبوا جميع القصص إليه واستطردوا في الروايات عنهم ويا لكم من غافلين فالحقيقة والحرب والدماء بدأت فقط عند خلقنا نحن، نحن معشر الجان الأكبر ولبئس ذلك الاكتشاف الذي أعاد البحث في حقيقة هؤلاء القوم فيا... .

توقفت العين قبل ذكر اسم الشاب للخطر المُحدق لتلك الفعلة وباتت تجوب الأرجاء، استعادت وعيها وهي تُكمل قائلة عن اكتشاف عام 1994م وقُرب إحدى بُحيرات أتيوبيا تم العثور على جمجمتين كِبار الحجم عن المعتاد ففي بادئ الأمر اعتقد العلماء كونها تابعة للبشر رغم غرابتها ولكن ومع فحصها بالكربون المشع تبينوا بأن تاريخها يعود إلى أكثر من 2 مليون سنة!! بجانب اكتشاف مجموعة من الكهوف تكوين صخورها يحوي مادة فريدة من نوعها ألا وهي "بيكربونات الكالسيوم" وهي مادة قديمة للغاية تتجاوز آلاف السنين وأعتقد بأن تلك الكهوف استخدمتها قبائل للهرب من خطرٍ مُحدقٍ وذهب الاعتقاد للحن والبن أيضًا!!!

أسهبت العين في كلماتها الساخرة لتلفظ:

- تلك الكهوف عائدة لنا ولكم وقلنا حلت الحروب والدمار بالأرض..

” هنا توقفت العين عن الحديث وارتسمت أمام أعيننا لوحةً أخرى، ولكن تلك المرة التمس قلبي الطمأنينة لها فقد كانت آية من القرآن الكريم: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَنْجَعُلْ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ
قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠))

عادت العين لتوضح:

- هذه الآية فسرها البعض بأنها عائدة على قوم الحن والبن فكيف ذلك والله هنا يذكرنا نحن معشر الجان فالملائكة قد رأوا بأم أعينهم ما فعلناه بتلك الأرض، وكيف كانت الدماء قابضة تأبى الامتصاص أو الجفاف وحينها توقعوا ومع قول الله كلمة: "خليفة" والتي تعني خلف على الأرض جيل وراء جيل وعبر سنينٍ مديدة بأنه مثلنا نحن سيعيثُ فساداً في الأرض فكان سؤالاً منهم لا استنكار أو تطاول والله الحكمة والعزة وبالطبع ورغم حروب البشر عبر قرون لم يصلوا لما فعلناه نحن بل وقد خرج فيكم الرسل، الأولياء، الصالحون والمؤمنون الزاهدون في عبادة الله فلا يغرنكم بنس الخصال فأنتم خليفة الله في أرضه...

استراحت العين قليلاً ومعها تيقن الغريب بأن الحن والبن قومٌ لا أصل لهم وإنما كلمات متفرقة ربما تعود لأقوامٍ غيرهم أو حيوانات شُبِّهت للمؤرخين بأقوام ونفاصيل لا صحة لها.. حتى قصة الدماء، نحن البشر خلقنا من طين ولكن ومع التشكل الأخير للبشر صار داخلنا سائل أحمر داكن هو سبيلنا للعيش فكيف نُنكر على الجان خلقهم الناري وكون لهم دماء في التشكيل الأخير لهم!

على مرمى بصري رأيتُ كاهل الشاب ينتفض جرّاء تحرك الصخور المُحيطة بجسمه في العالم الحقيقي والتي تستمر في كونها مصدر انعكاس موجات من الطاقة صوب جسمه هي الأساس للرؤى التي سيتعرض لها وهو ما أوضحتها العين وأثناء ذلك عادت مرةً أخرى لتُكَمِّل ما بدأته عن سوميا:

- كثرت الأقاويل على أن الجان تم خلقهم من أجل مُحاربة تلك الأشياء وهذا قول ضعيف، خلق الله الجان من نارٍ من نارٍ والمارج هو لهيب النار الأصفر والمُتسبب في انتشارها عبر الأسطح، أول المخلوقات هو سوميا كما ذكرت وهو كما أبوكم آدم أُطلق عليه أبو الجان، مخلوقٌ عظيمٌ بحق ضخم البنية وأول من امتلك العقل والتخبير على تلك الأراضي، وبعدما نظر سوميا إلى ذلك الفضاء البعيد وعرف بأنه عبد لإله قوي منفرد بالإلهية والربانية، أخذ يتفكر في خلقه وكيف هم مُتباينون ما بين الضعيف والقوي، البطيء والسريع، الضخم والقزم، وفي تلك اللحظة دعا سوميا ربه بأن يهب له خصالاً وقدرات خاصة له ولنسله بعدما أذن له الله بالتمني فقال: "أتمنى أن نرى ولا تُرى، أن نغيب في الثرى وأن يصير كهلنا شاباً".

بدا على العين الانغماس في غياهب تلك الكلمات السحيقة وكيف كان وقعها مصيرياً على نسلهم أجمعين لتعود وتُكَمِّل قائلة:

- كان لسوميا أبو الجان نظرةً مستقبلية بل قل بصيرة ليحفظ بني جنسه من عنفوان الأرض وشتى البقاع فكان له ما أراد، صار مختفٍ عن الأبصار ويستطيع طي الأرض ورمالها في لحظات وأيضاً رزق الله الجان بالعُمر المديد وها أنا خير مثال فقد حضرت حرب الجان العُظمى، وما زلت قيد الحياة ولعلَّ النهاية باتت وشيكة...

هنا جاء تساؤل من الشاب:

- هل الجان يلد أم يبيض؟

ما هذا السؤال الأحمق!! كيف يُمكن أن يتفوه به من الأصل، ولكن ما أدهشني هو غضب العين لتُكَمِّل القصة وهي تُخبرنا:

- أعلم جيداً أنّك سمعت الأقاويل من بعض علمائكم عن أنّ أجدنا والملعون فينا قد خلق له الله له في فخذة اليمنى ذكراً وفي اليسرى فرجاً فنكح نفسه وباض عشرات البيضات ليُخرجوا له آلاف بل ملايين الشياطين، ولكن هذا ليس بصحيح فنحن مثلكم جننا من ذرية ” سوميا أبينا وجميعنا نلد كما البشر.

توقف الصوت بُرهةً من الوقت ريثما تُهَيأ لنا العين الأحداث القادمة والأرواح التي تعيش أعالي السماء وخلالها تساءلت عن الروح وهل هُنالك بحق ما يُدعى حياة البرزخ؟! انتبه الغريب لذلك السؤال المُباغت وهو إشارة فقد حان ميعاد حديثه ليُجيب:

- نعم... حياة البرزخ ذلك المصطلح الذي ولطالما أصابني بالذعر فما هي تلك الحياة التي تسبق يوم البعث وتتلو حياة الدنيا، أتعلم؟ لقد بحثت عنكم أيضاً وإليك ما ظفرت به.

- حياة البرزخ!!! مُصطلح عجيب فهل يكون لنا عيشٌ في قبورنا بشكلٍ يُقارب حياتنا تلك والإجابة أكثر عجباً، رحلتنا الحقيقية نحو الصراط تبدأ بخروج الروح التي لا نعلم كينونتها سوى أنّها جزء من نفخ الإله، ولكن وفي النزاع الأخير يصير البصر كما الحديد قوي شديد البأس قد نُزِع عنه الغشاشة التي تحجب عنّا العالم الموازي الذي تقطنون فيه وأيضاً الملائكة وهم ينزلون، وبتلك الشاكلة يُبصر الفقيد ملك الموت وهو يقبض روحه بعد نزاع ليُسلمها إلى ملائكة آخرين وعلى الفور يهرعون بها صوب السماء الدنيا وتبدأ أولى الاختبارات، كما

ذكرت سرعة الصعود تكون أسرع من تلك التي نحن بها بكثير، قد يقتضي الأمر ثواني معدودات حيث يندم الزمان والمكان، إن كانت روح الفقيده طيبة تُفتح لها أبواب السماء وبيتها الملائكة بالأعلى بها ليأخذها بعد ذلك صحبتها من الملائكة نحو المثلوى التالي؛ ألا وهو القبر والأمر ليس كما يعتقد الكثيرون، فالقبر ليس المكان الذي ينام فيه الجسم بل هو أي مكان فُقدت فيه الروح فهناك أرواح غرقت أو أحرقت وقبورها حيث محلها لم أتوصل بعد إلى الخبر اليقين ولكن الجميع يقع تحت طائلة ذلك الاختبار وإن كانت الروح فاسدة مُظلمة لوثتها أعمالها فيبتئس لها الملائكة بالأعلى ويغضب منها صحبتها من الملائكة وتُغلق أمامها أبواب السماء...

هنا ضحك الغريب قائلاً:

- الثعبان الأقرع... الثعبان الأقرع، لطالما وأنا صغير خفت ذلك الكائن العملاق والذي سمعت بأنه وبرأسه يضرب أرواحنا فتهبط متهشمة لترتطم بالأرض فتصعد مرةً أخرى ويضربها تواليًا سبع مرّات، قصص ابتدعها بعض السلف فصارت حقيقة كما أمنا الغولة ولكن لا وجود لذلك الكائن الأسطوري أبدًا بل إغلاق وغضب ملائكة ثم نزول حيث الحساب الأول والاختبار الثاني والأصعب..

هنا تنهّد البشري وهو يُخبرنا:

- آخر حاسة يفقدها الميت هي أذنه، وبذلك فهو يسمع الدعاء ووقع الخطوات مُغادرة إياه بعد الدفن ويعلم حينها بأنه قادمٌ للسؤال، والآن ولكون ذلك الكيان خاصًا بي فما رأيك أن أنقلك لتلك الأحداث فتراها بأمر عينيك، لا بل أقصد فتراها بعينك الواحدة..

صدر صوتٌ من اللامكان لأشعر معه بدخول عالمٍ آخر، الظلمة طاغية وهنا عرفت أين انتقلنا، نحن نقبع داخل القبر!، جسم قصير بدين الهيئة، أصلع فلا تشهد منه شعرةً واحدة أبصره مُمددًا وعلى ما يبدو بدأ يستيقظ رويدًا رويدًا، وكما توقعت أُصيب بالصرع والخوف، نظر يمينًا ويسارًا في تلك الظلمة المهلكة وقلبه وبكل تأكيد يرتجف ولكن ما هذا؟!!!

رجلٌ أبيض اللون جميل المحيا يقترب منه رويدًا، رائحته زكية بالفعل وبمجرد رؤيته من طرف الرجل هدأت نفسه واطمأنت جوارحه، إنّه يربت على كتفه ويطمئنّه وعلى ما يبدو يُمهّده لشيءٍ قادم!، لحظات حتّى أبصرنا شعلتين مُضيئتين يتوهجان أمامه فيقوم على إثرهما فرغًا، ملكان لا أرى ملامحهما، ولكن أعرف بأنهما ملكان من حديث الشاب يققان أمامه ويسألان: "من ربك؟ ما دينك. وما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟

بالطبع وفي تلك الحال سيُعين الله رجل القبر للإجابة أمّا إن كان الشخص فاسدًا، ظالمًا، أو مشرّكًا بالله عزّ وجلّ سيأتيه عمله السيئ في صورة موحشة للغاية تزيد من قبضة قلبه وعند سؤاله من قبل الملكين سيتلعثم، ولن يقدر على الرد وإن علّم الإجابة...

داخل القبر يرى النوعان متهيما فالصالح يرى مقعده داخل الجنة ويشم ريحها ويُريد أن يُعجل الله بالساعة وعلى النقيض الكافر الظالم يود لو يرجع أو يظل هكذا للأبد...

أخبرنا البشري أنّ الأموات حديثًا آخر حاسة يفقدونها هي السمع ولذلك فهم يسمعون خطواتنا ودعاءنا، حديثنا عنهم ورحيلنا بكل تأكيد وهناك موقف شهير عن ذلك يعود إلى عصر الرسول صلّى الله عليه وسلم بعد انتصار ”المسلمين في غزوة بدر ومقتل المشركين فقال مخاطبًا جُنث الكافرين، لقد وجدتُ ما وعدني ربي حقًا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ وهنا حتى الصحابة اندهشوا أيحدث الرسول أجسامًا بلا روح فقال لهم إنهم يستمعون إلى كلامه أكثر وضوحًا منهم.

بدت العين شديدة الاهتمام بما تسمع لينقطع الحديث وأشار المُلثم نحو المشهد والعصر الذي نحن داخله الآن وقال:

- هذا أحد أهم مواقف البرزخ.

على مرأى أبصارنا رجلٌ مهندس عريض المنكبين، يرتدي جلبابًا مُطرزًا وبجواره أحدهم يقول له: ”يا أمير المؤمنين (سفيان الثوري) ما حاجتك في زيارة المقابر اليوم بل وكل جمعة” لم يأبه الحاكم لحديثه وأزاح القدم تلو الأخرى صوب الأموات، وقف معتدلاً ورفع يديه ثم قال: ”السلام عليكم يا أهل القبور أنس الله وحشتكم وكان معكم في غربتكم وتقبّل من مُحسنكم وتجاوز عن مُسيئكم” ليُنزلها بعد ذلك وعلى وجهه لمحات التأثر والورع.

انتقلنا إلى مضجعه ومعها شهدنا هذا الرجل مريضًا قعيدَ الفراش ومن حديث الأطباء جواره قد مكث على تلك الحال شهرًا كاملًا وأنت غبشة الليل ومعها غطّ سُفيان في نوم عميق وهنا شعرتُ بالحركة القادمة فقد باتت عادة، بأقصى سرعة ممكنة سُحبنا داخل عقله لنشهد رؤية مفادها.

عددٌ غفير من الأرواح تقف في تساوي أمام عيني سفيان الجاحظتين، يقتربون منه وقلبه يخفق، المُخيف في الأمر أنّ تلك الأرواح كانت تجر أكفانها من خلفها وفي صوتٍ واحد أسمعوه عتابًا رقيقًا: ”يا سُفيان لمحرمتنا من رؤيتك كُنّا نستأنس بك”.. استيقظ سفيان فزعًا، وما هي إلا أيامًا معدودات حتّى استرد عافيته ولم يبرح عادته أبدًا...

خرجنا من الترقب على صوت الغريب يُخبرنا بأن البرزخ حياة وسطية ما بين الخالدة والدُّنيا والمتوفى لا تنقطع جباله وبشكل تام عن أقاربه من أهل الدنيا بل قد يأذن الله له في مواضع فيشعر بهم وبما يمرون به من أهوال أو مواقف حسنة تخص الدين والورع والرؤى التي نتعرض لها عن أمواتنا كثيرة ومُتباينة ولا يُنكرها عاقل.

حياة البرزخ لا تعني وحدة أبدية؛ ففيها الأرواح الصالحة تلتقي مع بعضها البعض، بل إن أي روح جديدة تأتي لهم يتم سؤالها عن أهل الدنيا وفُلان بن فُلان وغيره وإن سألوه عن اسم شخص ما وقال قد توفى فيندهشون أنهم ما رأوه، وهنا تنطق أرواح العلماء الصالحين بأن أمه هاوية!!! أعود بالله، أي إن روحه ذهب إلى الهاوية فنعم الأرواح الطيبة الصالحة تنعم بصُحبة وسَماع ذوي القُربى، لذلك مُستحب أن نزر أقباءنا ونواظب على الدعاء لهم فوالله هذا الأمر لعظيم...

“ للجان أيضًا حياة برزخ فلا تظن أننا وحدنا من نُلاقي ذلك إن أفسدنا في الأرض.”

ارتعدت العين بعد تلك الجملة التي سمعتها من فيه البشري وعمّ الصمت وقتًا مديدًا والذي كان كافيًا لتخلصها من تلك الرهبة والعودة إلى رشدها من جديد؛ فقد انتهت من تحضير جُلّ الأحداث وماهية ما حدث فوق السماوات، ومعها جاء صوت العين مهتزًا:

- يجب إكمال ما بدأنا حتّى نعود إلى أصل الحكاية..

أظن أنّها لم تتخلص بعد من تأثير كلمات البشري عن حياة البرزخ الخاصة بالجان ولذلك مغزى فقد تكون صاحبة ذنوبٍ عظيمة عبر ماضيها السحيق، ما أخرجني من التفكير المطلق في تلك الحياة هو صوت العين مُجددًا:

- في البداية وعبر سنين مديدة عاش الجان في رغد تحت رعاية الله وعبادته الخالصة، كانوا أقوى الأقوام ولهم من الرزق ما ليس لغيرهم فأكرمهم الله بكل شيء، وكانوا أول مخلوقات عاقلة وتحت أنظار الملائكة، تعلّموا العبادات وغيرها من الأمور التي تُرضي الله وتكاثرت ذريّاتهم بنحو أكثر سطوة ممّا حدث مع البشر، عمّروا الأرض بعد سنين قليلة وكان لهم المُلك والحكمة ولكن دوام الحال من المُحال، بعد وفاة سوميا ومجيء أجيال جديدة عقب جيل الصالحين، ظهر الفساد في البر والبحر، كما حدث مع أقوامكم وتمائيل ود، سواع، يغوث، يعوق ونسرا، أتتذكرونهم؟

أوما الشاب برأسه كنايةً عن مجيء تلك القصة قريبًا وأكملت العين بأنّ عشائر الجان ضلّت طريقها وتناست عبادة الله برغم وجود المُذكّرين بها ولكن اندثرت أعدادهم واشتعلت الحرب.

في البداية كان الجان يعيشون تحت وطأة حاكمٍ واحد، مع تعاقب الأزمنة واتّساع بقعة معيشتهم ظهر لبعضهم صفاتٌ منفردة مثل الجسم الضخم، الأجنحة، القدرة على الغوص في أعماق البحار، السرعة اللامتناهية والبطش وطاقّة الجسد العاتية، جميع تلك الأشياء كانت البداية لرغبة الخلف في الانفصال بممالك مُتفرقة ومن هنا عرفوا الذهب والمعادن النفيسة وأخذوا جميعهم يُدعون في تشكيلها، بناء الحضارات منها واتّخاذها سببًا للقتال فيما بينهم ومع توالي السنوات وتوسّع بقعة العيش ظهرت (الممالك الخمسة)، وعلى رأس كُلٍ منها أقوى الجان ليكون مَلِكًا صاحب التاج لتندلع الحرب الكبرى وخلالها أزهقت الكثير من الأجساد وشاعت الدماء على سائر الأرض...

لم تُكْمِل العين حديثها، واكتفت بالنظر إلى وجه الشاب فبدت جاحظة تتأهب لبدء رحلةٍ فريدةٍ من نوعها...

الفصل الثاني

حضارة البشر الأولى

فتحتُ عيناى على واقع ملموس فقد صرنا على أعتاب البداية وما نتجت عنه من أحداثٍ مُتتالفة، ساد الصمت وعرفت بعد لحظات أن القادم سيكون تكملة لقصة صغير الجان الذي حمله أحد الملائكة معه قبيل عروجه إلى السماء. استمعنا حينها عبر الفراغ إلى أحاديث الملائكة عن صغير الجان ذلك وكيف سيقبع جوارهم!! وأصوات هادرة تقول: “عزازيل. عزازيل”، يبدو أنه اسم الصغير، والذي ينظر للجميع ولحياته القادمة بنحوٍ مختلف فمن يتخيل أنه بين لحظةٍ وضحاها سيصير محياه فوق السماء لا تحتها كما أقرانه، وبالطبع وعلى الأرض قد أشيع النبا اليقين: “أحد أفراد الجان قد صعد إلى السماء رفقة الملائكة!”

هنا أصابت عيني ومضات خاطفة كان نتاجها شلل مؤقت في العقل لأفبق على كلمات أخرى عنه وقد اشتدَّ عوده وحسن شكله، صار مشهورًا بين الجميع، ولامتلاكه العقل اجتهد وأصاب في التضرع وعبادة الله عزَّ وجلَّ بشئى الطرق فكان مُقربًا محمودًا وقد أرضى ذلك جوفه، أسعده التميز والانفراد بذلك وسمعنا حينها صوتًا صاخبًا:

“إنَّ عزازيل وبسبب امتلاكه للعقل والتخيير عكس البقية، فقد اجتهد في العبادات بنحوٍ غير مسبوق ساعيًا للتقرب من الله ملك الملوك، وقيل بأن الله أنعم عليه بجناحين كما الملائكة لحسن عمله، ليس ذلك فقط بل وأيضًا مُلك سماء الدنيا أجمع وما بينها وما بين الأرض.. فيا له من تشرىف لم يحظَّ به أحدٌ...”

استمر الحال على تلك الشاكلة سنواتٍ طوال حتَّى أمر الله ملائكته بأن يجلبوا إليه قبضة تُراب من شئى بقاع الأرض أي جميع الأرض، وجميع هنا تعني أن التراب الذي أحضروه إليه كان متباينًا ما بين الصالح، الفاسد، الأحمر والأبيض وغيرها، وشرع الله في عملية خلق خلقًا جديدًا وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر خير الأيام التي ستكون على الأرض بعد ذلك، لم يكن أحدٌ من الملائكة أو “عزازيل” يعلم بأمر ما سيحدث.

جىء بقبضة تُراب حدها الله عزَّ وجلَّ ثم تم مزجها مع الماء وهما أنقى العناصر، فصار طينًا. ومع الوقت أخذ ذلك الطين في اكتساب صلابةٍ وتماسك فصار طينًا لازبًا ثم تغيرت رائحته، وذلك لطيلة مزجه مع الماء ليصير الطين حمًا مسنونًا وبعدها جاءت مرحلة كونه صلصالًا كالفخار إن تم ضربه أصدر صوتًا وذلك لأن النار لم تمسه أبدًا، ليظل على تلك

الحال بعد تسويته من قبل الله مدة أربعين عامًا كاملًا، وكانت تلك التسوية هي خلق طوله ستون ذراعًا بأيدي الله نفسه فيا له من تكريم.

هنا ابتسم الغريب لينعقد جبينه فجأة قائلاً:

- والبعض يقول إن بداية البشر كانت قرويًا ثم تطورت كما البقية!

تعجبت العين بمقصده ولم تُعقب ثم أشارت بتحريك الصخور مُجددًا فانتقلنا، وعلى حين غرة صوب الأرض الأولى أعلى بقعة شاسعة من الرمال لأصعق وأنا أرى رجلاً ضخم الهيئة، لم أعهد مثل هذا الطول من قبل جواره سيدة تقصره بقليل وبتلك الرؤية صرنا على أعتاب رحلة خاصة للغاية انفصلنا بها عن قصة صغير الجان...

أمامي الآن جنسان من البشر ذكرٌ وأنثى يقفان أمام بعضهما البعض في شوقٍ وحب يتطاير من أعينهما، جزاء الوصال بعد الفرقة ولكن مرةً واحدة لحظت جحوظ أعين البشري وتحديث سريةً:

- لا أصدق هل التقى أبونا آدم بأبنا حواء على جبل عرفات بعد السقوط الكبير!

خمد لهيب العين المُجاورة له وصار صوتها خافتًا:

- نزل أبوكم بالقرب من مكة وقد تفرق عن زوجته وصار على تلك الحال سنوات، نزل خلالها جبريل الملك الذي سيصير الأقرب إلى الرسل والأنبياء فيما بعد فكان نزوله الخاص لآدم هو الأول ليُعلمه كافة أمور الأرض والتي اختلفت بطبعها عن جنان السماء، وقد أُصيب أبوكم بالثنتنت في بادئ الأمر ولكنه استجاب وأتقن المعيش حتى أن الله له بقاء زوجته على تلك البقعة المباركة ولذلك سُمي الجبل بهذا الاسم، عرفات حيث تعارفا من جديد والتقيا مُجددًا.

بعد أن فرغت العين من سرد تلك الكلمات أراحنا الهواء مُسرعين نحو بقعةٍ أخرى لم يتحدث الإثنان عن مكانها بالظبط، ولكن وبكل تأكيد تقبع داخل منطقة الشرق الأدنى القديم، لحظات حتى شعرت برعشةٍ سرت عبر جسمي بأكمله فقد شهدت طرفًا آخر ممن سقطوا من السماء إلى الأرض.. كيأنا موحشًا له قرنان عظيمان وحُمره أشبه بالجحيم، آثار سلخ تطبع على ظهره جزاء فقد جناحيه وتمثل ذلك أعلى وجهه المصحوب بلعنة وسخط إلهي، أخذ يسير في الأرجاء باحثًا عن وجهته القادمة وجواره روحٌ أخرى تنظر له في شغفٍ قائلة: آمنت بك يا إبليس، سيد الأرض...

- إذا إبليس هو ثالث من سقطوا من السماء...

خرجت هذه الكلمات من الشاب فأخبرته العين أنه وبنزول إبليس أعطى ذلك إشارة بيّنة عن مجيء دور الشر الأبدي الذي سيسطو كافة بقاع البشر مُتخذاً كافة الأدوات لتحقيق ذلك، تتابعت الأحداث ومعها اقتربنا رويداً رويداً من إحدى البقاع وتحديداً سهل مُحاط بجبل شاهق الارتفاع على رماله استمع لحديثٍ بين ستة أشخاص، إنّه الرجل الضخم وزوجته وأمامهما أربعة أطفال اثنان من الذكور واثنان من الإناث، يقول (آدم) عليه السلام لمن أمامه بأنهم أول الأرواح البشرية على تلك الأرض وواجب عبادة الله حق عبادة بعدما أتمّ توبته عليه بعد خطيئته الأولى، الجميع منصتون لا ينطقون ببنت شفة وهم يمثلون لأوامر أبيهم عن العبادات والتقوى، الإتقان في العمل ووجوب تعمير البسيطة، تسارعت وتيرة الأحداث ومعها تبدّلت الأعمار وتحول معها الأطفال إلى شباب ذوي أجسام يافعة وهنا تحدّثت العين:

- قابيل وهابيل ولدان آدم...

تعقّب البشري (هابيل) فرآه يمتهن رعاية الأغنام وقد كان شاباً طويلاً، جسمه مزدان بالعضلات التي تُعينه على مُجابهة قسوة الصحراء وأيضاً رعاية الغنم حتّى تسمن وتكبر، رأيتُ من خصاله كونه هادئاً مطمئناً ينتظر في شغف زيجته فلم نمكث عنده كثيراً وتوجّه الغريب صوب الطرف الآخر حيث يقبع أخوه (قابيل) فرآه يمتهن الزراعة ويفعلها بإتقان وحكمة شديتين، يُخرج أطيب الثمار عبر اختيار البذور الصحيحة وحق رعايتها دون كلل، لاحظت اختلافاً عن أخيه عبر حاله الذي اتّسم بالغضب المُزدان بالقلق والغيرة، لم أرَ في عينيه الرضا بالرزق الوفير الذي يجنيه بل السكون والشرود.

لاحظ الشاب اهتزاز الكيان المُصاحب له بشاكلة غير اعتيادية وحينها فطنَ إلى أنّه على أعتاب تحوّل خاص للغاية سيطراً على الأحداث ليحوّل بصره صوب قابيل وهنا جحظت مُقلته غير مُصدق ما يرى.

رَمَقَ جسداً هُلامياً أسود اللون يتشكل من العدم، ظهر في بادئ الأمر مثل نقطةٍ مُحدّدة ثمّ تمدّد خلال ثوانٍ معدودات ليغدو حجمه هائلاً أقرب إلى ثلاثة أمتار، كان مصمّماً لا ملامح له أو أطراف وصار يزحف على الرمال مقترّباً من قابيل والذي لم يشعر به أو يرقب تحركاته وهي تدنو صوبه، ما إن صار الجسد مُلاصقاً له حتّى دعر البشري وهو يسمع طنيناً مدوياً أصابه بالإعياء ومعه شهد مستطيل مُتّسع الأبعاد خرج من منتصف الكيان المُظلم قد ازدانت أطرافه برسومات مُتتابعة، في البداية ظهرت ساعةً رمليّة تسقط حبّاتها رويداً رويداً ثمّ أشكال أخرى لأحداث لا تمط لبعضها بصلة، رجلان يقتتلان، جماعة من القوم أمام صنم، رجل يسير جوار شعبٍ ساجدٍ له وامرأة تُعانق رجلاً، استمرت الأشكال في الظهور لتملأ حدود المستطيل، ولكن ما أجبر الشاب على التراجع خطوات إلى الوراء هو ظهور عين ضخمة الحجم سكنت

المساحة الداخلية للمستطيل بأكمله، لم تكن كمثلياتها أبداً، بل لاحظنا أنّ قزحيتهما يتغير لونها مع الوقت ومؤلفة من نصفين أحدهما حوى قرنين والآخر سلسلة غليظة!! امتلكت أيضاً رموشاً متفرقة وعددها أربعة، بعكس الجميع لم تمتلك صلبة عين بيضاء بل كان لونها أسود قاتمًا!! لاحظنا أنّ الساعة الرملية تُكثّر من إسقاط ذراتها وهنا سمعنا صوتاً أشبه بالهمسات أو الفحيح: "أستترك أخاك يظفر بأختك الحسنة! ما هذا القانون الذي شرّعه أبوك آدم عن أنّ الزواج لا يتم بين الأخ والأخت في بطنٍ واحدة! جميعكم إخوة وأنت الأحق بالحسنة لك فهي أختك التي جاورتك في المهد".

أزاح البشري وجهه عمّا حدث وقد تصبّب العرق منه قائلاً:

- إذاً لقد بدأ أمرُ العين الحقيقية من هنا، أمرٌ كل شيء كان على تلك الرمال الحمراء...

مياهٌ عظيمة تأتي من العدم، أصوات صرخات تتلقاها آذاننا وخوف يدب في قلبي أنا فقط، نظرت العين المُصاحبة صوب الشاب وقد بدا القلق عليها لتتطرق عبارات مفادها:

- اقترب الطوفان الأكبر، لأحدّتك سريعاً عن أحد أهم أنبياء الحضارة الأولى للبشرية ولنعود لتكملة هذه القصة فيما بعد.

أوماً الغريب برأسه موافقاً وكأنّما أراد أن يتخلص من مُتابعة هذا المشهد والرعب الذي لاقاه جرّاء رؤية تلك العين الغامضة ولو بشكلٍ مؤقت، سكنت الأصوات قليلاً لتعود بعدها أحداثٌ جديدة في الظهور...

رجلٌ بشوش الوجه حسن المظهر، عريض المنكبين، كث اللحية وكثير النظر إلى الأرض والسماء كأنّه يتأمل مشهداً ما، يمشي في ترقب وإذ فجأة يدنو منه رجلٌ آخر يقول بصوتٍ هادر: "جداً آدم وأبو البشر قد توفاه الله وتنزلت الملائكة لتكفينه".

تحول الإيقاع بعد رحيل أبو البشر مُتماشياً مع الزمن لنبصر نفس الرجل البشوش وهو على مقربةٍ من قومٍ تعدادهم يتعدّى الآلاف، يقول مناجياً بأن يعودوا صوب عبادة الله الواحد الأحد تاركين بذلك الشُّرك به وفعل المنكرات ولكن دون جدوى، الكثير من الأذان التي تآبى الإنصات والكثير من الأرجل التي تهرب من الحديث منفرة، ليأتي صوته هادراً تهديداً بأنّ القادم حربٌ عليهم حتّى يعودوا وما هي إلا لحظات حتى شهدناه على مقدمة رجال يُحارب المشركين ويصدح بصوته بكلمات الإيمان فكانت تلك أول حرب في البشرية...

هنا تداخلت العين وقالت:

- إنه (أخنوخ)

ليقطع الغريب كلامه:

- بل قل سيدنا إدريس عليه السلام ثالث الأنبياء، وأول من خطَّ بالقلم واسمه بالكامل (إدريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم).

بات الأمر هو الاحتدام الأول بين الرفيقين وما علمته هو أن أخنوخ هو نفسه إدريس عليه السلام وقد أُقِبَ بذلك لكونه كثير الدراسة والعلم في كتاب الله والكون، فقد كان أول من خطَّ بالقلم في حضارة البشر الأولى ليس ذلك فقط بل إنه أول من خاط الثياب فحلت محل أوراق الشجر وما اشتق عنها من ثياب والتي ارتداها جده آدم وقتما نزل من السماء فتعاقبت عليها أجيال من بعده، ولطبيعة البشر الأولى فقد امتازوا بالعمر المديد؛ لذلك حضر إدريس في حياته جده الأكبر آدم قبيل مماته، يبدو أن لذلك النبي شأنًا عظيمًا وأسرارًا لا عهد لي بها..

أشهد الآن رفقة الغريب تحول آخر صاحبه تراكيب تختلف عن البقية!

النور يحجب رؤيتي بوضوح، ولكن هنالك وميضًا قويًا للغاية يُرافق النبي إدريس، يسير رفقته وبتلك الشاكلة يأخذ منه العلوم فهو الآن يقبع على إحدى الصخور ويكتب على حجر مستوٍ مُعادلات وأرقام عائدة إلى السماء أهذا هو علم الفلك!.. يا إلهي أهو قديم إلى هذه الدرجة، العديد من البشر يسرون جوارهم دون أن يلحظوا الكيان الذي بجانبه وهنا بات الأمر جليًا إلى خاطري، هذا الوميض هو ملكٌ مُنزَل من عند الله!

“أحقًا يا إدريس سنُغادر بلاد الرافدين ونتجه إلى بلاد النهر الذي تحدثت عنه؟”

جاءت تلك العبارة من رجلٍ عابر يسير رفقة دابته وهو من قوم النبي إدريس. وأما الرجل البشوش برأسه كنايةً عن الصحة وهو يُفسر لهم بأنه قد تَوَجَّب عليهم مغادرة تلك البقعة للعدوى التي أصابت قومه العابدين من أهل الضلالة والشرك نسل قابيل، فلحق بهم البعض في فعل الذنوب والتأثر بالظلمة وأرض بلاد النهر ستكون خير مَثوى لهم. غادره الرجل وقد استعد للرحيل وعلى شاكلته بقية المؤمنين الذين ارتدوا ملابس الجلد التي علّمهم إدريس خيبتها وقبع هو يكتب على الحجر العلوم والحسابات وهنا انزاحت عن مُقلتي الغشاشة قليلًا لأسمع النور الذي بجواره وهو يُلقنه تلك العلوم بإتقان وحكمة فيا لها من معجزة عظيمة بحق...

تبدلت الصورة وها نحن ذا نشهد قومًا تعدادهم تجاوز الآلاف وهو عددٌ أقل بكثير عن الذين تخلفوا، قد وصلوا إلى شريط نهرٍ عظيم تحده من جميع الجهات رمالٌ الصحراء الصفراء البرّاقة وهنا تكلمت العين:

- أخذ إدريس قومه إلى بلادك، مصر.

جحظت عيناى فكانت تلك أول مرة أرى فيها مصر بتلك الشاكلة من الفضاء الشاسع فقط هؤلاء القوم من يُعمرونها، إذا قوم إدريس أول من سكنوا بلاد المصريين القدماء..

المشاهد التالية غلب عليها الومضات التي نقلتنا ما بين جلوس النبي مع قومه وهو يُحدثهم عن العلوم والفلك، حساب عدد الأيام، الشهور والسنة الشمسية، النجوم التي تعنلهم في السماء وكيف تعبر الكون، أحداث أخرى عنه وهو يحثهم على الزراعة مُستغلين تلك المياه العذبة شديدة الصفاء وشريطها المرتوي بالأسماك فالأسفل، ثم تبدل الأرض الصفراء بعد حين إلى خُصرة وازدهار بالثمار وأعداد قومٍ تكاثرت واستزادت لتعج بالأطفال والشيب سويًا.. العجيب وأنه في كل حدث يتوجه الرجل البشوش إلى حجرٍ عريضٍ مستوٍ ليدون عليه ما يحدث عبر الدهر وقد علم بعض قومه الكتابة ولكن ما هذه اللغة!

- إنَّ النبي إدريس كان يتحدث السريانية كما أبوه وأجداده، ولكن وفي زمانه قد تحدّث القوم أكثر من سبعين لغة ولم يُعجزه ذلك فقد رزقه الله لسانًا ينطق ويفهم كل ذلك وأكثر.

خرجت تلك الكلمات من العين فجاء رد الغريب مواتيًا، أخبرنا عن روايات الأثر وقد ذُكر عبر سطورها بأن إدريس عليه السلام نزلت عليه ثلاثون صحيفة كما جده (شيث) النبي الذي نزلت عليه خمسون، وأنَّ من قال ذلك هو الرسول (مُحمد) صلَّى الله عليه وسلم.

رأيت بروز العرق عن جبينه وهو يُوضح بأن ذلك كذب وافتراء وكون الحديث موضوع ضعيف لم يُثبت عن الرسول صلَّى الله عليه وسلم وبما رأينا في تلك الومضات وضح أنَّه ملك رافق إدريس وعلمه علومًا ربّانيةً تنتشر إلى الأرض كافة، احتدم النقاش هُنيهةً من الوقت ليُعقب البشري مُجددًا بنبرات ضاحكة:

- إذا ليس هنالك ما يُدعى إنسان كهف وبدائية القوم، بل حضارة وأبحاث متطورة فيا لها من علومٍ مُزيفةٍ أطاحت بعقولنا منذ أمدٍ بعيدٍ تلقَّتها عقولنا ونحن صِغار داخل أروقة المدارس.

ساد الصمت ومعه شهدنا النبي إدريس وقد انطلق صوب إحدى البقاع التي تبعد عن الخصرة والنبات، نحو رمالٍ ناعمةٍ وشرع في قياس بعض المسافات وهو ينظر صوب السماء كأنه يُمارس هوايته المفضلة في علوم الفلك وهنا أمرَ بعضَ أفراد قومه بالتحرك وجمع ما سيتلوه عليهم لاتخاذ من تلك البقعة صرحًا لمعلمٍ ما، بعد ذلك رأينا حجارة كبيرة الحجم تُساق حيث أمر النبي ليمر الزمن ومعه نشهد هرماً متوسط الطول تم لصق حجارته بكيفيةٍ إعجازيةٍ وأمامه نبيّ الله يُدون على أحجارٍ متفرقة كلمات تعكس بعض الحقائق للجيل القادم بعدما تلقَّى

من الملك معلومة ما جعلت عينيه تبرزان للأمام!! وقف أمام الهرم ليكتب كيفية البناء ويُسجل بأن هنالك طوفاناً عظيماً سيعصف بتلك البقاع كافة فلا ينجو منه أحد سوى المؤمنين وأنهم يومئذ قلة!

رأيت حينها البشري وقد تفصّد عرفاً، زاحت أعينه إلى الأعلى مُرتعداً يبحث عن استنتاج جديد:

- إذاً لقد كان من نبا طوفان سيدنا نوح كلمات ماضية أوصلها الله إلى أنبيائه تُخبرهم بما سيحدث في المستقبل القريب، وسيدنا إدريس أول من سكن أرض مصر.

- أوزوريس

خرجت تلك الكلمة من العين فوجّه أعينه صوبها لتُخبره بأن ذلك الاسم تابع لأحد آلهة المصريين القدماء فيما بعد وكان خبرهم عنه هو كونه إلهاً علّمهم الزراعة، الفلك، الهندسة وخيط الثياب، ترك لهم إرثاً بالمعمار وكان سبباً فيما سيحدث بعد ذلك.

خرجنا باستنتاج هام حينها وهو أنّ أوزوريس قد يكون إدريس النبي وأنّ أولى الأهرامات المصرية القديمة فيما بعد وهو هرم "زوسر" تمّ تدشينه بُناءً على معلومات تركها لهم إدريس... هذا الأمر لم يبدُ يقينياً ولم تجزم به العين بل أوضحت تشابه القصة الحقيقية المتمثلة في النبي وأفكار المصريين عن إلههم المزعوم فلربما تمّ تحريف الحقائق عبر السنوات...

شرعت العين في إنهاء ما بدأت وهنا تلقّت أذني بقية قصة النبي، ملكٌ مُتشكّل في نورٍ هائل يطير حتّى وصل إلى السماء الرابعة ليُقابل ملكٌ آخر، استشعرت وعبر حديث العين عنه انبعاث قوى ما أصابتني بالقشعريرة ليدور حوارٌ بينهما، فيقول المرتفع للأعلى:

- أريدك أن تُعلمني كم بقي من أجل إدريس؟

- وأين هو إدريس؟

- هو معي.

عندما سمعت تلك الجُملة صُعقت فكانت الكلمات التالية حاسمة، النبي البشوش بجسمه المادي على أحد أجنحة الملك ويبدو أنّه الملك الذي رافقه طيلة قرون على الأرض يُثقله من علوم الله، تسارعت أنفاسي وأكملت القصة فكانت الكلمات التالية هي النهاية.

- إنّ هذا لشيءٌ عجيب، قد أمرت بأن أقبض روحه في السماء الرابعة وتعجبت لذلك فكيف أفعّلها وهو بشري على الأرض.

وكان ذلك الملك الذي تصدر منه القوى هو ملك الموت ليقبض روح نبي الله إدريس في السماء الرابعة.. هنا ومع جحوظ عينيّ الغريب أفاد:

- لقد فهمت أخيراً معنى الآية إذاً التي قال الله تعالى فيها:

(وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥) وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧)) انتهت قصة مليئة بالإثارة فجاء بعدها صوت الشاب مُتحمساً :

” إذاً وبما أننا ذكرنا من أمر السماء فلنُكْمِلِ قصتنا عن عزازيل، وماذا حدث بعد الخلق الجديد الذي سواه الله بيديه”.

تحضّرت العين لإكمال ما بدأت وسط ترقب وحذر..

الجسم الذي خلقه الله بيديه من التراب الذي أمر الملائكة بجمعه هو جسم آدم وما زال قابلاً دون حراك يخشى الملائكة منه وهم يطوفون حوله دون الإتيان بحقيقته لكن الجميع علم بأنه خلق جديد سيحمل الكثير من الصفات المُغايرة عنهم، لم يكن جسم آدم قد اكتمل بعد فكان آخر تكوينه هي منطقة الرأس؛ لذلك كان هنالك فتحة أعلاها، لاحظ جمع الملائكة أحدهم وهو يحوم بجناحيه حول الجسم غير أبه بأي شيء، اقترب منه وصار يدنو كثيراً لدرجة لم تستطع الملائكة بلوغها وكان ذلك الكيان هو عزازيل الذي صعد رفقة ملك وهو صغير.

نفر الجان المُكْرَم من الله، ولكونه مُختلفاً عنهم في ميزة العقل المُخير كانت أفعاله لا تعكس بقية الملائكة المسيرة بأوامر الله عز وجل فلا تحيد عنها، دنا عزازيل من الجسم العملاق خلسةً حتّى صار أمامه مُباشرةً وفي تلك اللحظة اندفع تجاهه إلى أن اخترقه فصار يطير حتّى فرغ من كل بقعةٍ داخله، بحث في كامل الجسم فكان أجوف لم ينفخ الله من روحه داخله بعد ليخرج منه وقد ارتسمت على فيه ما يخشى منه النفس ثم قال للملائكة التي تنتظر في قلق: “لا تخشونه فوالله إنني لو سلّطت عليه لأهلكه”.

كانت عبارته قاسية بعدما اهتدى إلى كونه أجوف وذلك القول كان مُفاجئاً لا يعكس طبيعته الحسنة حينذاك وبالطبع امتثل الملائكة لأوامر الله عز وجل فلم يفعل أحدهم أي شيء عكس عزازيل الذي استزاد في بغية المعرفة. اقترب عزازيل من أحد الألواح المحفوظة كبيرة الحجم وبعد التسمر أمامها برهةً من الوقت سأل أحد الملائكة بعدما قرأ ما كُتِب مُتعبجاً: “مَنْ هذا العبد الذي سيلعنه الله ويصير محروماً من عفوه أبد الدهر بل وإنه قد انقلب حاله من إخلاص

العبادة إلى تحديّ وعناد ولعن أبدي!".. لم يعرف الملك المُجاور له الإجابة وانتهى الجدل على مقولة: "بئس المصير هو."

مكث جسم آدم وقتًا مديدًا والجميع يُراقبه إلى أن حانت اللحظة المرتقبة، وشاء الله لينفخ فيه وبتّ فيه من روحه وأثناء دخول تلك الروح بدأت حواسه في النشاط والشعور بكل شيء وكأنها تشدّد القوى وتشدّ الهمم، معجزة إلهية بها جزء من الله نفسه ودخلت الروح من الأعلى حيث تلك الفتحة في الرأس مرورًا إلى الأسفل، وعندما وصلت إلى أنف آدم عطس فسمع الجميع صوته..

جاء أمر الله سبحانه وتعالى لكافة خلقه بأن يسجدوا لآدم فامتثلوا جميعهم لذلك إلا عزازيل الذي رأى في نفسه الكبر ورفع النفس، وأنه قد خلّق من نار وادم ذلك من تُراب وهذه الأفكار هي التي أجاب بها سؤال الله له عن عدم السجود لآدم وطاعته في أمره، عصى الله تحت مُسمى التقرب منه، وأن يكون المفضل له والحقيقة هي أنه كان مغرورًا بنفسه لا يُريد سوى أن يكون الأحب والأقرب بأي ثمنٍ كان وصاحب المنزلة الأعلى بين الجميع، كان مُحركه هوى النفس لا إخلاص العبادة فعندما اختُبر فيها هان وسقط، رفض عزازيل السجود لآدم رفضًا قاطعًا وعصى أمر الله المُباشر له فجاء غضب الإله عليه، تمّ لعنه فصارت هيئته موحشة قد تبدّلت عمّا كانت، الكثير من الظلمة تُحيط به وقد اجترّ جناحاه عن جسده ومع كل ذلك تغير اسمه إلى "إبليس" ومعناه اليائس أو المطرود من رحمة الله وفي تفاسير أخرى تعني "الشیطان"!

تراجع الغريب خطوات إلى الوراء بعدما صار عقله يُترجم ما استقبلته أذنيه وتحدّث قائلاً:

- جميعنا نُخطأ وجميعنا يعصي الله في مواقف كثيرة والله يعفو عنّا وقد تبادر لذهني سنوات لماذا وبسبب موقفٍ واحدٍ فقط صار إبليس على تلك الحال للآن... وبعد ما تلوته عليّ أصبت كبد الحقيقة، ألا وهي الكبر والعناد، فبرغم معصيته لله عزّ وجلّ وعصيانه في أمرٍ مُباشرٍ منه تبجّح ولم يُعمل عقله ويأمره بالتوبة إلى الله واستغفاره أملاً في الرجوع إلى رحمته، وبدلاً عن ذلك طلب منه بأن يجعله من المنظرين حتّى يوم البعث وأنه وبسبب ما رآه من خواء الجسد في سيدنا آدم، اعتقد بأنه قادر على أن يغويه هو ونسله أجمعين وسيجري منه مجرى الدماء كما ذكر ذلك الرسول في حديثٍ كريم، كيف استطاع ذلك الملعون فعلها وهو يقبع أعلى السماء ويشهد بأمر عينيه قدرات الله وملائكته والعبادة الحق!! يا إلهي أصاب جسمي القشعريرة بحق!!

جاء صوت العين خافتًا هذه المرة:

- اقترب إبليس من أحد الأماكن في انتظار الفرصة المواتية لتفعيل قدراته بعدما أوصله تكبره إلى الدخول في تحدٍّ أمام الله عزَّ وجلَّ بأن يجعله من المُنظرين، وسيغوي نسل ذلك الخلق الجديد أجمعين.

هنا جاءت أصوات أخرى من الملائكة تقول إن الخلق الجديد ذاهبٌ إلى الجنة وسيمكث داخلها.. هذه الجنة ليست جنة الآخرة التي ستكون مثوى المؤمنين.

- لم يُغادر إبليس السماء إذاً بعد اللعن، وبالتأكيد سيسعى جاهدًا للدخول إلى تلك الجنة.

خرجت تلك الكلمات من البشري الذي ظلَّ يُفكر فيما يمر به من أحداثٍ عاتية.. توقفت العين عن مُتابعة ما يحدث أعالي السماء فلم تقدر على كشف الحقيقة كاملة في وقتٍ واحدٍ خصيصًا وأنها عائدة إلى أكثر أهل الجان شرًا وقد تفهَّم البشري ذلك لتذهب بنا إلى مكانٍ آخر فنستكمل قصة سابقة لتتابع ما آلت إليه الأمور...

أرض يملأها الضباب ومن خلفه أربعة أرواح، آدم عليه السلام وزوجته حواء رففته وأمامها ابنيهما بعدما كبرا واشتدَّ عودهما؛ قابيل وهابيل.

لقد احتدم النقاش أثناء إخبار قابيل والده بأنه يُريد الزواج من أخته التي كانت معه في بطنٍ واحدة فهي حسناء ومن حقه والقانون الذي سنَّه يُخالف ذلك الطلب، فالبطن الواحد لزوجته كان يحمل توأمًا ذكرًا وأنثى فكان القانون هو أن الذكر من البطن الأولي يتزوج من الأنثى في البطن الثانية والعكس صحيح؛ لذا ومع إصرار قابيل وتأدب هابيل أخبرهم الأب بأن يُقربا قريبًا إلى الله عزَّ وجلَّ فمن تقبله الله منه كانت ابنته المقصودة زوجته وانطلق الاثنان إلى عملهما لتجهيز ذلك القربان...

بدا على الغريب التيه بعض الشيء فلم يكن يدري كيفية تقديم ذلك القربان ولم تُخبره العين بل اكتفت بقلب الأحداث ورؤية جديدة.

هابيل يقف جوار ماشيته التي يرها وهو يبحث عبرها عن شيءٍ ما ليجد ضالته مبتسمًا، كبش عظيم هو الأثمن والأجود عنده ليحمله بين يديه ويقول: "هذا سيكون قرباني إلى الله...".

بينما يقف قابيل أمام زرعه الذي اخضرَّ واشتدَّ عوده ينظر إلى السماء ثم يُعيد الكرة ناحية الثمار، يزيح القدم تلو الأخرى باحثًا عمًا سوف يُقدمه، ما زالت العين ضخمة الحجم التي شهدناها أول مرة رففته قائمة دون أن يراها وهي لا تتحدث إنَّما ترقب المشهد مثلنا تمامًا، اجترَّ قابيل بعض الأعشاب التي يميل لونها إلى الأصفر ويبدو عليها الهزل وسوء الحال، جمع بعضها وقال: "هذا سيكون القربان..."

ما زالت التنقلات قائمة في تتابع يسير ومعها قالت العين المرافقة:

- إجابة سؤالك قادمة الآن..

وجّه الغريب عينه صوب الرجلين وقد انبثقت عيناه للأمام، قابيل وهاويل يصعدان سويًا أحد قمم الجبال، وكلٌّ منهما يحمل بين يديه قربانه وقد لاحظت امتلاك هاويل جسمًا وطاقَةً أكبر من أخيه صاحب الزرع، عند وصولهما وضعا القربانين في مكانٍ خاص وانتظرا القليل من الوقت وباتت حالة الترقب هي المسيطرة على الأجواء...

كيف سيعرفان من تقبّل الله قربانه، كان ذلك السؤال هو القائم ومرةً واحدة صُعقت لرؤيتي نارًا عظيمة تهبط من السماء على شكل دائرة تراجع لأجلها الأخوان خيفةً، توجهت ناحية الكباش كبير الحجم الذي وضعه هاويل فأخذته واختفى أثره تمامًا!!!

يا له من مشهد ويا لها من طريقة إلهية لأخذ القربان، هنا علّم الأخوان إجابة السؤال، وأنّ هاويل هو المستحق للزواج من أخت قابيل في البطن، وبلغ آدم ذلك وانتهى الجدل أو حينها اعتقد الجميع ذلك ليعود قابيل محل عمله رفقة زرعه منفردًا في خلوة ويصدر صوتًا خافتًا مُحدثًا نفسه: "أخذت أقل الزرع عندي لأن هذا القربان سيأخذه الله ولن يفعل به شيئًا، وأنا أيضًا لن أستفيد به فإن كنت اخترت أفضل الثمار لالتهمتها نيران السماء وضاعت عليّ، هاويل انتصر وفاز بحقي فما العمل!!!"

هنا وعلى ذلك المشهد التعس رأينا العين الضخمة الحجم وهي تتشكل مُجددًا جوار قابيل، لم يعهد بها أيضًا لكننا وهذه المرة سمعنا فحيحها، همسات تقول: "اقتله، يجب أن تقتله وتتخلص منه فلا حل آخر للحفاظ على حقوقك".

استمرت الهمسات دافعة حرارة الضغينة أقصاها لينتفض قابيل وقد عزم على الأمر، التخلص من أخيه مهما كلف الثمن، فقط انتظر الفرصة المناسبة.

تتابعت مُحاولات الأخ الحائق للظفر بروح أخيه دون أن يجد لها سبيلًا حتّى أتى اليوم الموعود والحادثة الأولى من نوعها في تاريخ البشر... أخبرتنا العين حينها بأنّ نبي الله آدم أرسل ابنه قابيل للبحث عن أخيه بعدما طال غيابه مذ ارتحل صوب البادية لجمع بعض الحاجيات ولم يكن الأب يعلم ما يُضمر الأخ لأخيه، ولذلك باتت الفرصة موالية للظفر بانتقامه...

هاويل مُستلقٍ على الأرض وحيدًا يغط في نوم عميق قد أرهاقه العمل، وعلى مرمى البصر قابيل يبحث عنه مُسرعًا إلى أن رآه وقد غلبه النعاس، التفت حوله باحثًا عما يُعينه ليرى

صخرة كبيرة الحجم كافية لتنفيذ مُخططه، برزت أسنانه وهو يحملها بذراعيه وأخذ يسير مُتخفياً دون أن يصدر صوتاً قد يوقظ هابيل، لم أقدر على الصراخ ولكم أردت تحذير الأخ النائم ولكن دون جدوى، دنا قابيل إلى أن صار فوق أخيه مُباشرةً واستعد لإنزال الصخرة عليه فهُشَّم رأسه، مع تلك الثواني العصبية حضر صديقٌ مقيت من الماضي، شهدتُ الكيان المظلم بهيئته المُرعبة يتشكل سريعاً وهو يزحف وراء قابيل لتظهر العين المنشققة إلى نصفين، أخذت تبت سُمومها إلى قلب الأخ الحائق وقد تصبغت أطراف المستطيل باللون الأحمر الدامي، لم يتردد الأخ الغاضب من إنهاء الأمر بأي شاكلة كانت وهنا لمحتُ عين هابيل النائم وهي تتخلص من سُباتها لترى أمامها أخيه وهو يُطيح بتلك الصخرة فتنزل على جسمه ليرفعها مرةً أُخرى ويُهشم بها رأسه، ظاهره الغضب وباطنه الضلال وما هي إلا لحظات حتى أرداه قتيلاً...

أجواء من الظلمة أحاطت بنا، أشعر بأن الطيور المُحلقة تُريد أن تبكي وتصرخ، لا شيء عادل على هذه الدنيا وتلك كانت هي البداية، اختفت العين بمُجرد صعود روح هابيل وانقشع دخان الكيان المظلم تاركاً قابيل الذي عجز عن مداراة سوءته وجثة أخيه حتى أرسل الله له غراباً يُعرِّفه كيفية دفن جُثث الأموات أسفل التراب... حاد البشري بنظره عن إكمال الأمر وهو يُرِدُّ:

- إذاً تلك كانت أول سوءة في تاريخ البشرية، أول خطيئة وهي القتل.

- وأيضاً بداية العين الحقيقية ولكن لم نفرغ بعد، حضارة البشر الأولى حملت ثلاثة عيون أُخرى وسنفرغ منها جميعاً الآن فلا وقت للمماطلة حتى تعرف كل شيء. صدرت تلك الكلمات من العين المُصاحبة لنا فكان أثرها على الشاب عظيمًا...

على مرمى أبصارنا لاحت بقعتان كبيرتا الحجم أحدهما لقومٍ عاشوا داخل سهل وأخر لقومٍ أقل عددًا مكثوا أعلى جبل...، خرج صوت العين قائلاً:

- من أمامك الآن هما قومان قابيل وشيث بن آدم الثالث والنبي الثاني في تاريخ البشرية.

خرجت لنا صورتان موازيتان لبعضهما البعض، إحدهما لقومٍ يعيشون داخل السهول وقد امتلكوا نساءً حسناوات ورجالاً ليسوا على ذلك القدر من الجمال ويتوسطهم قابيل وقد صار رجلاً كثر الشيب في رأسه، الجانب الآخر أو بمعنى أدق في المشهد الموازي قوم آخرون قد امتلكوا رجالاً على قدرٍ مُلفت من الوسامة ونساءً متوسطات الجمال، يتوسطهم رجلٌ آخر يبدو

عليه الصلاح، إنَّه نبي الله شيث ثالث أبناء آدم والعوض الذي أكرمه الله به بعد ما حدث لابنه هابيل... قوم شيث كانوا يعبدون الله حق عبادة ويشهد عليهم ذلك ما نراه من صلواتهم وتضرعهم لله عزَّ وجلَّ وطاعته حق طاعة فكانوا يتكالبون دون كل.

ارتحلنا صوب قوم قابيل لنُبصر سكونهم وعلى حين غرة ظهرت العين ذاتها والتي برزت من المستطيل وهذه المرة حجمها كان أكبر من سابقها، دنا الكيان المُظلم حاملاً إيَّها بالقرب من طفلٍ صغيرٍ وأخذت تهمس له دون أن تلتقط أذناي الخبر، ما هي إلا دقائق معدودات حتى بصرنا الصغير وهو يسير أمام مارة القوم يلهو ويرقص بحركاتٍ لا عهد لهم بها فوقفوا يترقبونه، وقفوا متعجبين ومادحين، الطفل يُزيح القدم تلو الأخرى وأثناء ذلك يطرق على الصخر بالعصا فيُخرج أصواتًا متباينة تعكس مزيج الحركات، كان ذلك اليوم فارقًا في حياة القبيلة ومن بعدها تحولت الأمور...

الصغير صار عشرات البشر وضمنهم أحد أكثر رجال القبيلة شهرة وسطوة على الناس، الكثيرون تشاركوا الهرج وبدلاً عن ضرب الحجر ابتدعوا آلات تخرج المعازف وهنا تشكَّلت العين مُجددًا وأخذت تُلقي فحيحها السام داخل أذن الرجل القوي، فحيح صوتها هذه المرة اتَّضح لي، اخترق العقل تحت مُسمى "العيد"، فهلل الرجل وكأُتْمًا سيق لذلك الأمر وقال بصوتٍ هادر: "من اليوم سيكون لنا عيدًا كل اكتمال بدر وفيه سنرقص جميعًا ونصير أحرارًا..."، ما إن تمَّ الأمر حتَّى شهدنا العين الضخمة وقد تصبغت أطراف المستطيل الخاص بها كاملاً باللون البرتقالي وأسقطت ساعتها المزيد من الرمال لتختفي بعدها على الفور تاركة القوم على الرقص والتناوب فيما بينهم دون حاجب أو رقيب!!

مرَّ الزمن سريعًا لتعود الصورتين مُجددًا، صورة لقوم قابيل يلهون بأعيادهم المبتدعة وصورة لقوم شيث ما زالوا يعبدون الله حق عبادة ولكن مهلاً، هنالك أحد الرجال من قوم الجبال قد التقطت أذناه أنغام المعازف فاستجاب لها بدافع الفضول، ترك قومه وهبط للأسفل صوب السهول رغم أوامر شيث بعدم الاقتران بقوم قابيل أبدًا.

اختار الرجل يوم اكتمال البدر للنزول وقد كان طويل البنية، عيناه عسليتان ووجهه حسنٌ أبيض اللون، صفاتٌ أكسبته احتمالية أن تُفتن به النساء، نزل مُتقلِّبًا في الثرى على استحياء حتَّى وصل بقعة السهل ورأى ما لمعت له عيناه، نساء مُتبرجات يتراقصن يمينًا ويسارًا أمام الرجال دون اعتبارات دينية أو مُجتمعية، دنا منهم ثم توقف، ما زال ضميره يُذكره بالطاعة والبُعد عن المُنكرات ولم يلبث في صراعه ذاك حتَّى هاجمه الكيان المُظلم وقد عاد للظهور ومن بعده برزت العين اللعينة مرةً أخرى وقد احتلت مساحة شاسعة وتوالت سطوتها على النفس، همساتها باتت كافية لنسيان كل شيء، وعبر كلماتها المعسولة هرع الرجل نحو القوم

نازعاً من نفسه تعاليم الدين لتذهب أذراج الرياح، رقص واستباح جُلّ الأفعال ومع وجود النساء الحسنات فُتِنَ بهنَّ وفُتِنَت إحداهنَّ به، اقتربا وتلاحما، تراقصا وصارت المعازف وسيلة لإعواء القلوب لا الأذان وفي خلسة ارتحلا سوياً نحو إحدى البقاع المُستترة وعلى رمالها ارتكب سوءته مُتناسياً تعليمات نبي الله بل ومتناسياً الله نفسه فما أمامه آثار شهوته الكُبرى وأكمل فعلته الدنيئة ومعها أتى صوت الغريب قائلاً:

- أول حادثة زنا في تاريخ البشرية.

عُدنا مُجدداً لنبصر العين وقد اهتزت أركانها كناية عن النشوة ليصير لون أطراف المستطيل هو البنفسجي واختفت في الحال ومعها عمّ الخراب حيث سمعت صوت العين المُصاحبة لنا خافتاً:

- ومنذ ذلك اليوم رجع الرجل إلى قوم شيث وأخذ يقص عليهم ما رأى فمال له البعض وهرعوا ناحية السهول ليحذوا حذوه تاركين النبي الذي صار يدعو الجميع لعبادة الله والامتثال لأوامره ولكنه وبكل تأكيد واجه صعوبات كبيرة في ذلك...

أراد البشري الراحة ريثما يسترد عافيته ولو قليلاً، فنحن لسنا داخل حلم طبيعي، بل إن كل هذه المشاهد تؤثر على روحه وتخور لها قواه، بجانب أنه بدأ يستشعر الكثير من وخزات المطر بالخارج فقد صارت السُحب كثيفة ولكن رفضت العين المُجاورة له رفضاً قاطعاً:

- أخبرتك بأننا يجب أن نفرغ من حضارة البشر الأولى بأي ثمن فلا مجال للعودة وها قد بلغنا المنعطف الأخير، منعطف أبو نسلكم الحالي بأكمله، نوح صاحب السفينة.

استجمع الغريب قواه ليبتسم مُعبراً:

- نعم فأنت لن تُخبرنا عن "مهلائيل بن قنان" أول روح من البشر تُحارب قومك الجان وتلقنهم شر هزيمة.

انزعجت العين كثيراً ممّا ذكره وأردفت:

- ذلك الرجل تبغضه الكثير من قبائل الجان للحرب التي قادها ضدنا وهو من أسس أول حضارة في البشرية، مدينة "بابل" بلاد النهرين وجاء قبل إدريس مؤسس الحضارة المصرية ولكن كيف علمت عنه أيّها المتعجرف!

انتبهت العين إلى رغبة البشري في الحديث عن ذلك الرجل والذي يُدعى (مهلائيل) وهو أمرٌ شديد الحساسية يعكس رغبتها لتزيحه على الفور صوب العصر الذي سبق خروج الرسول نوح.

رأينا خمسة رجال يسيرون وسط الناس ويدعونهم جميعًا إلى عبادة الله الواحد الأحد، إلى الطاعات والصلوات والعجيب هو تأثيرهم العظيم في قلوب من يُحادثونهم من البشر كافة خصيصًا بعدما حدث في سوء السهول وقوم قابيل وشيث، وما لاقاه بعد ذلك إدريس من عناد القوم للرجوع نحو عبادة الله وحده، كان وجههم بشوشًا وعلى قدرٍ كافٍ من الوعظ والحكمة ولم يبخلوا ببنت كلمة بل استرسلوا وأرشدوا إلى الحق لتتدخل العين وتقول:

- هؤلاء الخمسة هم أساس كل شيء "ود، سواع، يعوث، يعوق ونسرا".

انتفض الغريب مرتعدًا:

- إذا قد اقترب طوفان نوح.

تبدّل المشهد لنرى خمسة قبور وعلى أحجارها أسماء الرجال الخمسة الصالحين وعلى وجوه الناس شجناً، قد رحل الصالحون عنهم وهم الآن سيكملون المسير. كانت تلك هي كلمات حاكم القوم وسيدهم فسارت الأمور كما يجب والجمع يتوافدون على العبادات حتى شهدنا تشكّل العين ضخمة الحجم من الفراغ لتطفو جوار الحاكم وتبدأ في فحيح همساتها الذي استمر لوقتٍ مديد فما كان من الرجل غير الحديث في الناس بصوته الهادر: "سنبني للرجال الصالحين خمسة تماثيل عظام الشأن عبر أمهر النحاتين وبذلك تُخلد ذكراهم أبد الدهر".

اختفت العين ومعها اضمحل كل شيء وتعاقبت السنوات وخلالها رأينا الرجال وعبر أجيال مُتقاربة يتوافدون صوب التماثيل ويدعون للرجال الخمسة أمام تماثيلهم التي كانت عظيمة وضخمة الحجم من الحجارة الصفراء الداكنة وقد توفى الله الرجال والحاكم وتبدّلت الأجيال إلى أن توقفنا أمام ظهور العين من جديد وهذه المرة لم تكن كمثلاتها؛ الكيان الأسود الذي يحويها تضاعف حجمه وبطبيعة الحال صارت قزحياتها أضخم بكثير عمّا كانت عليه أول مرة وعليه برز القرنان والسلسلة بتفاصيل دقيقة مثل أنّ القرنين بدا عليهما بعضُ الاعوجاج وخطوط عرضية تُشوه من مظهرها أمّا السلسلة فكانت مُتألّفة من عقد كثيرة ومتداخلة توحى بالقيد المتين، أخذت العين تهمس داخل أذن تجمع من الرجال، قالت بصوتٍ تلقته أذناي: "إنّ هذه التماثيل لا تعود إلى رجالٍ صالحين كما ظننتم في أسلافكم بل إلى آلهة أنزلها الله لكم ليثبتوا أفئدتكم على الإيمان والرُشد فكيف لا تعبدونها معه ولا تُقدمون لها القرابين فنتحسن أحوالكم ويُصيبكم الرزق الوفير".

كانت تلك الكلمات هي الشعلة التي أوقدت نارًا لن تنطفئ وما بين مؤيدٍ ومُعارض ذاع الخبر وتناسى القوم أمر الصلاح وأقروا بأن الخمسة هم آلهة ووجب عبادتهم جوار الله القابع فوق سبع سماوات فالبشر يميلون إلى الأشياء المادية وتصويرها وهنا تصبغت أطراف المستطيل باللون الأصفر الممتزج بالظلمة واقتربت الساعة الرملية من إنهاء كافة ذراتها بشكلٍ نهائي... تسارعت نبضات البشري وأقر:

- أوّل حادثة شرك في التاريخ بدأت من هنا!

جاء صوت العين حاسمًا:

- نعم وقد تفشّى أمره في شتّى البقاع حتّى طال قوم مصر والشام الذين تكاثروا وازداد عددهم بنحو ملحوظ في ذلك الوقت واستمرّ ذلك الحال طيلة سنوات حتّى جاء لرجلٍ يُدعى (لامك) مولودٌ سيصير أحد أشهر الرُسل ألا وهو أبو البشرية الثاني من بعد آدم (نوح) صاحب السفينة وشيخ المرسلين..

لا أعلم لماذا تسارعت دقّات قلبي؟، هل لشعوري بقرب حدثٍ عظيم وما سيترتب عليه من أمور غير قادر على التنبؤ بها... هذه المرة رأينا رجالًا ضخم الجثة عريض المنكبين وهو يدعو قومه في منطقة النهرين طيلة سنوات بل قل قرون، ارتحل قاصدًا شتّى البقاع، مصر، اليمن، بلاد فارس والشرق الأدنى القديم بأكمله، ناجى الأرواح بالرجوع والإيمان بالله وحده دون غيره ليتركوا بذلك عبادة تماثيل الصالحين الخمسة فهذا شركٌ وضلال ولكن دون جدوى، آمنَ به بعض الفقراء والضعفاء وارتدّ عنه الأغنياء المُتجبرين في الأرض ومع إلهام الرسول في الدعوة جاءه حفنةٌ من الأغنياء طالبين منه طرد الفقراء خارج واديهم عسى ذلك أن يُرضيهم فيقعّدوا معه وقد يؤمنون بربه فما كان من نوح عليه السلام سوى قول: "ما أنا بطارد الذين آمنوا... فصدّهم ذلك عنه وطغوا في البلاد أكثر وأكثر.."

تسعة قرون ونصف القرن لم تكن كافية سوى لهداية فئة قليلة جدًّا من القوم وبقيتهم وضعوا أصابعهم في آذانهم وصاروا يلهون بدعوته، يئس الرسول وغلب عليه الهم والحزن ولذلك دعا على قومه بأن يقبعوا في الضلالة وأن يُنق الله الأرض منهم ومن فسادهم...

رأينا الرسول حينها يقف جامدًا بعدما أتاه أمرٌ إلهي شديد الغضب والوعيد، تصنم للحظات وهو يقبع داخل أحد أودية الصحراء القاحلة رفقة المُتجبرين الذين استهزأوا بدعوته.. اتّجه نوح صوب مُخصص على الرمال وأخذ يتحدث عن بنائه أعظم سفينةٍ على الإطلاق فالطوفان

المُهْلِك قادمٌ لا محالة بعدما أخبره الله بأنّه لن يؤمن من قومه أحدٌ آخر توازيًا مع تجبُّر هؤلاء لدرجة أمرهم للرسول بأن يأتيهم ما وعدهم إن كان من الصادقين!

أخذ نوح بجسمه الضخم يزرع الأشجار واضعًا البذور أسفل التربة، مُنتظرًا نموها واستطالتها وصارت الانتقالات سريعة لتذهب بنا بعيدًا حيث سنوات المستقبل قالت عنها العين المُجاورة لنا بأنّها قد امتدت لأكثر من خمسين عامًا وهنا جاءت الرؤية واضحة، الرسول يحصد أخشاب تلك الأشجار الشاهقة ليجمعها سويًا بعد تقطيعها ويثبتها بمسامير حديدية كبيرة الحجم، لمحت هنا ضوءًا خافتًا جوار الرسول فهل يعنى ذلك بأن طريقة صنع السفينة نفسها جاءت عبر ملك مُنزل ووحى من الله إذًا... ما أخرجني ممّا يعصف به عقلي هو صوت الغريب قائلًا:

- مسامير حديدية وفي حضارة البشر الأولى، والبعض يعتقد كونهم أصحاب الجحور!

ما لاحظته هو صمت العين المُجاورة لنا، لم تنطق ببنت شفة رغم التساؤلات المُتباينة فهل تخشى الأحداث القادمة لهذه الدرجة!

شهدنا نوح الرسول وهو يُكْمِل بناء السفينة ولكم كانت شاسعة، هائلة الحجم ليس كمثلها شيء على تلك الأراضين، صرح عظيم مُكون من ثلاثة طوابق أعجز حتّى عن وصف مقاييس حجمها بدقة، أهي باتّساع مدينة صغيرة هذا الوصف يكفي بحق؟ لا أعلم ولكن يبدو أنّها تتحصّر لحدّ جلال يلزم سفينة تحمل على أخشابها الأرواح القادمة من الكون وأثناء البناء وبعد إتمامه أخذ قوم نوح يتوافدون عليه ساخرين، كيف يصنع هذا الرجل سفينةً في الصحراء...!

بصر نوح عليه السلام حدثًا ما لتجحظ عيناه ويهرع إلى مَنْ آمنوا به وهم قلة بغية جمعهم لركوب السفينة، لم تكن تلك الأرواح من البشر فقط بل العديد من الحيوانات بشتى أنواعها، المفترس منها والأليف، الذي يمشي على أربع والذي يزحف دون أرجل، الطائر والراجل وغيرها وكان من كل نوع زوجان، العجيب في الأمر هو طاعة الحيوانات المُطلقة لنوح عليه السلام وعدم مُهاجمته وكأنّما شعرت بقرب الحدث الذي سيسحق جميع المتخلف عن السفينة أم أنّ ربّها أمرها بالانصياع... تبدّل المشهد لئبصر ما رآه الرسول وجعله يهلع بتلك الشاكلة، عيونٌ في الأرض بل على رمال الصحراء جاءت من العدم كأنّها التنور الذي يُخبز فيه العيش، انفجرت منها المياه مرةً واحدة دون سابق إنذار وبالطبع هذه هي علامة الطوفان...

ركب الجميع السفينة يتقدمهم نوح وأولاده الثلاثة وقد تخلف عنه ابنه الرابع وامرأته فغضب لذلك وبصوتٍ هادر أراد منهما اللحاق به ولكن دون جدوى وبصيره الذي طال تسعة قرون بل وأكثر لم يجزع بل استمرّ في طلب ركوبهما معه رغم الإنذار الأخير وها قد صرنا على

مقربة وشيكة من الطوفان الأعظم في تاريخ البشرية بأكمله... سربٌ عظيمٌ من الطيور يُحلق في الهواء خيفةً من شيءٍ ما، السماء الصافية تتلبد بالغيوم وعلى حين غرة، بعض الحيوانات الزاحفة تهرع نحو الجحور، ضوء الشمس صار خافتًا شيئًا فشيئًا حتى غابت أشعتها تمامًا فقط القليل من الضوء يُنير المشهد الأخير ونوح على رأس السفينة يُنادي قومه: “الطوفان قادم فاصبروا وثبتوا..”

آلاف السُحب قد تجمعت في الأعلى تتخبّط فيما بينها لكثرتها، الأرض صارت تهتز وأعين شبيهة التنور باتت منتشرة في شتّى البقاع، الكافرون ينظرون إلى الأعلى ويشعرون باهتزاز أقدامهم غير مُدركين شدة الحدث القادم، ومرةً واحدة انفجرت السُحب، نعم هذا هو التعبير الأدق لما آراه الآن!! شلالات من المياه تهطل من فوق الرؤوس بشاكلةٍ لم أرَ مثلها من قبل، الأرض انتفضت وثارَت كالبراكين لتُخرج من أركانها فيضانات من المياه من كل صوبٍ وحذب، اجتمع الاثنان لتشكلا ريجًا عاتية وأمواجًا ما زالت تستزيد من طولها وعظمتها، الكافرون يصيحون: “اهربوا إلى أعالي الجبال، هذا والله نبيًا عظيمٌ”، نوح فوق السفينة يُنادي: “يا بُني، يا (كنعان)، اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، يا بُني هلم إلى السفينة فتنجو رفقة المؤمنين فوالله لن ينجو من هذا الطوفان كافرٌ واحد..”

صوت نوح كان عذبًا به من الحزن والقهر ما لم أسمع به يومًا، أب يُناجي ولده، مؤمن يُخاطب قلب كافر والنتيجة هي الظلمة، رفض كنعان الانصياع لأمر أبيه وقد كان جسمه ضخمًا أيضًا، اغترَّ بذلك وقال بصوتٍ أجش: “لن يُغرقتني ذلك الطوفان ساوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء.”

اختار كنعان الصعود إلى أحد أطول الجبال في المنطقة وسفينة نوح تُصارع الأمواج التي استوحشت وأكثرت من ضخامتها، الوقت يمر والطوفان لا يهدأ، ها هم أول الغارقين، بضعة من الكُفار أصابتهم المياه المُتسارعة فجرقتهم عبر أمواجها إليها ليغرقوا في قاع المُحيط وإن كان لفظ مُحيط هو أضعف بكثير ممَّا آراه، نوح ما زال يُراقب ابنه كنعان وهو يُصارع الفيضان صوب قمة أحد الجبال وقد صارت الأمواج كالجبال، موجة هائلة طولها بلغ مئات الأمتار على مساحة شاسعة اندفعت نحو جبل كنعان فوقفت حائلًا بينه وبين أبيه المُتألم والذي حاول مُراقبته عن كثب فصعنت سدًا منيعًا حالت بينه وبين رؤية ولده وهو يغرق، كان غرقه شديد البأس والمياه صارت أقوى من الذخيرة والبراكين، لم ترحم ولن تترك أي كافرٍ بعد الآن على تلك الأراضي...

تراجع نوح خطوات إلى الوراء وقد عَلِمَ غرق ابنه ونهاية حياته، هنا وفي ذلك المشهد العظيم تجلّت رحمة الله وسط غضبه وعذابه، رحمته برسوله بعدم رؤية ابنه وغضبه عليه وإغراق جسمه الذي مزقته المياه المندفعة رغم ظن حماية الجبل له ولم يقف أمر الله على كنعان فقط بل امتدّ وطال الجميع، الطوفان ومياهه لم تقتصر على بقعة واحدة بل بلغت مساحات شاسعة، السفينة تتخبط وتتمايل رواحًا وجيئة بين الأمواج الشاهقة وهي تمر على البلدان والمُدن، رأينا العراق، اليمن، مصر وغيرها من بقاع الشرق الأدنى القديم، حضارات بأكملها وبنائيات تتهدّم وتندثر تحت المياه، الكعبة لم تسلم أيضًا وقواعدها تغرق بالأسفل، هرم إدريس وحضارة ناشئة، بنايات مهلائيل وأجداد نوح في بابل واليمن تتهدّم وتندثر، تماثيل الرجال الصالحين الخمسة تتحطم فلم يبقَ منها شيء، وهنا ولأول مرة منذ بدء الطوفان نطقت العين وقالت:

- لم يسلم قومي أيضًا من الطوفان فقد هرب الكثير منهم إلى قاع المياه ومنهم من طار لأعالي السماء ومنهم من غادر تلك البقعة بأكملها بحثًا عن النجاة، ما زلت أتذكر هول الطوفان على نفوسنا وكيف كان غضب الله حينها، قد طالت المياه الكافرين أجمع ولم تترك روحًا واحدة، لا أعلم المدة التي استغرقها الطوفان تحديدًا فقد هربت خيفةً منه وقيل أربعين يومًا بل وأكثر من ذلك بكثير، خلالها طافت سفينة نوح على المياه وصارع أهلها خوفهم من المشاهد التي رأوها وكيف تهدّمت حضارة البشر الأولى بأكملها، لم يبقَ شيء حتى دثرت المياه وأطاحت بوجوده. اكتملت الومضات ومعها هدأت الأمواج أخيرًا وتُركت المياه بعلوها ثابتة لنشهد أعين البشري وهي منبثقة إلى الأمام وهو يقول:

- الآن فهمت كل شيء، الطوفان أهلك جميع البشر لا شك بذلك دون أهل السفينة، لم يطل العالم بأكمله بل تلك البقعة من العالم وتلك البقعة أيضًا هي التي شملت جُلَّ أهل العالم حينها فلم يكن عدد البشر قد اتّسع واستزاد بعد، فقط الترحال ارتبط بمنطقة الشرق الأوسط حاليًا دون بلاد الغرب وأفريقيا وأعدادنا لم تكن كثيرة إلى ذلك الحد فنحن نتكلم هنا عن أكثر من عشرين قرنًا تقريبًا منذ خلق البشرية، هذه هي الإجابة التي أردت، طوفان أبينا نوح كان عالميًا على البشر ومحليًا في سطوته على الأرض فلم يكن بحاجة إلى الوصول إلى أماكن أخرى وبذلك قد نجت العديد من الحيوانات غير أهل السفينة والتي كانت تعيش بعيدًا، بعيدًا جدًا عن هنا...

استنتاج حكيم للغاية ومع خيم الصمت على الأجواء فما زالت الأنفس تحمل رهبة خالصة لما رأت من مشاهد الموت والدُعر والتي ستمكث داخلنا طويلاً.. رفع نوح يديه إلى السماء داعيًا ربّه بأن يصفح عن ابنه كنعان فهو من صُلبه فجاءه الرد حازمًا بأنه ليس من أهله إنّه عملٌ غير صالح فاستغفر وتاب إلى الله وقد عَلِمَ بأنه استغفر أم لم يستغفر فمصير الكافرين محتوم، نارٌ حامية لا خروج منها أبد الدهر.

أتى صوت العين وهي تُخبرنا بأن السفينة وبعد طيلة تلك الأيام رست على جبل الجودي بعد أن أمر الله السماء أن تمسك مائها والأرض أن تبلع ماءها فأخذت المياه تتناقص حتى وأخيراً ظهرت اليابسة لتبدأ رحلة جديدة، رحلة سيكون أبطالها فقط هم ذرية نوح عليه السلام المتمثلة في أولاده الثلاثة وهم، (سام، حام ويافت) وقد انقطع نسل بقية المؤمنين الذين ركبوا معه...

نظر الغريب إلى السماء ثم أطلق العنان لبصره، يدها ترتعشان جرّاء الطوفان وما شاهده، السمع يختلف عن الرؤية والعقل ليس قادرًا على تحمل الكثير، جاء صوت من العدم وعلى إثره شهدنا مجسمات أمامنا وكأنّها سلسلة ما مررنا به من قبل، السماء، الأرض ونزول آدم وزوجته، صخرة قابيل وتصبغ العين الضخمة باللون الأحمر، جماعة السهول والجبال، أول حادثة زنا في تاريخ البشر واختلاف حال قوم نبي الله شيث وقوم قابيل ثم تصبغ العين كاملة باللون الأصفر، ذرية آدم وهي تبني حضارات بلاد الرافدين وضمنهم بابل، إدريس النبي الثالث ولسانه الفصيح، علوم ومملك مُصاحب ثم كتابات بأيدي النبي وأول هرم على أرض مصر، الرجال الخمسة الصالحون وتمائيل تعكس حضارة عظيمة، ثمّ العين مرةً أخرى وأول حادثة شرك في التاريخ وأخيراً نوح الرسول ضخم البنية شديد البأس وسفينته الشاهقة وختام الأمر الطوفان العظيم... جاءت تلك الومضات قوية مُرجفة للنفس ومعها قالت العين المُجاورة:

- انتهت حضارة أجدادك الأولى وحان ميعاد بدء عصرٍ جديد.

الفصل الثالث

عالم الجان

بدا على وجه الغريب التأثر بما رآه عبر رحلة ازدانت بعقب الأجداد وفي خضمّ سكونه شعر ببعض الآلام ورجفةً كانت دافعة لقول:

- يبدو أنّ المطر قد استوحش وجسمي غير قادر على تحمله، ينبغي أن أعود.

تبدّدت العين رويدًا رويدًا إلى أن شعرت بقوى جاذبة تدفعني للخارج ومعها رأيتُ الجسم البشري وقد دثرته المياه لم يتبقّ سوى رأسه أسفل أحد التمثالين، هرع واقفًا وسط غبشة الليل وأزاح قدمه للأمام، يبدو على وجهه الإعياء عكس ما كان منذ أمِدٍ قريب، تلك الرؤى تستنفذ من روحه ولكل معرفة ثمن، العجيب هو رؤيتي للصخور الموزعة بشكلٍ دائري من حولنا وقد أصابها عوامل التعرية بنحوٍ لا يبدو منطقيًا على الإطلاق فكيف حدث ذلك في بضعة ساعات، لاحظ الشاب ذلك ولم يتحدث عنه اكتفى فقط بمتابعة ما أصاب الصخور المحيطة به وأخذ يسير بضعة خطوات نحو الأمام مُهمهمًا، ما زال الليل لم يبلغ منتصفه بعد، ركض نحو وجهةٍ ما وسط رمال الصحراء الضخمة تاركًا بذلك البقعة التي تصدر من ذرّات رمالها الطاقة الكافية لإدخاله في عالم مواز حتّى توقّف عند صخرةٍ متوسطة الحجم تتقدم كهف أجوف شديد الظلمة قد اعتلتها رسومات أخرى لكائنات واجهها السلف تطير وتُحارب!، وضع يده أسفلها وهو يقول:

- أمتأكد أنّك تركته هنا؟

ما هي إلا لحظات حتّى أخرج وشاحًا سميكًا ذو رائحة عفنة للغاية وعاد أدراجه حيث التمثالين، مكث أسفل الصخرة الأخرى ذات التكوين الفريد فمن الأعلى تشبه المظلة، دثر جسمه بالوشاح الذي كان عريضًا للغاية وقد شعرت حينها بأنّه رداءً خاصًا لم يأت به عبثًا، جلس القرفصاء بجانب التمثال الأول ثم قال:

- الغيلان تطفو بالقرب منّا، ينبغي الإسراع حتّى لا يعلم بمكاننا الآن فذلك الوشاح لن يُعيقهم كثيرًا، لنندف نحو عالمكم وتروي لي الحقيقة المطلقة...

غطّ في نوم عميق بعدما بصرتُ آثار أقدام كبيرة الحجم اقتربت منه ومعها اندفعت مُجددًا داخله، الرحلة الثالثة باتت قريبة على ما يبدو.

تلك المرة مُختلفة بحق، الأجواء مُظلمة للغاية، الضباب يُحيط بكاهل الغريب، العين المُجاورة له صارت أكثر بروزًا والصمت خيم على الأرجاء، ومضات سوداء تُحيط بنا لتُصيبني بالعمى المؤقت، ارتفع جفني إلى الأعلى ومعها صوت العين جاء صاخبًا:

- الآن ستعلم كل شيء عن عالم الجان...

على الأرض بصرنا عددًا غيرًا من الكائنات الموحشة، قرونًا، جلود حمراء، أخرى سوداء وهنالك من قبعت عليهم الزُرقة بالإضافة إلى اللون الأبيض والذي اندهشت لانتساب بعض الجان إليه، يصطفون في جماعاتٍ مُتفرقة يجأرون بصوتٍ هادر كاد أن يُطيح بأذني، سُحبنا بعد ذلك إلى الأسفل، ليس أسفل الأرض بل الماء، غُصنا مئات الأمتار ومعها انقشع الضوء شيئًا في شيئًا، على امتداد البصر كائنات أخرى تلونت مسامها بالأبيض وامتدَّ جسدها كما المطَّاط، مرونة لا توحى بأنَّها تحوي عظامًا من الأصل!! قبل المغادرة لاحظتُ وجود مبانٍ على ارتفاعات شاهقة بجانب تلك الكائنات وكُرتسي ضخم كما العرش!!

تمثَّل لنا بعد ذلك عدد غير من الكائنات الخالية من القرون ذات الأظافر طويلة الحجم والجسد الذي يبزر منه جناحات صغيرة ذات قوى دفع هائلة تطير بها تلك الأرواح عبر السُحب وترتفع أكثر فأكثر، وقبل أن ينطق الشاب ببنت شفة باغتتنا نورٌ ساطع أزاح الأنظار عن مصدره لشدة تأثيره، تحرَّك النور تباغًا من بقعةٍ إلى أخرى ولم يُضف ذلك أي شعور داخلي بالخوف ممَّا دفع الغريب للسؤال عن ماهية الضوء وأصحابه لتُجيب العين:

- هؤلاء هم أجداد جان نصيبين الذين استمعوا إلى الرسول محمد وهو يتلو القرآن وحفنة من القمرين.

جاء صوت الغريب مُتذكرًا:

- سورة الجن.

مع استمرارية ما نحن عليه علمتُ بأننا نتوغل صوب عالم الجان وسنكون قريبين للغاية منهم!

- سبق وأن أريتكم سوميا أبونا جميعًا ودعواه لنا بالخصال التي تجعل في أجسامنا قوى عتية عبر تلك الأراضي، ما بعد خلق البشر اختلف كل شيء وتوقفت حروبنا لمجيء خلقٍ جديد وقد علمنا بأن أيام سطوتنا على تلك البقاع قد ولَّت وسنشهد الكثير من الأمور لذا تركنا الحروب جانبًا وبدأنا في تأسيس دويلات خاصة بنا، نحن عشائر الجان..

كانت تلك الكلمات من العين لتذهب بنا نحو بُعدٍ آخر، شاهدنا خلاله حديث آدم مع أبنائه حول قرابين الزيجة لنتركهم ونذهب إلى بقعةٍ أخرى بعيدًا عنهم، إلى طبيعةٍ مُغايرةٍ وأنفاسٍ قومٍ غِلاظ، صُعِقَتْ لرؤيتي مئات الملايين من عناصر الجان يقفون بالقرب من قابيل أثناء حرثه للزرع دون أن يشهدهم، صوتهم صاخبٌ للغاية ولا يسمعونهم، وقفوا صفوفًا مُتباينةً كما أشكالهم التي برز من بعضها حُمْرة النيران وآخرون اكتفوا بتلك العين المنبثقة والجسد الملتوي. جاء صوت العين وسط ذلك المشهد:

- سبق وأخبرتكم بأنَّ حرب الجان قد نشأت بين خمس ممالك، هنا نحن نرجع إلى السِّلْم بعد أن خُفنا البشر وسطوتهم وكانت أولى الطُرق هي تقسيمنا إلى ستة ممالك لسته ملوكٍ عِظام مُتباينين فيما بينهم شكلاً وصفة.

تابعنا تحركهم لنرى ما انعقد له الجبين، صوتٌ من أعلى يقول: “انتهت حرب الجان العُظمى وكفى خراب الأرض، استبدلنا الله بقومٍ آخرين ذوي خِصال لم نتبينها بعد لكن وتحقيقًا لدعوة أبينا سوميا لاحظنا أنَّ أعينهم لا ترقب تحركاتنا ولا يتداخلون مع عالمنا لذا أرف ميعاد الإرشاد”.

اصطف الجان مُنظمين فإن اكتمل العدد ثلاثمائة فما فوق العشرة آلاف قيل لهم “عشيرة” وإن أصبحوا مئة ألف أو يزيد دعوهم “قبيلة” وإن شمل العدد ملايين الجان شكلوا “مملكة” وكما ذكرت العين شكَّلت الممالك الستة، وقد لاحظنا الكثير من فصائل الجان وهم يُطردون خارج تلك الممالك إمَّا للضعف، عدم رغبة الملك أو النبوذ. جاء الصوت القادم ” من الأعلى مُجددًا يقول: “انقسم أفرادنا ولكلِّ مَنَّا علامة وقوانين لا خروج عنها، سيكون تقليد لملوك الجان ارتداء التيجان وألوانها سنتباين بينهم حتَّى تُصبغ قبيلته بلون تاج ملكها، الكون فسيح ولن يتعدَّ أحدنا نطاق سطوته”.

شرعت العين في شرح ما سمعناه، أخبرتنا بأنَّه وبعد ذلك التقسيم أخذ كلُّ ملكٍ عشيرته التي تجاوزت ملايين فئات الجان نحو منطقة خاصة بهم لا يقدر أفراد المملكة الأخرى على بلوغها وإلا تمَّت معاقبتهم بالسجن الأبدي أو الموت، وأيضًا كان لكل ملكٍ يومٌ خاص به خلال دورة القمر يستطيع أفرادُه بلوغ شتَّى البقاع آمين دون حرج، القوانين كانت صارمة لتجنب وقوع حربٍ أخرى ولقمع سطوة البشر والالتفات إلى ما سيحدث معهم وما نجهله نحن.

تساءل الغريب هنا:

- وماذا عن غير المنتمين إلى الممالك!؟

سأخذ من إحدى بقاع الماء موطنًا لي وعلى سطح البحر سأقيم العرش وليكن من أسفلي الشياطين ومن حولي مرده الجانوحيث يقبع ستحدث الغرائب وتختفي المادة فلا يقرب أحد من ذلك المكان المقدس إلا وأصابه ما أصابه، سأنتظر الشرك بالله، القتل، الزنا والتفرقة بين المرء وزوجه وشيطان هذه سأقربه من مجلسي ويصير أُمير الخدم”.

زار الجمع الغفير كما الوحوش فجاء صوت البشري أتى خافتًا:

- أفعل ذلك تشبهًا بالله! وما أشقاه، أعلم بأنه وقبل بداية الخلق كان عرش الله على الماء وقد اصطفى الله لذلك الأمر المهيب ثمانية من الملائكة لتحمل عرشه، أحدهم ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام...، يحني ذلك الملك ويقول، سبحانك ربي ما أعظمك، وإنَّ المسير ما بين السماء والأخرى مسافة خمسمائة عام حتَّى إن انتهت السماوات السبع كان الماء وفوقه عرش الرحمن، وإنَّ السماوات السبع والأراضين السبع وما بينهما إلا كحلقة أُلقيت في فلاة بالنسبة إلى الكرسي والكرسي هو موضع قدمي الرحمن عزَّ وجلَّ وإنَّ الكرسي ذاته كحلقة أُلقيت في فلاة بالنسبة إلى العرش الذي يستوي عليه الرحمن، فكيف نحلف بالله الكذب وكيف نعصيه؟!... الشيطان اللعين يعي عظمة خالقه لكن الكبر تفحَّش داخله وهو آفة الضالين، الله وفوق عرشه المهيب يسمع دبيب النملة السوداء تحت الصخرة الصماء في الليلة الظلماء فسبحانك ربي ما أعظمك.

اضطربت العين لتلك الكلمات التي أثقلت الكاهل وأوحت بمزلة وخضوع سرت مسرى الدماء، بدا على وجه الغريب الحنق وقد نفر الشريان أعلى جبينه فالمكائد والفتن تمَّ عقدها منذ آلاف السنوات ولن يتركنا نسل الشيطان إلا إن ابتغينا الإيمان، ما أخرج من تلك الحال هو سماعه للعين تتحدث عن الجان المحلقين رفقة الكويكبات خارج حدود الأرض لننتقل إليهم ونرى مجموعة من الجان ذات الأجنحة البارزة تُحلّق رفقة ملكهم فيلتمس كل واحدٍ منهم نجمًا كان أو كوكبًا فلا يُغادره أبدًا، سرعتهم تجاوزت الضوء بكثير فلا أقدر على لمح تحركهم ولو لثانية واحدة وبتلك الشاكلة يصلون إلى السماء الدنيا فيسترقون السمع، هنا تحدّثت العين:

- هم أتباع أبانوخ، الجن العلوي أو القمري الذين هجروا الأرض وما عليها فصاروا يُحاكون السماء ظنًا منهم بالخلاص ولكن هيهات فلم يغفل إبليس عنهم والبشر الطُغاة فسيتّم تحضيرهم بأعتى أنواع السحر، السحر النوراني.

وأما الغريب برأسه وقال:

- أعرف رجلًا من بني جنسنا استخدم ذلك السحر ألا وهو (النمرود).

انبثقت العين من موضعها وخيم الصمت قليلاً في إشارة إلى قرب الحديث عن ذلك الاسم المذكور. الظلمة تستمد طغيانها من الأجواء شيئاً في شيئاً، طغت على أبصارنا وسادت وعلى غير العادة وقتاً مديداً لم ينبت فيه أحد ببنت شفة لتفتتح العين داخل غرفة صغيرة الحجم وعلى فراشها جسد مُمدد لشاب لم يتجاوز الثلاثين بعد، غطّ في نوم عميق وهنا باغتتني شهقة وذعر مكتوم، خرج من أعلاه كيانٌ مُظلم وحلّق رفقة ضوءٍ ما، ليأتي صوت العين:

- بعد معرفة التاريخ سندلف إلى أنواع الجان، الجاثوم أكثر من يعترض طريقكم.

أخبرتنا العين بأنه وإذا نام البشر مرّ بأنماط النوم كافة حتى يصل إلى المرحلة الأخيرة "النوم العميق" أو كما يقولون هم "الموت المؤقت" وسُمي بذلك جرّاء آية يقول الله فيها:

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢)) [الزمر: ٤٢]

والمعنى هنا أنّ الروح تصعد إلى الأعلى عندما يغلب الجسم النوم تاركة إياه خاوياً، جان الجاثوم يعلم ذلك جُلّه ولذا إن سُلط على أحدهم فانتظر ثباته العميق ونحن الجان نرى الروح بكل تأكيد فما تلبث أن ترتفع حتى يُراقبها بغية انتظار نزولها قبيل الاستيقاظ... قطع المشهد صوت البشري قائلاً: - علمتُ أنّ أرواحنا عند خروجها أثناء النوم تتعرض لثلاث، إمّا رؤية من الله فتكون عبر ملك التقطها فأراها ما يتحتم عليها، إمّا عبث وعلقٌ باطن يستجيب لصاحبه الكثير الفكر فتهيم في الأرجاء وتُطلق ما يُدعى "أضغاث أحلام" كأن يحلم شاب بفتاة أحبّها ولم يظفر بها أو رؤية شلال من المياه وقد نام الجسم ظمأً، إمّا الثالثة فهي ما تخصصكم وأن يتلقف الروح نفرٌ من الجان ويكون ذلك في حالات إمّا السحر المُسلط وقد يكون جاثوماً...

لم تنطق العين بل بدا على حدقتها الإعجاب بما سمعته أو الاندهاش أيّهما أقرب لننتقل بأبصارنا إلى الغرفة مُجدداً والأحداث التي شرعت في البدء، روح الجسم النائم ما زالت بعيدة عنه ولا نقدر على رؤيتها بكل تأكيد بل نستشعر انبعاث الطاقة منها فقط، لحظات حتى بصرناها تُسرّع صوب صاحبها النائم ومن خلفها ذلك الكيان المُرعب ذو اللون الأسود القاتم، ماذا يُريد أن يفعل بها!! ها هي الروح تدلف نحو جسمها ليستيقظ وقبيل اكتمال الأمر نازعها الكيان الأسود فصار يدثرها مزيحاً أطرافه أجمعين ليخلق دائرة شبه مغلقة على جُلّ الروح وما إن حدث ذلك حتى شهدنا الجسم المادي يرتعد، شفاته تتحجران وأطرافه غير قادرة على الحركة، صوته لا يكاد يخرج وما زالت أطراف الكيان أعلاه تُحيط بروحه قدر استطاعته بل إنّه استوحش فبدت أطرافه كما الخطاطيف تُجهز على الروح بالنعزات وفي ناحية موازية الجسم يتصعب عرفاً وكاد أن يطيح!

انتقلنا على حين غرة نحو فراشٍ آخر يحمل سيدة تُعاني أيضًا من فُرب الجاثوم منها، اقترب من روحها وبدأ في دثر أطرافه، أصاب جسمها رجفة كما ذلك الشاب ولكن... توقف الأمر مرةً واحدة.

ارتفع صوت الغريب:

- بماذا تُتمتم تلك المرأة؟

لم ترد العين وجاء المشهد التالي عظيمًا، الكيان الأسود أصابه وابلٌ من الطاقة مصدره جسم المرأة نفسها وروحها معًا، أطاح به في لحظات وقضى عليه ليسير في غياهب الظلمات ومعها استيقظت السيدة فزعة وهي تقول: أستغفر الله العلي العظيم...

أخبرنا بأننا قد بصرنا للتو آلية عمل ذلك النوع من الجان وهو الجاثوم، الذي يعتمد في اندماجه بالبشر على قبض الروح فتؤثر تباغًا على جسم صاحبها القابع أعلى الفراش، يشعر حينها بأنه مُقيد من كل جانب، لا يقوى على الحراك ولو حتى ظفر السبابة من يديه، لسانه شلٌّ فصار ثقيلًا لا ينطق بالنجدة وأحيانًا قد يشعر أحدهم بوجود كيانٍ ما أعلاه يسعى للولوج إليه دون أن يُدرك السبب!

- إذاً جميع تلك الأعراض سببها ما رأيناه للتو وكيف ينشر الجاثوم أطرافه فتُعيق الروح والجسم معًا

خرجت تلك الكلمات من البشري فردّت العين سريعًا:

- حالة السيدة هي الخلاص والذي يتمثل في قراءة آية الكرسي التي كانت تُتمتم بها فهي خير حافظٍ منه، إن كان باللسان أو القلب أو حتّى العقل، المهم أن يُراود الشخص تذكر الآية فلا يُنسيه الخوف حروفها...

توقف الحديث لتأخذنا العين إلى موقفٍ سابق رأينا فيه السيدة التي انتصرت على الجاثوم منذ قليل وهي مستيقظة تلتف بحجابها مُمسكة كُتيب ديني، قرأت خلاله أذكار المساء، آية الكرسي، المعوذتين والإخلاص لتتركه جوارها وتنام هانئة ومعها جاء صوت العين:

- ما فعلته السيدة قبل النوم كان مثل حصن قوي غلّف جسمها وكان سببًا في تذكرها لآية الكرسي وقتما هاجمها الجاثوم، لأرواحكم طاقة وحصنها يزداد بالآيات والذِّكر، قراءة القرآن ليس عبثًا لكم فهي تحمل الكثير من الكنوز.

رجعنا مرةً أخرى إلى الرجل الذي لم يقدر على كبح تأثير الجاثوم وصارت روحه مُغلَّفةً بالكامل بهذا الكيان الأسود، قبع على تلك الحال دقائق معدودات ليرحل ونسمع صرخات الرجل بعدما أفاق من نُباته، صار يتلفت يمينًا ويسارًا وقد أصابه شللٌ مؤقت تاركًا جسمه مُمددًا بعد أن فقد عقله للحظات، هنا علمنا بأنَّه لا يأبه بتلك التعاليم الدينية ولربما ساهمت ذنوبه المتوالية في اهتراء روحه وفقدان حصنه.. يا لها من نصائح قيِّمة وذهب معرفي يفوق ثمار الأرض، وقد استبشر البشري بما رأى لتصدمه العين بمقولةٍ فحواها:

- الجاثوم يُعد من أضعف عشائر الجان وخطره يكمن فقط في كثرة تردُّده على البشر، وإليك الآن أحد متوسطي القوة، الغيلان.

صحراء جرداء تزدان بغبشة الليل وعواء الذئاب، سيَّارة ماضية في طريقها تحمل داخلها ثلاثة من البشر يسيرون مُهرولين مازحين ليُصعقوا بروية ضوءٍ خفي ظهر من العدم، أشار أحدهم قائلًا: "ما هذا؟!!"

ليرد الآخر: "رُبَّما أناس ضلُّوا طريقهم وسط رمال الصحراء".

حوَّلوا وجهتهم صوب النور وقُبيل الوصول انقطع وغاب، صُعِقَ الثلاثة وما لبثوا أن استفاقوا حتَّى رأوا النور يظهر من العدم مرةً أخرى في مكانٍ موازٍ لما هم فيه ومُجددًا قصدوه والنتيجة واحدة، لا أحد هناك إلى أن انقطعت الأضواء تمامًا ووجد الثلاثة أنفسهم داخل عمق لم يبلغوه طيلة حياتهم في تلك الصحراء الشاسعة، عقولهم لم تُدرك ما هم فيه وكأنَّهم ماشية تُساق وما لبثوا طويلًا حتَّى رأينا ما يندى له الجبين، الثلاثة يُواجهون أمامهم كيان تشكَّل من العدم، صوته غليظ وهيئته لا تعكس الملامح، الكثير من الصرخات تُعلن النهاية...

- هذه هي الغيلان أحد أحقر قبائل الجان وكما رأيتم سابقًا علمتم ما هي أعدادها وهم من سكنوا أغوار الصحراء وما خلف الكهوف، رفقة الأقرام هم الأكثر قدرة على التحول إلى حيوانٍ كان أو بشر وقد يتشكلون بالقرب من البشر وجوار مساكنهم وهي حالاتٌ قليلة وأثناء تحولهم تخرج من أجسادهم طاقة على هيئة ضوء ساطع.

جاءت تلك الكلمات من العين لتُخبرنا بعدها أنَّهم من فئة الجان متوسطي القوى وقادرون على الإطاحة بالعقول قبل الأجسام، من أكثر السور التي تُعيقهم سورة "الجان" وسورة "الدُّخان" جوار الأنكار وعدم تتبع مسارهم أبدًا خصيصًا حيث تمركزهم داخل البادية.

- ذكرت أنَّهم مُشابهُون للأقرام فماذا عنهم؟

خرج ذلك السؤال من البشري فأخبرتتنا العين حينها بأن الأقرام إحدى فئات الجان المُتناثرة و عددها قليل فهي تُمثل عشيرة فقط تُسخر من قبل السحرة وتتحول داخل المنازل لذا هنالك بعض حالات المسحورين الذين حلموا بمشهد السير داخل المنزل إلى أن يروا ذلك الجن القزم وعند إمساكه يفر هاربًا ولا يعود أبدًا.

هنا صار البشري يروي أحداثًا سابقة عن أناسٍ يعرفهم جيدًا قد تعرضوا لمثل تلك المخاطر في أحلامهم بل وامتدَّت لتطولهم أيدي هذه المخلوقات ضربًا فيستيقظون فرعين، انشغل باله بذلك متأفّفًا.

- عالمنا خصب وبه الكثير من الأسرار فلا تُرهق نفسك بالماضي فمهما حاولت ستكتشف المزيد.

خرجت تلك الكلمات من العين ومعها أذنت بالانتقال إلى النوع الثالث ورؤية رضيعًا يصرخ بين يدين أبيه وصوتها هامسًا، يتحدث عن العنوان القادم، "القرين".

ما أجملك يا صغيري، جاءت كلمات الأب حنونة على مولوده الجديد ولكن لم نأبه لتلك المشاعر أبدًا بل لما يتكون حوله فمن خلف الطفل ظهر ضوءان عظيمان على كتفيه يُمثلان الملكان اللذين سيُدونان عند بلوغه مسعاه، بُرهةً من الوقت كانت كافية لمجيء ضوء آخر أسود اللون يُمثل كيانًا مُنفّرًا للعين له جسم

هُلامي وأظافر طويلة الحجم تعكس مدى سطوته ولكن ما هذا؟! وجهه اتَّخذ شكل الطفل تمامًا غير كونه ممسوح الفم!

ارتعد الغريب قائلاً:

- إذاً هذا هو رفيقنا المُسلط علينا من الجان، هذا هو القرين.

باغتتنا العين بمرور الزمن وخلالها شهدنا الطفل وهو ينمو والكيان الخفي يكبر حجمه أكثر فأكثر وفي كل مرحلة يتَّخذ وجهه شكل رفيقه البشري الذي صار شابًا وقد لاحظناه وهو يهمس في أذن صاحبه بالذنوب، يقترب منه في فترات حزنه حتَّى يدثره، يغضب أحيانًا فنشهد الأضواء تضطرب أو تشتد الحرارة على حين غرة، مظاهر تبدو طبيعية ولم نعلم كونها عائدة إلى القرين نفسه!

جلس الشاب داخل غرفته ويبدو أنه يُواجه تحديًا صعبًا بفقد حبيبته، جلس القرفصاء موازيًا للمرأة لا يدري أي شعور يُحارب الآن أهو الحسرة أم هوان النفس، دنا قرينه من جسمه دون أن يراه أو يشعر به، همس داخل أذنيه بأن يُشغل الأغاني، يشرب الخمر، يرقص، يُعوضها

بغيرها من النساء أو يفعل فيهن ما حطّم قلبه، الكثير من السُّبل وجميعها تُمثل الشر المطلق...
قاطع المشهد صوت العين قائلة:

- القرين كافر بالله، إمّا أن يُؤمن على يد صاحبه أو يقدر هو عليه.

أوماً الغريب برأسه كناية عن الموافقة ورجع ببصره مرةً أخرى إلى حيث توقفنا.

أطلق القرين ذراعيه ليُغلف بها الشاب الذي انغمر في بكاءٍ متّصل موازاة لسماعه أغنية تتحدث عن الفراق والألم، الحبيب الذي رحل واستزاد المُطرب في الضغط على أوجاعه، نظر حينها بأعينه المستترة خلف شلالات الدمع صوب المنضدة المجاورة له، رأى على مد بصره كتاباً قيماً فكان هو "القرآن" هنا لمحنا جسمه يُضي بحق، أراد أخذه فما كان من الكيان سوى الاستزادة من دثره بأذرعته التي كثرت مرةً واحدة ليرجع الشاب حيث القرفصاء محله وأذنه تتلقى كلماتٍ تفعل بقلبه الأفاعيل...

لا أعلم لماذا، ولكن رؤيتي للشباب المكتئب وكلمات الأغاني جانبه ذكّرتني بما حدث مع قوم قابيل وتلك المعازف التي ابتدعوها، كأنّها كلمات الشيطان.

- كما النفس الأمّارة بالسوء، يُحارب القرين فلا " يترك لك مجالاً.

خرجت تلك الكلمات من العين.

- وكيف نردعه؟

جاء السؤال جامداً لترد العين بالتمهل فما زال أمامنا ما يعكس خطر القرين الحقيقي.

برزت أمام عيني الغريب غرفةً أخرى لم يعرف الضوء لها سبيلاً سوى شعاع خافت تكاد تلمح يديك خلاله وفجأة شاهدنا كياناً ضخماً للغاية يتخذ وجهه شكل أنثى مُماتلاً لتلك السيدة التي تقبع على الفراش تغط في نومٍ عميق، بدا عليه الغضب الشديد وصار يفرد أذرعته ويُشهر أظفاره متوالياً، اقترب أو اقتربت بمعنى أدق من الفتاة وقُبيل هجومها سمعنا صوت العين تقول:

- هذا غضب القرين وانتقامه ولفهم ما حدث سننتقل إلى بقعةٍ أخرى في نفس ذلك اليوم قبل بضع ساعات فقط وفيه عرضت الفتاة نفسها للخطر.

بصرنا الفتاة تزيح قدمًا تلو الأخرى باستحياء صوب أحد الرجال وجوارها صديقتها تُحدّثها عمّا أصابها من السحر وأن الرجل الذي أمامهم هو شيخٌ جليل عالِم الكثير من الناس وله بركات، كان وجه الرجل بشوشاً مُمسكاً سبحة بتلكا يديه وقال: "مُرحباً، مرحباً بك يا إيمان..."

جحظت عيان الفتاة وصديققتها فكيف عَلمَ الشيخ اسمها ليُحدِّثها بعد ذلك قليلاً ولم تُفارق الابتسامة وجهه وبعدها صار وجهه عبوساً وأخذ يسرد عمّا تمر به وكيف حدث ذلك وبدأ الأمر منذ تسعة أشهر حينما كانت ترتدي فستانها الذهبي وشربت مشروباً خاصاً... أخذ يسترسل والفتاة تتعجب وتؤمن على حديثه فقد صدق فيه جُلّه وفي الأخير أخبرها بأنّه مسُّ سُفلي وينبغي عليها اتّباع عهوده وبالطبع آمنت الفتاة وطاعت. أعطاهما قطعاً من الورق سُطّر أعلاها كلمات غامضة وتراكيب جمل مع رسومات لم أعهد بها وتخللها آيات من القرآن، أخبرها أن تضعهم تحت وسادتها وأن تفعل أوامر أخرى مثل شراء بعض الأعشاب الخاصة، طمأنها للغاية مع وعد بتجدد اللقاء...

عُدنا مُجددًا حيث توقفنا عند هجوم القرين على إيمان التي تغط في النوم، شهدنا وجهها وهو يتصبب عرفاً فبالطبع هالة القرين هي السبب وبدا أنّها قد استشعرت وجوده ليأتي صوت العين صاخبًا:

- كثر السحرة تحت ثوب الشيوخ، الشيخ لا ينبغي له معرفة أحداث الماضي أبدًا فمن فعل هو ساحر، الشيخ لا ينبغي له وضع يديه على جسم المريضة ومن فعل هو ساحر، الشيخ لا ينبغي له استخدام كلمات طلسم وهياكل الأولين ومن فعل هو ساحر، الشيخ مهمته فقط اكتشاف إن كان سحرًا أم لا ثم التوجيه وتثبيت القلب ولكم سهل خداع البشر على أيدي هؤلاء حتّى غزت الأسفار بيوتهم.
أوماً الغريب برأسه:

- صدقت لا يوجد ساحر سيعترف بكينونته، أسهل القول هو شيخ له بركات ومقدرة خصبة على دثر أعين من أمامه بالمعرفة جوار الموعظة ليقع في شركه، في حقيقة الأمر هم يمتلكون خدمة خالصة من الجان قد تكون عشيرة أو أقوام قد يمتلك قبيلة بأكملها.

لم تُعقب العين واستكملنا ما يحدث داخل الغرفة لنرى القرين وهو يهجم على صاحبتة، حينها سُحبنا داخل عقلها لنشهد حلمها المزعج، ظلمة حالكة وكيان يهجم عليها ضربًا وهي نفر منه!!
يا إلهي كم تُعاني...

علمنا حينها بأنّها الآن تمر بما يُدعى "سحر القرين" وقد حدث ذلك وانقلبت قرينتها عليها جرّاء ما أصابها بسببها، القرين هو ذاكرة طويلة المدى لصاحبه يُخزن داخل عقله كل ما مرّ به منذ أن صار معه فلا ينسى أبدًا وهذه مقدرة إعجازية خاصة به، الساحر يعلم جُلّ أمر من أمامه ويأخذ وقتًا لذلك عبر إرسال خدمته من الجان إلى قرين البشري فتقوم الخدمة بسؤاله وعند رفض التحدث يُعذّبوه ويُذيقونه الويلات حتّى يبوح بالأسرار وجرّاء ذلك ينتقم القرين

ولأنه ينبغي عليه الحفاظ على حياة صاحبه حتى لا يضيع، يُهاجمه فقط في أحلامه والقرين وعلى عكس ما عرفنا يحمل نفس جنس البشري الخاص به فإن كانت أنثى سيكون أنثى وبالطبع ذكر مع ذكر.. ما عرفناه أيضًا واندھشنا له هو أن القرين إن مات صاحبه فيذهب إلى عالمه من الجان ريثما يموت هو أيضًا أمّا إن قُتل صاحبه فلا يُغادر المكان الذي تم قتله فيه حتى يتم الكشف عن القاتل أو تطهير المكان بالكامل وذلك هو تفسير رُعب المناطق التي حدثت داخلها جريمة قتل، إذًا فالقرين هو السبب لا الأرواح كما يُشاع. لاحظنا بعد ذلك انعكاس سحر القرين على الفتاة وجلسها داخل غرفتها لا تُريد الحديث مع أحد، كأية مفرطة وبكاء دون سبب وكل ذلك يحدث وقد صار حجم القرين أكبر بكثير وأذرعته التي تدثر الفتاة قد استزادت!

جاء صوت العين:

- القرين قد يكون مهلك فيتنسبب في فقدان العقول لذا مُحاربتة تُحتم على صاحبه أن يقرأ سورة البقرة يوميًا كاملة، سورة الدخان فهي من أقوى المؤثرات عليه وبالطبع أذكار المساء وآية الكرسي فبيل النوم فبذلك يقي نفسه خطر قرينه ويُبعده عنه كالحصن أمام مدافع العدو.

سكنت الأصوات وخلال ذلك أدركت أهمية معرفة السحرة والتفرقة بينهم وبين الشيوخ الحقيقيين ونعم كثيرنا يُحتال عليه.

- عالمنا منطوي عن أعينكم وله خصال تتعجب لها العقول وأنت أكثر من توغلت معنا.

ابتسم الغريب من حديث العين وردًا قائلاً:

- بل أُجبرت على ذلك فهل لي ببعض المعرفة قبل أن تُغادر ذلك العالم الموحش.

ذبذبات اندفعت مواتية لأذاننا ومعها شهدنا عائلة تقف على باب منزلٍ مهجور منذ سنوات قد صار بابه ثقيل الحركة، وقبل الدخول جاء صوت العين، فنة الجان الرابعة، "عمار المكان".

"أبي منذ متى لم يسكن أحدٌ هذا المنزل؟"، كان هذا تساؤل الصغيرة فأجابها والدها قرابة الثلاث سنوات، دلفوا إليه وشرعوا في تهيئته ليصير مؤهلًا للعيش داخله، الكثير من الأتربة والعمل الشاق إلى أن صار مُهندماً وبذلك شهدنا غرفتين إحداهما للوالدين والأخرى للطفلين، فتى صغير عُمره عشر سنوات وأخته جواره في سن الحادية عشر، ما إن انتصف الليل حتى سمعوا خبطات على السقف متوالية، العجيب هو أنهم يعيشون في الدور الأخير فمن يفعل ذلك! الوالدان يغطان في نوم عميق والأطفال خائفون جرّاء تلك الأصوات التي انقطعت بعد نصف ساعة كاملة وانتهت الليلة الأولى.

ومضةً أخرى يظهر خلالها الوالد يُجهز بعض الشطائر وحيداً ليلحظ ظلًا أسود اللون مرّاً بجانبه، التفت صوبه فانقشع على الفور، حطت الريبة في قلب الرجل لكنه أكمل دون حرج، صورة أخرى تُظهره داخل دورة المياه وأثناء مكوثه سمع همسات مُرعبة ليرى بعدها ظلًا، ولكن تلك المرة كان أبيض اللون، فزع وكنم صرخاته فهو الرجل والقاعدة معروفة للجميع..

“الرجل لا يخاف”.

ومضةً رابعة داخل الغرفة فعلى مقربة من المرأة نُبصر كيانًا يتشكل خلف الرجل وهو يرتدي ثيابه، اقترب منه ولم يلحظه أحد إلى أن لامسه وهنا بصرنا رعشة خفية سرت في جسمه بأكمله وصار يتلفت يمينًا ويسارًا دون أن يقدر على معرفة السبب، ومنذ ذلك اليوم صار أكثر توحشًا... “النقود اخفت، خاتمي الذهبي ضاع، لعبة جديدة لا أراها، نقودٌ أخرى ضللتنا طريقها ولا أثر لها”، الكثير من تلك الجمل كان حال الأسرة دون أن يعلم أحدهم السبب، ظنوا أنه لص ولكن كيف ذلك! وبدأت الأمور تتخذ مُنحنى أكثر خطورة...

الوالدان قابعان على الفراش قد غطًا في نومٍ عميق، سُحبنا إلى داخل عقل الوالد لنشهد كابوسًا مفرعًا، حيّات وعقارب يُطاردونه بلا توقف، هلع مستنجدًا ولم يجد سوى الضباب، إحدى الحيّات تحولت إلى رجل ضخم قبيح الهيئة ليضربه بأقصى ما لديه، هنا طُردنا خارجه ورأيناه قد استيقظ فزعًا يستعيز بالله من الشيطان الرجيم، استمرت تلك الحال أيامًا متوالية ورفقاء المنزل في حيرةٍ من أمرهم بل أكثر من ذلك صار الأب قاسيًا تبدلت أحواله وساءت خلقه. تعاقبت الأيام ولم يهتم البقية لأمره سوى بالنفور حتى انتهى بإلقاء الأب لنفسه من أعلى الشرفة ليخر صريعًا بعدما فقد عقله...

هنا تدخّلت العين:

- ما رأيتموه هو قصة حدثت منذ أمٍ ليس ببعيد والسبب هم جان عُمار المكان.

بدا على الغريب القلق ولم يكن يعرف بأنّ تلك الطائفة قد تدفع البشر إلى مثل هذه الأمور، قد استهان بقوتهم. أخبرتنا العين بأنّ تلك القبيلة تسكن البيوت المهجورة وأيضًا المسكونة فهي موجودة معنا جميعًا تعيش جوارنا داخل المنازل ولا نشعر بها لكون الجان في الأصل ينتقلون في بُعدٍ موازٍ وقد شهدنا ذلك سابقًا، العُمار غير مؤذيين على الإطلاق، قد يُحبّون أحيانًا المزاح مع بشر المنزل دون ضرر أو لربما ساهموا في إخفاء شيءٍ ما عن الأنظار وعلى غرار السارقين من البشر يُعيدونها مرةً أخرى في مكانٍ غير الذي أخذوه وقد تكون المدة التي يستغرقون فيها ذلك شهرًا أو اثنين على الأكثر، حالتان لا غير قد يتحول العُمار إلى أفراد تؤذي البشر، الأولى هي أن يكون تعلّقهم بالمنزل كبيرًا جدًّا لدرجة محاولة طرد أي غريب في

نظرهم قد دخل عليهم أو سكن معهم وتلك الحالات وبالطبع تكون في البيوت المهجورة منذ أمِد بعيد، الثانية هي إن مرَّ أحد أفراد البيت بسحرٍ ما جرَّاء ساحر ملعون وسلَّط عليه خدمه من الجان وفي تلك الحال يشهد العُمَّار ما يحدث والجان الدخيل فيتطرق أحدهم لمُساعدته أو يستغل الحالة التي يقبع عليها الشخص المسحور من هوان وجسم مفتوح.

- وقد تكون النتيجة انتحارًا كما شهدنا.

خرجت تلك الكلمات من البشري.

- أصبت، الجان لا يمتلكون القدرة على القتل لكن باستطاعتهم الدفع صوب الموت بفقدان العقل.

- وهو كيفية الخلاص منهم؟

أخبرتنا العين بأنَّ العُمار طريقة التعامل معهم مختلفة، ففي البداية يجب أولاً تحديد كونهم السبب لذلك الرعب القاطن بالمنزل وثانيًا سورة البقرة ولكن هنالك اختلافًا هنا عن بقية حالات الجان، في حالة العُمار البشر يُواجهون العديد من أفراد الجان المستوطن بمكانهم لذا ينبغي على جميع أفراد المنزل قراءة سورة البقرة في أوقاتٍ مختلفة وعدم الاعتماد على شخصٍ واحدٍ فقط وذلك سيقوي من هالة البيت والأفراد، القراءة تكون على قدح من المياه ويتم استخدام تلك المياه الطاهرة في نثرها صوب زوايا الغرف بأكملها والردهة بالطبع، يُفضَّل لو خلطت المياه بالملح وله تأثير عليهم أيضًا ويتم رشها تواليًا في الزوايا طيلة أسبوعٍ كامل، بذلك الفعل سيخمد نشاط عُمَّار المكان تمامًا ويهابون أفراد المنزل فلا يقدرّون على إزعاجهم أبدًا وأيضًا التحصين الاعتيادي فُبيل النوم... كانت كلمات العين صارمة وقد بدا على وجه الغريب الراحة لمعرفة جُل تلك الأمور.

ما زلنا ننتقل بين أفراد الجان تباغًا وفي كل مرة يكون الأمر أكثر رهبة حتَّى شهدت العين وهي ترمش بنحوٍ منفرٍ وعلمتُ حينها أنّ الانتقال القادم سيكون الأسوأ، سمعتُ العين تقول للغريب:

- هل أنت مستعد لمواجهة الطائفة الأكثر شرًا؟

أومأ برأسه وقد بدا عليه هو الآخر ما تخشى منه السرائر، ضوءٌ خافت وكلمات غير مفهومة، نحن نواجه ساحر يقبع على كُرسيه وأمامه منضدة دائرية الشكل، جاء الصوت البشري خافتًا:

- جلسة تحضير جان ولكن لماذا؟

رَدَّت العين بعد بُرْهة:

- النوع الأضل، مردة الجان.

غرفة ضيقة لا يتخللها الهواء، شموع مُضاءة على المنضدة ولهب تحمله أعواد مُتناثرة عبر ثنايا الغرفة، أوراق مُتباينة صفراء ذابلة عليها كتابات أفقية متفرقة ما استطاعت عيني حفظه هو تلك الرسمة التي تُعبّر عن جسم مُنقسم إلى مُربعات وداخلها أحرف وأرقام، اللغة ليست بالعربية أو أي لغة مُعاصرة أعدها، جوار الوريقات كأس بها سائل أحمر اللون، على الأرض قطرات دماء لا أعلم لمن تعود، الكثير من الأمور الأخرى ولكن ما توقفت عنده هو منظر الساحر، جلد وجهه مُنشق غير مُتماسك كأنما أصابته لعنة الله وعيناه تميلان إلى البياض، يُتمتم بكلمات ومعها هبّت ريحٌ مرّت بين الأرجاء، النيران تتلوى والشموع قاربت على الخمود، ظلال كثيفة تحوم تباينت ألوانها بين الأسود، الأحمر، الأبيض والأزرق وعندها جاء صوت العين قائلاً:

- هؤلاء هم مردة الجان، من أقوى فئات الجان وحُدّام السحرة الذين يُنفذون مطالبهم مُقابل قرابين أو طقوس ولعنة عهود.

أخبرتنا بأنّ ألوانهم لا تتشابه كونهم من بقاع مختلفة قد تجمعوا تحت طائلة السحر وتنفيذ رغبات السيد، قوتهم ضارية وينفاوتون خلالها فمنهم من هو قادر على اختراق حلم، أو تشكل ورهبة للبشري على أرض الواقع أو الأسوأ المُلصق الذي لا يترك ضحيته سوى بفقدان العقل أو الدفع للانتحار ولربما الإلحاد، منهم أيضاً من يُفرق بين المرء وزوجه، يجمع بين المرء وزوجه وقد يتعدّى ذلك للجِماع ولم تستطرد العين في تلك الكلمة لشرحٍ قادم على ما يبدو، علمنا الكثير عن المردة وأنهم رفقة الشياطين أصل الشرور الناتجة عن عالم الجان وهنا جاء صوت الغريب هادراً:

- وكيف تُحاربهم؟! -

دام الصمت لحظات بل قل دقائق لتأتي العين بالنبا اليقين:

- الوضع هنا مُختلف فالعدو أكثر ضراوة لذا هنالك خطوات هامة للغاية من أجل ذلك وهي سورة البقرة يومياً على قدر أكبر من الماء وذلك الماء نفع له ثلاث، الأول الاغتسال بجزء منه وهذا لا يتحتم كل يوم، الثاني الشرب من جزء منه وهذا يتوجب كل يوم والثالث فعل ما شرحتة في حالة عمّار المكان، ليس سورة البقرة فقط بل تخصيص ثلاث سور هامة للغاية معها وهي: "القصص، طه والنمل" يتم قراءة هذه السور يومياً بشكل متناوب بينهم ففي يوم

القصص وآخر النمل وآخر طه على سبيل المثال وبالطبع بجانب قراءة البقرة يوميًا كما ذُكر على الماء، وفي الأخير تأتي المرحلة الأصعب والأكثر قوة لهم والأضعف للبشر وهي مرحلة النوم، ينبغي هنا وامتنالاً للرسول نفض الفراش يوميًا لطرده أي بقايا متعلقة به أو سحر حتّى، قراءة خواتيم سورة البقرة، آية الكرسي، أذكار المساء، المعوذتين والإخلاص وبالطبع إن استطاع الفرد تخصيص ركعتين على الأقل لصلاة القيام كل ليلة كان ذلك أفضل وأكثر تحصيلًا له، مُجابهة المردة شرسة وأنت خير من يعلم ذلك.

سرت رعشة تلو رعشة في جسم الغريب وكأنّه يستحضر ما مرّ به سابقًا، أخبرنا حينها، كون المردة لهم طقوس أخرى لقمع البشر وهي الوسوسة أثناء الصلاة وفُييل النوم بأن الله غير متواجد وأن الكون سارٍ بطريقة انفجارٍ عظيم أو ما شابه من تلك الأفكار الإلحادية الخسبة، لا يتركون أذنك فإن فشلوا في توجيهك للإلحاد استخدموا سلاحًا آخر لا يتحدث عنه المسحور أبدًا خيفة أن يتهمه أحد أو يشكون بأمره، سلاح الوسوسة بالتعدي على الذات الإلهية!

بمجرد ذكر تلك الجملة جحظت العين للأمام لكون هذا الأمر جليلاً ولكن لم يأبه لها البشري واستمر فيما يقوله:

- نعم يخوضون في الذات الإلهية ويجعلونك عبداً لذلك فهم يُتمون الأمر كأنه خارجٌ من نفسك أنت لا وسوسة منهم فتضطرب لذلك وتفقد اليقين شيئاً في شيئاً، وما يجعل الأمر صعباً هو عدم قدرة المسحور على البوح بتلك الأمور كما ذكرت خيفة ألا يُصدقه الناس فيهاجمونه فيكتم داخله لتصير تلك الوسوسة وحشاً ضارياً تُطيح به وبايمانه ظناً منه أنّه هو من يقول ذلك وهذا ليس بصحيح بل هم يُخادعونهم ويتلون تلك الأصوات بغية الضلال؛ لذا ومن طرق التحصين أيضاً عدم الاهتمام بأي أفكار تواتي المسحور وأن يُكَمِل طريقه مهما بلغت النتائج فينجو في الأخير بإذن الله.

كانت الكلمات صارمة أجبرت العين على الانصياع والصمت الذي دام فترة وجيزة ليأتي صوتها:

- إذًا وبما أننا ذكرنا المردة وطرق تحضيرهم يتوجب علينا مُشاهدة فصيل آخر يُدعى، "الجان العاشق" ...

على فراشٍ متوسط الحجم وغرفة منمقة تثرها الزينة في شتّى البقاع تمثّلت لنا فتاة بوجهٍ حسن تغط في نومٍ عميق ولكن المُثير للدهشة هو أنّها تتصبب عرقاً، مرّةً واحدة سُحبنا داخلها لنشهد حُلُمها، أمامنا شاب أشقر الشعر، عيناه زرقاتان ومفتول العضلات يتقرّب رويداً رويداً من الفتاة التي تنظر له بإسهاب

وهو يُحادثها في غنج، انتهى الحلم على ذلك وما زلنا داخل عقلها لم نخرج بعد! يبدو أننا ستمكث هنا بُرهةً من الوقت وجاء المنظر التالي لنفس الشاب وقد هزل جسمه قليلاً، اقترب من الفتاة وصار يُداعبها بيديه على شعرها المنسدل على كتفيها وقد أحبَّت وجوده، أرى ذلك في لمعة عينيها التي لا تُفارقها مذراته... تكرر الأمر وفي كل لقاء يتشكل الشاب بصبغةٍ أكثر وحشية عمّا سبقها لكن الفتاة أُجزم كونها تغفل عن ذلك، أمام عينيها ولا تراه!!

جاء المشهد الأخير وقد بصرناه صار أسود الوجه والعينين، جسمه هُلامياً وأظافره طويلة مُتسخة وقد قارب على الدخول في علاقة كاملة مع الفتاة التي فُتنت به وعندها تم دفعنا للخارج وانتهى كل شيء...

- ماذا حدث؟! -

جاءت تلك الكلمات المرتعدة من البشري، اكتفت العين بالصمت ونحن نرى نفس الغرفة السابقة بنفس الزينة والأدوات فيما عدا الفتاة حسنة المظهر قد صار وجهها شاحباً، عيناها جاحظتان للأمام وخسرت أرطالاً من وزنها، جاء صوت العين هنا وقد أخبرتنا الحقائق:

- ما حدث لها هو نوعٌ من المسّ هو الأخطر ويُدعى الجان العاشق وعلى خلاف البقية فليس له نوع خاص من الجان فلا يوجد عشيرة أو قبيلة تُسمى بذلك بل جُل الجان قد يصبحون عاشقين لجنس البشر وهنا الخطر.

- أصبت في ذلك فنحن يتملّكنا معتقداً أن الجان العاشق نوع خاص وله طقوس والمشكلة الأكبر عدم معرفة نوعه الأصلي..

بدا على الاثنين اتّفاق وجهات النظر لأعلم حينها الكثير عن ذلك الكيان، عرفت أنّ الإصابة به قد تأتي بسبب وقوف متزايد أمام المرأة أو السير عارياً حتّى وإن كنت وحيداً داخل المنزل وغيرها من الأمور التي قد تجعل من النفس صيداً لأحد الجان المفتون بها لما رأت، قد يأتي أيضاً خلال سحر أو عمل أسود فيُعجّب أحد أنفار الجان بالمسحور ويصير عاشقاً والأخطر هم من يلجأون للسحرة لعلاجهم فقد يصير أحدٌ خُدّامهم عاشقاً للفتاة دون أن يُخبر سيده حتى وهنا لن يتركها لأن العشق في البشر والجان سواء، تمسك أكبر ورفض للرحيل.

الجان العاشق إمّا أن يكون من عمّار المكان، جاثوم، مرده السحر، شيطان أو قزم حتّى، أي نوع قد يصير بتلك الحال لذلك علاجه غير مُخصّص والتخلص منه لن يكون سهلاً، بالطبع أن يكون الجسم من بادئ الأمر مُحصناً بالقرآن والورد اليومي يخلق هالة جسدية تُقارع خطره من الأصل وإن حدث لن يكون التخلص منه عصبياً ولذلك أخبرتنا العين بأنّ علاجه يكون مثل

علاج مرده الجان بالضبط نفس الخطوات والسُّور التي ذكرتها سابقًا وبالطبع التحصن وبشكل عظيم قُبيل النوم ونفض الفراش لأنه يعتمد على مُهاجمة ضحيته وخصيصًا الفتيات في أحلامهن، وكما رأينا يظهر فائتًا ذا مظهر حسن وعند ضمان تعلقها به والذي يتمثل في اكتئب حاد على أرض الواقع، عزوف عن الزواج غير مُبرَّر، ميل للوحدة وعدم مرافقة البشر وأخيرًا صمتٌ تام، تحدث تلك الخطوات تَباعًا وكُلَّمَا استزاد من خطوة تمكَّن أكثر وصار العلاج أصعب بكثير والسبب الأول في ذلك هم الأهل لإهمالهم أعراض قد تكون حقيقية وعدم اللجوء للإكثار من النزعة الدينية التي هي الحل الأمثل لما تمرَّ به ابنتهم، وللأسف مُحَنِّكو البشر يستهزئون بذلك وهم إن مروا به أصابهم الهلع!

” - والآن أكون قد انتهيت من شرح أكبر قدر ممكن من عالمنا وما نحن عليه وكيفيك ما علمت لأن فلن أستطيع إدخالك أكثر من ذلك فهذه مُخاطرة.

ضحكُ البشري وقال:

- أعلم جيدًا مقصدك، ولكنك نسيت أمر أحدهم وهم “العفاريت”.

اكتفت العين بتحويل الحديث عن آخر ما يُقال وسط همسات تلقفتها أذناي جيدًا، همسات مفادها:

- قريبًا سيجيء وقت سُليمان النبي الذي امتلك أمرهم، نحن نُحب ونكره ولنا في عظامكم التي تُخلفونها كسوة لحم لا ترونها لذا ولكي يستفيد الجان المسلم بتلك العظام يجب أن تُسموا عليها قبل التخلص منها كما ذكر الرسول لكم، هنالك أيضًا أعشاب يمقتها الجان ومنها “الحلتيت، القسط الهندي والسدر” جوار الملح بكل تأكيد وقد ننفر منها وبالمناسبة الجان لا يتم حبسهم في رمضان بالشكل المُصوَّر لكم!!

جحظت أعيننا ونحن نتلقَى تلك الكلمات لنعلم أنّ الجان يتم وفي شهر رمضان المُبارك تكبيل أقواهم، قادة عشائهم وبالطبع إبليس لكن ليس جُلهم لذلك قد يُعاني البعض من أعراض السحر رغم كونه في رمضان ويبدأ في التشكك، ميزة الشهر الفاضل هي عدم قدرة الجان على فرض سطوتهم المعتادة لذا يكون فرصة مناسبة جدًّا للتخلص من شتّى أنواع السحر إن استكثر الفرد من عباداته وتلاوته للقرآن فيكتسب جسمه حصنًا شديد القوى يخرج به من الشهر الفضيل فلا يقدر عليه جان..

سكنت الأجواء تمامًا بعد تلك الكلمات لأشهد وجه البشري وهو ينظر صوب السماء، أخذ يُردد عبارات مثل حضارة البشر الأولى وحياة الجان هذه معرفة أستطيع بها مُواجهة مصيري

حتمًا، ولكن تبقت أبوابٌ أخرى ينبغي طرقها والولوج إليها وقبل أن يتحدث إلى العين باعته
قائلة: - أعلم مُرادك التالي، قد علمتُ ما يُتلج الصدر وإثها لمهابة، أعرف أنّك تبغي قصص
الملوك الأوائل بكل تأكيد.

أوما البشري إيجابًا وهو يُحدّثها عن كون التاريخ القديم يحمل خلال طيّاته الغموض وحقائق
تمس حاضر اليوم لذلك ما كان من العين سوى الرضوخ له والإذعان ببده رحلة خاصة تخدم
ما يُريد، سكنت الأجواء هُنيهةً من الوقت ثم أردفت العين:

- والآن ميعاد الانتقال صوب ما تُريد...

ما إن لفظت تلك الجُملة حتّى انتفض جسم الغريب تلقائيًا دون أن يقدر على كبح جماحه وقد
دفعه ذلك لفقدان تماسكه والخروج إلى العالم الواقعي مُجبرًا على ذلك، استفاق واهنًا ليخلع
الرداء عن جسمه ويقف متأهبًا ظنًا منه أنّ العدو الضاري له قد وصل إليه لكنه صُعق لرؤية
الصخور التي تلتف من حوله وقد انشقت وتحولت عوامل التعرية أعلاها إلى كلمات متفرقة
مفادها: "ملوك الأرض الأربعة، النمروذ، ذو القرنين، سليمان وبختنصر".

استشاط البشري حماسًا وقال:

- إذا الجان المحيطون بنا يتفاعلون مع الرؤية التي تقصّها عليّ ويعلمون مُسبقًا مجيء تلك
العناوين!

خرج صوتٌ صاخبٌ من العدم:

- عالمنا متداخل وقد تفاعلوا على بقعة الطاقة تلك قبل بدء الأحداث القادمة ولذلك تأثر جسمك
في العالم الواقعي ولم تستطع روحك إكمال الأمر فعدت مُجددًا.

نفر العرق أعلى جبين الشاب، لعن وهن جسمه وأخذ يركل ذرّات الرمال والتي كانت ساخنة
جرّاء انبعاث الطاقة منها، أزاحها بعيدًا عنه وهو يضرب الأرض بقبضته محفرًا من أمره
ورافضًا أن يستسلم بأي ثمن، عاد أسفل التمثال ودثر جسمه بالوشاح وهو يتأفف:

- لنُكمل رحلتنا فهؤلاء الملوك شكّلوا سويًا جزءًا ملهمًا من التاريخ القديم وأسهموا بتأثيرات
مدوية على الوقت الحاضر، هلم بنا إليهم فلا أطيق الانتظار أكثر.

استثيرت الرمال فداهمت الصخور ضربات ساهمت في الاستزادة من انشاقها ليغط الشاب في
نومٍ عميق عائدًا بذلك إلى عالمه الموازي...

الفصل الرابع

ملوك الأرض الأربعة والحاكم الخامس

- الأربعة العظام الذين حضروا لحظات فارقة بادرت وبشكل كبير في تاريخ البشر القديم والحديث، المحرقة، السبي البابلي، مُلك الأرض وما عليها، سد يأجوج ومأجوج وغيرها الكثير والكثير، سلف كانت إسهاماته لا تقلّ وطأة عن بعض الأنبياء..

خرجت تلك الكلمات من العين، والبشري يمتثل أمامها ثابتًا تخلّص ولو مؤقتًا من إعيائه وهو ينظر صوب الفراغ منتظرًا الحقبة القادمة. التاريخ بدأ مع دويلة صغيرة الحجم على أرض بين النهرين كانت مهد الحضارات وهي "بابل" أقامها الجد الأكبر (مهلائيل) خلال حضارة البشر الأولى وتوالت بعدها حضارات مُشيّدة مثل تلك التي شرع فيها إدريس النبي على أرض مصر...

لاحظت أمام أعيننا صورة بازغة لملك ذي وجه مُنعقد ومن أسفله تشكّلت حروفًا من الدماء لتُكون جملة مفادها (النمرود) ما لبثنا أن رأيناها حتّى جذبتنا إليها لندخل في بؤرة زمنية ما إن فرغنا منها حتّى شهدنا أناسًا يرتدون جلابيب بسيطة يسرون كُلُّ في حاله بغية العمل وبينما هم على تلك الحال سمعنا صوتًا صاخبًا لمجيء عربات متوالية يتقدمها رجل طويل الهيئة، مفتول العضلات، سمعنا صوت العين هامسًا:

- (حمورابي) الملك الذي سيُوحّد بابل بأكملها وهو من سبق ميلاد النمرود بمئات السنين.

علمنا حينها أنّ لذلك الرجل هيئة وحنكة سياسية لم يبلغها أحدٌ من قبل، حكم بابل ووطد فيها أذرعه وقد رأينا الذعر في أعين الناس لمُجرد مروره جوارهم فقط! في ذلك الوقت 2500 ق.م كانت الحضارة المصرية القديمة هي الأقوى بين البلدان وقد أسّس مواطنوها بنايات شاهقة تناقلتها الألسنة من أقصى البقاع وحتّى بلاد فارس في حين كون بلاد بين النهرين مُتفرقة جرّاء وجود حضارتين قويتين تأبى إحداهما الانصياع للأخرى فكان في الشمال مملكة "أشور" ذات الصيت العظيم وفي الجنوب المملكة "السومرية" قديمة النشأ وقد اكتسب حاكمها وأهلها طباع غليظة، في منتصف كل ذلك قبعّت مدينة صغيرة تُدعى بابل توالى عليها المستعمرون حاكمين وقد انصاع أهلها لهم إلى أن جاء حمورابي أحد أبناء بابل المُخلصين

واستطاع بحنكته الوصول إلى حُكم مدينته رأيناها أمامنا وهو يأمر جنوده في مواضع مختلفة بأن يهجموا على بلدان صغيرة الحجم فيستفيد منها بالمؤن والعتاد دون أن تشعر آشور به، اعتمد جنوده على إنهاء الأمر بغير ضجيج وكأنهم طائفة الحشائشيين الأولى وفي الليل ينتقل معهم إلى أحد معابد بابل يتدربون جميعًا ويُثقلون مهاراتهم وكان مقصده من ذلك جعل الرجل من قومه قادرًا على نزاع عشرات الجنود فكان له ما أراد، اجتمع هؤلاء جميعًا على حُب بابل دون مصالح أخرى ومع توالي الشهور قويت شوكة مدينتهم فصارت تُمثل قوى لا يُستهان بها ولذلك بدا جليًا ما سيحدث بعد ذلك.

وقف حمورابي أمام ملك آشور يُصافحان بعضهما البعض وقد تعاهدا أن يصيرا خُلفاء خصيصًا مع توالي هجمات السومريين على آشور، وفي الخلف تصل إلى مسامعنا حديث رجلين يقول أحدهما: "بالطبع تحالف ملك آشور معه بعدما استولى على مملكة "لارسا" ذات القيمة الاقتصادية الأكبر، حمورابي سيحدث طفرةً بلا شك".

أخبرتنا العين بأنه صار قويًا ذا سطوة لدرجة أجبرت الجميع على الانحناء له بعدما أعدَّ العُدَّة وجمع أكبر عدد ممكن من الجنود وتوجَّه صوب السومريين ليلحق بهم هزيمةً نكراء، قضى عليهم تمامًا وما إن حدث ذلك حتى استسلم له ملك آشور وأقرَّ به ملك البلدان السبعة وله سطوته عليهم وأن يُعطيه الأمان وقد فعل الأخير ذلك.

على كُرسي ضخم الحجم قبع عليه حمورابي بشعره المنسدل من خلفه، نظر أسفله ليرى جمعًا غفيرًا يصيحون: "بابل وملكها العظيم".

حدثٌ جلل فقد استطاع حمورابي توحيد البلاد كافة لتصير بذلك قوى عُظمى تُناطح بها مصر القديمة والعيلاميين القابعين في بلاد فارس وهم الشوكة التي لم يقدر الملك على الخلاص منها. اقترب من إحدى المسلات وبدأ يكتب عليها كلمات: "وُضعت هذه القوانين كي لا يظلم الأقبياء الضعفاء".

هنا تحدَّث البشري:

- لا أُصدق، هل يُعقل أنه أول من سنَّ دستورًا ليحكم به شعبه.

أثنت العين على ذلك الاستنتاج ليغيب عن أنظارنا حاكم بابل العُظمى الأول ويحل محلَّه وجهٌ آخر لملك جديد بعد سنواتٍ طَوَّالت فيها أحوال بابل وغلب عليها العُمران، رأينا ذلك الملك يحمل بين يديه مولودًا صغيرًا ومن جانبه صوت وزيره يقول له: "مُباركٌ لك المولود يا

مولاي، هل اختارت له اسمًا؟ أخذ الملك يُفكر عمًّا سيكون ملهمًا فالاسم الخاص بالأمرء هام للغاية فهو تمهيد لمُلُكهم بعد سنوات، ما إن فرغ الملك من شروده حتَّى قال: “نعم، النمروذ”.

خرج صوت العين:

- النمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح عليه السلام.

مرّت سنواتٌ أُخرى بصرنا فيها بن الملك وهو يلهو في الحديقة الخاصة بالقصر ولوحظت عليه طباع غليظة ومُنفرة فكان يُحب أن يكون المنتصر الأوحد وأوامره مُطاعة بلا جدال وساعده في ذلك كون والده الحاكم فلم يرده أحد خيفة البطش، حتَّى الأطفال المُقربون منه لم يسلموا من أذيته! كَبُرَ الصغير وصارت قسوة قلبه أكثر غورًا، الأمر والنهي ولا مرد له حتَّى أبوه لم يحكم قبضته عليه، رأيناه وهو يتجول في الحديقة ليلاً وحيدًا يقول: “أريد حُكم البلاد أجمع، كيف لبابل أن تصير في مقدمة الكون وأبي الذي يأبى الحرب قابُع على عرشها” بدا على النمروذ تطُّع وحقد دفين، وقبل الاستمرار سمعنا همسات العين تقول: - النقطة الفارقة في التاريخ القديم صار النمروذ شابًا قويًّا، جلس جوار حاشيته والفتيات الجميلات يأكل خيرات الأرض مُمددًا جسمه على الحشائش، وفيًا لعاداته فالأمر والنهي والتسلط وإذ به مرةً واحدة يرى على مرمى بصره عجزًا يُزيح القدم تلو الأخرى تجاهه فنفاجأ من وجوده فكيف له الولوج إلى القصر ليأمره من بعيد أن يتصنم محلّه ريثما يبيت في أمره، سمع الجسم الهَرم قوله ولم يابه وقد واصل الزحف صوبه!

قفز من جلسته واتَّجه ناحيته غاضبًا وقد ظنَّ بأن العجوز سيهابه كما الجميع لكنه صُعِقَ لرؤيته ثابتًا وسماعه يقول: “أنت هو النمروذ من يُريد حُكم العالم بأسره ولا يقدر”.

بدا على وجه النمروذ الحنق الشديد وقد نفر العرق أعلى جبينه فمن ذا الذي يجروُ على مُحادثته بتلك النبرة التي يغلب عليها التحدي لا الخوف! فأمر الجنود على الفور بالتخلص منه ليكون عبرة يتحدث بها الناس، ترك المجلس بعدما انقلب مزاجه وانتهى المشهد على صوت العين:

- اعتقد بأنّه أمر أيضًا بالتخلص من جُلِّ البشر الذين شهدوا الواقعة فيما عدا الجنود.

لم نُمهلنا العين الكثير وقفزت بنا صوب محلٍ آخر، غرفة ضخمة الحجم بها الكثير من العواميد المُطرزة، نقشٌ عبقرى على الجُدران وحُلي متناثرة، في منتصفها فراشٌ مطلي بالذهب الخالص وعليه أكوام من الحرير والصوف، ما جذب انتباهنا هو صوتٌ قادمٌ من الحَمَّام يعتليه الغضب ومع الاقتراب منه شاهدنا أبخرة متناثرة بيضاء تحجب الرؤية عن جسم

شاب الحديقة، الأمير النرجسي وقد بدا عليه الشرود، بعض الوقت كان كافيًا لعمل استشفاء كامل جسديًا وعقليًا ليُغادر النمروود محلّه صوب الفراش فينعم وعلى بزوغ القمر في السماء بنومٍ هنيء.

عينان الأمير تُواجهان أمارات النوم بصعوبةٍ بالغة وقد استسلمت مقلتاها لها ولكن، جحظت الأعين وتفصّد العرق عن جبينه لرؤيته كيانًا مُظلمًا يقف أمام الفراش ثابتًا، دقّق نظره وخرجت صيحة مكتومة: "أنت عجوز الحديقة".

كيف لهذا الرجل أن يقف أمامه بعدما أمر الجنود بالتخلص منه فهل هنالك جواسيس بالقصر، العجيب هو مظهر العجوز الذي لم يختلف كثيرًا سوى عينه اليمنى قد مُسحت فصار أحذب!! ارتعدت فرائص النمروود وقبل أن ينطق ببنت شفة باغته العجوز قائلاً: "أتريد حُكم العالم وأنت على تلك الحال، كيف هو الملك بقلب أجوف".

سأله عمّن يكون فكان الجواب صارمًا وعبر انعكاس ضوء القمر على وجهه المُرعب: "أنا أمير النور يوم خُلِقَ النور، أنا المُخلص الذي سيعطيك مُبتغاك والقوى التي تحكم بها العالم بأسره، فإن أردتها لاقني في كهف الظلمات وستراني حينها على هيأتي الحقيقية"، ثم أعطى العجوز عنوان الكهف إلى النمروود وغادر كما جاء، في سكونٍ ورفق!!

بالطبع مكث الأمير على فراشه دون حراك، فقدَ النطق وضاعت هيئته وطغيانه أدراج الرياح وعقله يأبى تصديق ما يحدث، ولكن أبت فطرته المستعلية على الرضوخ أو الخوف

وقرّر عدم الذهاب إلى الكهف لعلها مؤامرة، ولكن شهدنا شيئًا نعرفه جيدًا اشرب له عنق الشاب لمروره بماضٍ تعسٍ معه، إنّه الكيان الأسود وقد غطّى بحجمه الهلامي كافة أنحاء الغرفة فلم ينفذ منه شعاع ضوء! برزت من منتصفه العين الضخمة التي رافقت قابيل وقومه، ظهرت بهيئتها الكاملة والمستطيل يديرها فقد اتسعت أطرافه وحوى رموزًا أكثر ممّا سبق، استقرت العين خلف النمروود وصارت تهمس داخل أذنيه: "ينبغي عليك الذهاب فكيف تكون ملكًا ولا تقدر على مُجابهة عجوز، رُبّما يحمل كنوز الأرض وطرق الوصول، مُقابلة قد تُعطيك مُلك الأراضين أجمعين". لمعت عينا النمروود وأجزم كونه لم يشهد العين من الأصل وإنما توغلت همساتها إلى قلبه وعقله معًا ليضحك بأعلى صوته بعد أن لاحت أمامه علامات المُلك وقرّر الذهاب صوب كهف الظلمات.

نظر البشري نحو رفيقه المُجاور بغية الاستمرار في تتابع الأحداث دون توقف فأجابت:

- الرحلة القادمة ستكون أول لقاء بين البشر وبينه بشكلٍ مُباشر وستُغير مجريات التاريخ.

على طريقٍ وَعِرَّةٍ نرى الأمير الشاب وهو يسير مُتَلَمِّمًا يَلْتَفِتُ يَمِينًا ويسارًا بغيةً ألا يراه أحد، المسار الذي اتَّخَذَهُ كان أعلى جبل يبتعد عن الحضر بضعة كيلو مترات وبحسب وصف العجوز له صار يخترق مُنْحَنِيَّاتٍ تُمَكِّنُهُ من الولوج أكثر فأكثر إلى عمق الجبل وقد دنا من وجهته ولذلك بطأت حركاته وشعر بالخوف جرَّاء ما يُلاقِيهِ، تجمع كبير لطائر "البوم" أعالي الأشجار، زواحف كالتعابين والعقارب تسير في نمطية كأنما هُنَاكَ قائد يُحْرِكُهَا، بضعة تماثيل منقوشة على أحجارٍ كبيرة الحجم لا تعود إلى البشر وهمسات تزداد شيئًا في شيئًا كُلَّمَا اقترب النمرود من "كهف الظلمات"، أمارات التعرق بدت جلية على وجهه رغب برودة الطقس وهو أمرٌ يوحي بأنَّ الخوف قادرٌ على اختراق قلوب الجميع حتَّى الطغاة أنفسهم...

أخيرًا ولج إلى الكهف الذي كان مُنَارًا عبر أعواد اللهب المُتْرَاصَّة على الجدران فصار يُزِيح قدمًا تلو الأخرى شاغل البال، مُرتبك الخُطى حتَّى بلغ نهايته وعندها شَهِدَ العجوز لثالث مرة والأخيرة كانت مختلفة بشكلٍ جذري، هيئته بدت أكثر قوة فكان صدره منتصبًا، عيناه الالتهتان في خير حال ولم يستند على عُكَّاز بل وقف كالصنم وهذا ما أدهش النمرود. جلس العجوز على كُرسي نفيس المعادن وحينها قال: "الآن سترى شكلاً يوحي بمقدرتي، أنا أمير النور عزازيل".

وبالفعل ما هي إلا لحظات حتَّى تحوّل جسده إلى آخر ضخم الحجم ممتلئًا بالشعر، هيئته كانت أقرب إلى الوحوش الضارية، ذو وجه دامي منقطع من الجانبين وعيناه جاحظتان وامتلاك قرنين كبيرين الحجم، أظفاره مُتَسَخِّة بازرة عن يديه فكان ذلك أكثر ما لاحظته... تماسك ولم يُغشَّ عليه.

في ذلك الوقت عَلِمَ النمرود بأنَّ من يتعامل معه الآن ليس كائنًا بشريًا ذا قدرات محدودة بل هو أكثر من ذلك بكثير وأنه مُبتغاه لحصد القوى التي لطالما حَلَمَ بها فقال: "من أنت وماذا أفعل لأحصد القوة؟"

صوت عزازيل جاء هادرًا غليظًا تردد صداه في أرجاء الكهف بأكمله وأمره أن يسجد له بغيةً إعطائه ما يُريد، برغم كِبَرِ النمرود لم يتردد لحظةً في فعلها رهبةً وطمعًا وعندها تعالت ضحكاته وقال: "والآن سأعطيك القوى التي تُريد، القوى التي ستحكم بها العالم بأسره".

رأينا حينها الكيان المُرعب وهو يُخبر النمرود عن أصل الجان ومعركتهم القديمة، كيف ارتحلوا وما هي القبائل وغيرها الكثير من الأمور فلم تختلف كثيرًا عمَّا رأيناه رفقة صديقتنا المُجاورة، وهنا قاطعت تلك العين المشهد قائلة:

- اللعين أعطى ذلك البشري سرنا بأكمله فقد أخبره عن موثيق الدم والعهود التي يتم تحضير أعتى ملوك الجان عن طريقها، كيفية تأدية كافة التعاويذ ونقطة ضعف أغلب عشائرننا وفدراتهم، لم يسلم أحدٌ منه بشرٌ أو جان يُريد الفتك بجميع من يُعارضه.

علمنا أنّ الأمير قد تردّد على ذلك الكهف أيامًا كثيرة مُتوالية دون أن يعلم أحدهم بوجهته وصار في كل يوم يتعلم كافة أنواع السحر فلم يكن هو أول من مارسه على عكس الشائع فالسحر قد بدأ على أيدي العيلاميين في بلاد فارس وقتما كان حمورابي ملكًا، ولكن أول من قنّنه هو النمرود وصار في عهده له طقوس محفوظة ونظام لتحضير كافة الأنواع التي ذكرتها لنا العين سابقًا بما فيهم الملوك!! وهو أمرٌ جلل وتبقّى أمام الأمير مُنعطفٌ أخير ألا وهو الظفر بالحُكم.

أثناء خروج النمرود في الليلة قبل الأخيرة من تعلمه السحر بشتّى تفاصيله ليصير أقوى ساحر على الأرض، سمعنا صوت الرفيق المُجاور يقول:
- المرة الأخيرة لهذا الكيان المُرعب.

شهدنا حينها العين الضخمة مُجددًا تتشكل وراء النمرود وللمرة الأولى لم تُحدثه بل إنّها دثرته وانغلقت عليه دون أن يشعر أو يرصدها من الأساس، عبثت بقلبه عن وجوب الوصول إلى مكانة الرجل الأول بعدما صار الساحر الأول وهي بذلك تُحقق معادلة مختلفة، السحر، الشرك بالله والقتل وكل ذلك في آنٍ وشخصٍ واحد!! لتصير أطراف المستطيل مزدانة كاملاً باللون الأزرق ومعها فرغت الساعة الرملية من تفريغ محتوياتها بالأسفل وما إن حدث ذلك حتّى اختلط قرنان العين مع السلسلة ليُشكل هيئة واحدة مفادها رجل مفتول العضلات وجناحين مُلتصقين به عبر كيانٍ آخر! تعالت أصوات العين وأبينها حتّى شقّ علينا ثمّ أتى دخانٌ كثيفٌ ومعه اختفت تمامًا بعدما صار حجمها أكبر عشرات الأضعاف عن سابقة ظهورها الأول خلف قابيل!

أتى صوت البشري فزعًا:

- بداية النهاية سُطرت مع أول حادثة سحر حقيقية في التاريخ البشري.

الليلة الأخيرة حانت داخل كهف الظلمات وخلالها أخبر عزازيل النمرود بحتمية وصوله إلى العرش بأي ثمن وكونه لن ينتظر سنينًا مديدة لكي يرث أباه فوضع له الكيان خطة للتخلص منه عن طريق قتله وأتمّها بالفعل، ولم يُمانع بغية الوصول إلى هدفه الأثمن، حُكم العالم بأسره وقد فعل المُخطط ليصير النمرود وفي سنٍ صغيرٍ ملك بابل...

من بعد إعلان النمرود ملكًا ارتدى التاج فكان أول ملك بشري يفعلها وذلك تشبهًا بملوك الجان، انقلبت أحوال بابل رأسًا على عقب من كافة النواحي الاقتصادية، العسكرية وأيضًا قد نقشى السحر خلف جدرانها لدرجة أن الجان كانوا يمشون جنبًا إلى جنب مع البشر وبسبب فعلة النمرود تلك توحيشت الأعمال وتكالب القوم على العالم الآخر يلهثون، صارت بابل وعبر سنوات مُتوالية قوى عظمى على العالم عسكريًا، حضاريًا وسحرًا وبكل تأكيد ومع الوقت واتساع نفوذ النمرود فاق من

سبقوه وغرته الدنيا فنصّب نفسه إلهًا يعبده الناس بعدما رأى أن الملك طموح أصغر من ماهيته!، ومن تلك اللحظة صار يغزو العديد من الممالك والمدن ويبسط نفوذ بابل على كافة وجوه الأرض والجميع يهتف له وبعلو منزلته، ولم يتبق له سوى الكنز الحضاري والمعماري الذي سيُسيطر أحرف اسمه عبر الزمن، وكان ذلك الكنز هو "بُرج بابل العظيم" ذلك الصرح الغامض هو أول ما فكّر به النمرود بعد إتمام أمره ليكون واجهة حضارية للعالم بعدما رأى ما فعله المصريون القدماء من معابد ومبانٍ شاهقة كالأهرامات لذلك جمع كافة المهندسين من شتى البقاع وشرعوا في بناء البُرج، تكالبت العديد من الأرواح لتنفيذ مسعى الملك وفي هينتهم الظاهرية جُلهم بشر ولكن أتى صوت العين المُجاورة سريعًا:

- لم يستخدم البشر فقط في بناء ذلك الصرح.

لم يستطع البشري كبح اندهاشه لنرى بأعيننا البُرج وهو يُبنى إلى أن اكتمل، شُيد برج بابل في أرض شنعار قديمًا وكانت قاعدة البرج على شكل مربع تقريبًا بأبعاد تخطت ال 200 متر ف 200، ارتفاعه شاهق قد تجاوز السُحب فأراد النمرود تشبيها أن يبلغ السماء! قيل إنه مُحاكاة للإله وتغليف الأرض وكان مكونًا من سبعة طوابق بارتفاع 45 قدمًا وله سلالم مُدرجة جانبية تؤدي صوب المعبد المقدس في منتصف البرج والذي يُشكل طابقًا كاملًا وكلما ارتفع البرج أكثر ضاقت جوانبه إلى أن نصل نحو القمة فيكون في أقصى ضيق له ليُمثل حجرة الملك الأكبر أو الإله كما دعا نفسه فلا يوجد جوارها شيء والبرج ممتليء بالغرف ونوافذ في مختلف الجهات وقد كان السلم حلزونيًا يلتف كما الثُعبان حول الصرح بأكمله ولكي تبلغ القمة ينبغي أن تدور حوله سبع مرات فكان ذلك تشبهًا بالسموات السبعة!

يا له من مبنى لا يقل مُعجزةً عن الأهرامات فكيف اندثر تحت الثرى؟ وأثناء انغماري في النظر إليه سمعت صوت العين المُجاورة تقول:

- لم يعلم النمرود حينها بأنه بنى الصرح الذي سيلقى داخله الجحيم.

رأينا الملك وهو قابُع على فراشٍ ذهبي ينعم بالحرير ومُلك الدنيا يُفكر في مخططاته القادمة ليُغط بعدها في نومٍ عميق، سويعات كانت كافية لتحول حاله فقد شهدنا جبينه المنعقد وهو يُصارع حلمًا مُظلمًا متأوهاً بين الفينة والأخرى، استيقظ فزعًا فلم يتحمل عقله ما مرَّ به وبعدها مباشرةً جمع الكهنة ليفسروا له ذلك الحلم..،

قابُع على كُرسيه المرصع بالذهب أخذ يقص النمروذ على مسامعهم ما رآه، كان يطير في السماء فلاحظ بأن أمامه فارسًا قويًّا يُشهر سيفه تجاهه مُهددًا إيَّاه وكُلَّمَا حاد بنظره عنه ثم وجهه إليه مرةً أخرى شهد الفارس يتحول إلى كوكب ثم يعود إلى شاكلته الأولى ومع الوقت اقترب الفارس منه ليصير أمامه مُباشرةً وقبل أن يقضي عليه استيقظ بأعجوبة بعدما ظنَّ الهلاك...، هنا تحدَّث كبير الكهنة قائلاً، "تفسير ما رأيت، هنالك مولود سيأتي ويقضي عليك وينتزع منك مُلكك فلا يتبقى شيء..".

فزع النمروذ وصار يُخطط رفقة حاشيته عمَّا يُعنيه على قمع تلك الرؤية فاستقر على مكيدة عظيمة وهي أنَّه أمرَ بالقضاء على جميع الأطفال التي ستولد، هنا ردَّد البشري كلمات:

- يا إلهي كما سيحدث مع نبي الله موسى وفرعون فيما بعد.

لم تُعقب العين واكتفت بإخبارنا بأنَّه وفي ذلك العام جاء إلى الأرض روحٌ طاهرة وكيان بشري سيكون ترديد اسمه وإلى الآن هو الغالب، وُلِدَ نبي الله إبراهيم وقد استطاع أهله إخفاءه من بطش جنود النمروذ ليعيش دون أن يُقضى عليه في المهدي. في ذلك الوقت قوم بابل كانت عباداتهم مُتباينة فمنهم من عبد النمروذ بالفعل خوفاً من بطشه أو لعظَم شأنه ظناً منه أنَّه إله ومنهم من عبد الأصنام مثل والد إبراهيم عليه السلام ومنهم من عبد النجوم والكواكب وضمناها الشمس.

تركنا النمروذ مؤقتًا وصرنا نُتابع النبي لنشهد جسم إبراهيم عليه السلام فقط وهو يكبر وتمر السنون عليه إلى أن صار شابًا حتَّى أتى يوم الاحتفال وهو يوم يخرج فيه أهل بابل خارج مدينتهم فيمارسون طقوساً عبادية يتخللها الهرج والمرج، تشيع المزامير والنظر نحو الفضاء الشاسع بغية إرضاء النجوم. داخل المدينة مكث إبراهيم وحيدًا رافضًا الخروج وقد أعد خطة محكمة ليدعو قومه إلى عبادة الله الواحد الأحد بعدما تفكَّر في الكون ورأى أنَّ النجوم، القمر والشمس جُلُّهم قد أفلوا ولا يُمثلون الإله ليفطن كونه الله فوق سبع سماوات ويصير نبيًّا مُكرَّمًا بل أبو الأنبياء. انطلق نحو معبد الأصنام الأكبر والذي يتعبد أبوه وقومه داخله ليقوم بتحطيم جميع أصنامهم فيما عدا الصنم الأضخم بينهم ويُقال بأن اسمه (مردوخ) وذلك الاسم له ارتباط بالسحر في حقب قديمة غابرة، بعد عودة أهل بابل إلى المدينة والمعبد صُعقوا لرؤية الأصنام

مُحطمة فيما عدا كبيرهم فهرعوا نحو إبراهيم يسألونه عمَّا حدث فهو الذي مكث بالمدينة وبكل تأكيد يعرف الحقيقة كاملة، فأجابهم بل من فعلها هو الصنم الأكبر هذا واسألوه إن كان ينطق فعرفوا ظلمهم وأن هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع فهي هباءٌ منثور، لكن الكبر الذي يمنع الإنسان من التسليم واليقين جعلهم غاضبون وبسببه أصروا على موقفهم بل وتوجه بعضهم إلى النمرود يُخبرونه بما حدث ودعوى شاب يُدعى (إبراهيم) لعبادة إله واحد لا غير فتعجَّب لهذا القول وأمر وعلى الفور بإحضار ذلك الفتى إليه ليبت في أمره.

توجَّه إبراهيم صوب برج بابل واثق الخُطى لتحدث واحدة من أعظم المناظرات في التاريخ، وقف الشاب المؤمن أمام هيبة الملك الذي يدعي كونه إلهًا وبدأ النمرود في سؤاله من ربك، قال ربي الله الذي يُحيي ويُميت فقال النمرود بأنه يُحيي ويُميت وعندها وبسبب صلابة إبراهيم أمامه أتى ببرهان وهو أنه أمر رجاله بإحضار سجينين قد بُتَّ الحُكم فيهما بالإعدام، رأينا حينها رعشتها وخوفهما من بطش الملك ومع ابتسامة ساخرة وأعين تمتلئ بالحدق، عفا عن أدهم وكان ذلك سبيل الإحياء وأمر بقتل الآخر وكان ذلك برهان الموت !!

هنا رد إبراهيم عليه بأنَّ الله يأتي بالشمس من المشرق فأخرجها أنت من المغرب فُبهِتَ الذي كفر وعجز النمرود عن الرد وبالطبع خشي على صورته أمام حاشيته وقومه فهو بمثابة الإله لهم بأسحاره وحضارته العظيمة، رأينا على مقلتيه علامات القهر وهذا ما يُصيب الظالم وقتما يكتشف كونه أحمق لا قُدرة له دون الله، استجمع قواه وانتفض واقفًا ليأمر حينها بأن يتم تجهيز نيران عظيمة الشأن ليُلقي داخلها إبراهيم جرَّاء ما قال وفعل، كان صوته هادرًا مُمتلئًا بالكرامية والغضب وجرَّاء ذلك شرع القوم في تنفيذ خطته.

شهر كامل استغرقه الجنود والعامّة من أهل بابل في إعداد محرقة إبراهيم الذي سجنه النمرود ريثما يتم تنفيذ الحُكم عليه، أخذ الجنود يضعون حطب الأشجار الغليظ بعضه فوق بعض داخل بؤرة شاسعة الحجم تمَّ تخصيصها لتكون هلاك إبراهيم والعامّة يُشاركونهم الحدث بوضع ما استطاعوا من متاع كالعيدان والأخشاب الرفيعة وغيرها، الأصوات صاخبة تُندد وتجتمع سويًا على مقولة واحدة: "انتصروا لآلهتكم واحرقوا إبراهيم"، استمر الأمر على تلك الحال حتَّى صارت الأكوام مثل ارتفاع جبل وهو أمرٌ جلل.

جاء الميعاد المحتوم لنشهد الجنود وهم يُزيحون جسم إبراهيم أمامهم والنمرود يقف في الأعلى أمام شعبه الذي تجمع بأكمله، كبيرهم وصغيرهم، أغنياءهم وفقراءهم، أقوياءهم وضعفاءهم وقلة من المشفقين على إبراهيم لرؤيته يحترق، أمر النمرود الجنود فأشعلوا الحطب بالنيران وأسرعوا بالفرار فقد أكلت النار الهشيم ووصل مداها أمتارًا مديدة بل لن أبالغ إن قلت كيلو مترات! ارتفاعها هائل ولونها أشبه بالأحمر الدامي، جُلَّ الطيور التي عبرت من

فوقها احترقت وجُلَّ الزواحف التي تباطأت من الفرار جانبها أصابتها الشُّعلات وفارقت الحياة، لا أُصدق أن أحدًا قد ينجو من هذا الأمر المهيّب. وضعوا جسم إبراهيم على أحد الأتراس وبها قذفوه صوب النيران فلم يقدر أحد على الاقتراب منها ليطيّر إبراهيم وهو ثابت لم يرضخ للكافرين ويهبط داخل جبال اللهب تلك لتحدث معجزة إلهية عظيمة وهي أن الله أمر النيران أن تكون بردًا وسلامًا على إبراهيم فلم تحرقه بل صار يمشي داخلها دون أن يُصاب بأذى، وسلامًا هنا تعني بأن النيران لم تكن بردًا قارسًا فيُصاب إثر ذلك، هذا قدر يتعدّى نطاق العقل البشري المضمحل ويتجاوز المنطق غير الموجود هنا!!

جلس إبراهيم في تلك النيران مُدة أيام فلحجمها الهائل لم تنطفأ سريعًا ولذلك أرسل الله إليه ملك ليُطعمه ويسقيه داخلها فلا يجوع أو يعطش حتى هدأت أخيرًا وخرج منها سالمًا على قدميه بعد أيام معدودات. حظت الأعين التي كانت ترقب الشاب وهو يسير داخلها دون أن يُصدق أحد ما تراه مقلتاه وضمنها بالطبع والده الذي لم تأخذه عصبه الدم فيحنو على ابنه بل كان مع القوم الباغين، وبعد تلك المعجزة أصر القوم أيضًا على شركهم وطغيانهم ولم يؤمن منهم غير القليل مُتناسيين ما رأوه جاء صوت العين هامسًا: - من ضمن الحشد الذي شاهد ما يحدث لإبراهيم وكان من القلة الذين آمنوا به، ذلك الشاب ويُدعى لوط والذي سيصير نبيا فيما بعد وسيتم القضاء على قريته بعد خروجه منها بأشد أنواع العذاب فقومه كانوا شواذًا يرفضون علاقة الرجل والأنثى!

لمعت أعين الغريب مُتذكرًا ما يحدث اليوم وما نراه في بلاد الغرب وآثره على منطقته بأكملها والرغبة الجامحة في تلويث الفكر داخل منطقة الشرق.

عُدا مُجددًا لُنُبصر النمرود وقد وقف مذهولًا مُتصنمًا أمام الشاب المؤمن ليسأله عن ماهية إلهه وأنه يُريد تقديم القرابين له ولكن وبالطبع أخبره إبراهيم عليه السلام بأن الله ليس في حاجة إلى قرابينه بل ينبغي عليه طاعته وحده وألا يُشرك به شيئًا، هنا استشاط الملك وقد توخَّس الكبر في نفسه ليتوعد إبراهيم ومن آمنوا به ويُعلنها صريحةً: "الحرب على إبراهيم والموت لمن آمن".

صار الأمر مُحتمدًا، جمع النمرود جيشه المهيّب الذي سيطر به على البقاع يُريد أن يُقاتل إبراهيم والقلة التي آمنوا به فإن لم تحرقه النار سيُحاربه هو ويقتله بنفسه وخرج بجيشه ذي العِتاد والأنفار بغية القضاء عليهم وقد انتظروا وقت طلوع الشمس ليتجهوا ناحيتها وهو بذلك يقصد مُحاربة وقت طلوع الشمس استنادًا لقول إبراهيم أن الله يأتي بالشمس من المشرق وكانت الصورة من أعلى عجيبة، جيش جرّار أمام بضعة رجال فكيف لهم الوقوف والمُحاربة وما هذا اليقين المتوغل في الصدور!

فُبيل هجوم جيش النمرود على المؤمنين، صُنعوا بعدم خروج ضوء الشمس لينظروا بالأعلى فإذا بهم يشهدون مُعجزة جديدة، سرِّبًا هائلًا من البعوض ملأ السماء والأرض فُدِّرت أعداده بالملايين فصار يهجم على جيشه دون رحمة يسلخ جلد جنوده عن أجسامهم وهم يصرخون مُرتعدين وبالطبع إبراهيم ومن معه يُكبرون: "الله أكبر، الله أكبر". قضى البعوض على معظم جيش النمرود فلم يبقَ منهم غير حرسه وحاشيته ليفروا هاربين، ولكن لحقته بعوضة واحدة واستطاعت النفاذ داخل أنفه لتصعد جوار المُخ وتسكن في دماغه.

بعد تلك الهزيمة الساحقة جلس الملك داخل غرفته أعلى برجه العظيم، عيناها تزدانان بالدماء وصرخاته تصل أعالي الفضاء الشاسع، العذاب كُلُّ العذاب جرَّاء مكوث تلك البعوضة داخله وقضى على هذا الأمر سنوات طُول، فمع كل حركة لها كان يستنجد بالجنود ليضربوه بالأخشاب على رأسه حتَّى تسكن البعوضة مُجددًا إلى أن خارت قواه فصار هزيلًا لا يقدر على السير حتَّى وانتهت حياته مُعذبًا لاقى أشد أنواع الذل والهوان بعد سنواتٍ عجاف من الطغيان ولكن حكم ربك بالمرصاد، يُمهّل ولا يُمهّل وكانت نهاية الطاغية على يد بعوضة! أخبرتنا حينها العين بأنَّ إبراهيم وزوجته سارة قصدا أرض "بيت المقدس" والتي كان يسكنها الكنعانيون العرب حينها، أمَّا لوط فقد ذهب صوب قرى "سدوم" والتي ستحدث داخلها وفيما بعد مهلكة القوم الطاغين.

جاء صوت البشري ليُخبرنا بشيءٍ عجيب:

- تلك هي النهاية الصحيحة لذلك الظالم ولكن هنالك نهاية أخرى مُحرفة في العهد القديم تتحدث عن أنه وبعد مُعجزة محرقة سيدنا إبراهيم عليه السلام يُقال بأن النمرود ذهب إلى كهف الظلمات ليُقابل إبليس وهو غاضب فكيف أعطاه القوة الكاملة ولم يقدر على إبراهيم وبعد نقاشات وجدال قيل بأنَّه توعد إبليس بالقضاء عليه فضحك بشدة واقترب منه ليمسد على منكبيه ويُغادر بلا رجعة وهنا اندهش النمرود من تلك الفعلة ليعود إلى بُرجه وينام ليحلم بكابوسٍ مزعج عن ثعابين تظفر به فاستيقظ ليرى بجانبه وعلى كتفيه ثعابين تنمو عليها ففرع وسمع صوت همهمات إبليس داخل أذنه يقول: "إن لم تُطعم تلك الثعابين سيأكلون رأسك" هنا حاول النمرود إطعامهم دون جدوى ليُقرر بأن يؤكلهم رؤوس البشر وخصيصًا الأطفال فأكلوها وصار كلَّ فترة يأمر جنوده بفعل ذلك الشيء والقضاء على العديد من الأطفال وأخذ رؤوسهم لتُغذي الثعابين ولم يقدر بشري على مُعارضته حتَّى تم أخذ أطفال حدَّاد شديد البأس يُدعى (كاوي) وذلك الكاوي معروف عند الأكراد وله عيد هناك وقصته بأنَّه عندما حدث ذلك ثار وتوجه إلى بابل وصار يدعو الناس للخروج على ذلك الحاكم الظالم ولم يكتفِ ببابل فقط بل وكل المناطق المُجاورة ومن بينهم من كرهوا النمرود للغاية فاشتعلت الثورة وحينها ذهب

كاوي إلى النمرود في برجه وواجهه وجهاً لوجه وأخبره بأن يعدل عن تلك الأفعال وسيتركونه حاكمًا وبطبيعة حال النمرود وغروره أراد أن يبطش به وبدأت حرب أخرى بين جيش النمرود وجيش كاوي في منطقة النهرين وانتصر جيش كاوي وثرك النمرود حبيساً في غرفته ولم تجد الثعابين المجاورة له ما تأكله فقضت عليه في مشهدٍ دموي.

- تلك القصة المُحرّفة وهي شائعة والتي لم يذكرها القرآن، وبكل تأكيد نهاية الطاغية كانت على يد بعوضة.

ظننتُ بأننا وبعد تلك الرحلة العصبية سنرتاح ولو قليلاً، ولكن حدث شيءٌ عجيب جاء صوت العين صاخباً:

- في أواخر حقبة النمرود زار بابل رجلٌ صالح آمن بالله واتّبع إبراهيم، ذلك الرجل هو ذو القرنين.

خرجت شهقة من البشري ليقول:

- ثاني حُكام الأرض.

- نعم، يرجع تاريخه إلى عصور الحضارات الكبرى فصار أحد أهم القادة التي قلبت موازين الحكم.

دام الصمت قليلاً، ومعها تشكّلت أمام أعيننا كلمات من نور تقول:

“الرحلة الثانية والملك الثاني للأرض ذو القرنين”

أخبرنا البشري وقبل أن تبدأ العين في الانتقال لعصره بأن مُسمى ذو القرنين دارج كما الخضر في عديد العقائد فقد تم ذكره فيهم ما عدا العقيدة المسيحية فقط فلم يُذكر عنه شيء، ولكن وبالطبع عند اليهود كان له باعٌ كبير وأما في دين الإسلام فقد دُكرَ داخل القرآن في سورة الكهف، ولذلك سببٌ يجهله البعض فالقصة ترجع إلى عهد دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحديداً في مكة، فقد ذهب المشركون من قُريش إلى يهود يثرب وهم يعلمون كونهم أهل كتاب ومُلمّين بقصص الأثر السحيق فسألوهم كلمات يستطيعون بها أن يُحاجوا محمد فقال لهم كُبراء اليهود بأن يسألوه ثلاث، فإن أجابهم فهو نبيٌّ مصدق وإن لم يُجب فافعلوا به ما تشاؤون، اسألوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم وهم بذلك يقصدون “أهل الكهف”، اسألوه عن رجلٍ طَوَّاف، طاف مشارق الأرض ومغاربها وهم يقصدون بالطبع ذا القرنين واسألوه عن الروح فذهبوا صوب الرسول يُحاجونه فيما أخبروا لعلمهم بذلك يغلبونه فكان رد الرسول بأنه سيُخبرهم غداً عمّا سألوا عنه “ولم يقل إن شاء الله” فانقطع عنه الوحي

فترة من الزمن قيل تجاوزت العشرة أيام وقد حزن الرسول كثيرًا لذلك واستغلظ المشركون في طغيانهم ثم أنزل عليه الجواب في الأسئلة الثلاث، ونزلت سورة الكهف التي صارت سنة قراءتها يوم الجمعة لما فيها من تشریف وفيها ذكر الله لرسوله قصة الرجل الطوّاف ذي القرنين وقد عاتب الله عز وجل نبيه محمد لقوله إنه سيُخبرهم بأمر الثلاثة أسئلة غدًا دون أن يقول "إن شاء الله" فنزلت الآية الكريمة:

” (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُمْ غَدًا (٢٣)) [الكهف: ٢٣]

فرغ من حديثه وجاء دور العين التي بدت سعيدة بما تلقّت من معلومات.

على خشوع القلب بما ذُكرَ أمامنا قصدنا زمانًا مُغايِرًا يبعد بألاف السنين عمّا كُنّا داخله، وفيه سمعنا أصواتًا تُحيي رجلاً مهيبًا ويقولون: "الملك ذو القرنين".

لم يُذكر اسم صريح لذلك الرجل الغامض بل كُنيتُه فقط حتّى نحن الجان لم نعهد باسمه أو يتذكره كبيرنا، اختلف في تحديد ماهيته فقد يكون ذو القرنين قد لُقّب بذلك لأنه عاصرَ قبيلتين كبيرتين لمدة قرنين من الزمان، أو لأنّه كان يرتدي تاجًا له قرنان، ومنهم من برّر ذلك لأنه ظفر بمُلك فارس والروم معًا... خرجت تلك الكلمات من العين.

نشهد أمامنا الآن رجلاً قوي البنية، شديد البأس وقد ارتدى تاجًا له قرنان طويلان مُزدان بالأحجار النفيسة، أمامه حشدٌ كبيرٌ من الجنود يصدحون بأصواتهم بغية الترحال ونشر الإسلام والإيمان... في تلك الحقبة زال النمرود من الوجود بعدما قضت عليه البعوضة وتفرّقت الممالك فلم تصير بابل بقواها العاتية كما في عهده وأيضًا لم تكن البلاد المجاورة أحسن حالًا، كأنّ العالم حينها يمر بفترة انتقالية وقد كان ذلك دافعًا وسببًا لبزوغ ملك جديد سيحكم الأرض أو بمعنى أدق سيصير الحاكم الأقوى على تلك الأراضي ولحسن الحظ كان مؤمنًا بالله، ورعًا وتقياً وقيل بأنّه قد طاف مع إبراهيم عليه السلام الكعبة وتعلّق بحبال الإيمان فجعل على عاتقه نشر ذلك في شتّى بقاع الأرض بغية إرضاء الله ومنذ تلك اللحظة بدأت رحلته الأكبر والتي قُدّرت ب 500 عام فأنزل الله له ملكًا يكون جواره ويُخبره أين ترحاله وكانت تلك من ضمن الحالات النادرة لأن يُجاور ملكٌ من البشر لا نبي.

حفظت أعين الشاب لترقب كافة تفاصيل جيش ذي القرنين كثير العِتاد والبأس، عشرات الآلاف من الجنود يسيرون في صفٍ واحدٍ خلف قائدهم على حصانه الأصيل، بعضهم حمل رايات والآخر يرقب المسير، لاحظنا وجود سرية خاصة في المنتصف مُحاطة بعددٍ غفير من

المقاتلين الأشداء ليرصدها البشري جيداً ومعها انتبه إلى وجود بضعة رجال يبدو من هيئتهم والهالة التي تحيط بهم الحكمة والورع دون أن يحمل أحدهم سيفاً، هنا باغتته همسات العين قائلة:

- هؤلاء هم علماء مجلس ذي القرنين الأكثر دراية بالكون ومن بينهم الخضر عليه السلام. ارتبك الغريب للغاية وشرد ذهنه فلم يتوقع بأن زمن نبي الله، الخضر بدأ في عصورٍ قديمة كتلك! أخذ يُتابع ويتعقب تحرك ذلك الجيش وانتبه إلى كونه يقصد مغرب الشمس فسار معه ليرى بلداناً عجيبة وأقوام تباينت ما بين عبادة الله أو الشرك به وذو القرنين كلما مرَّ ببلدةٍ دخلها ونشر فيها الدعوة وقد عاونه في ذلك مجلسه وحُكمانه، ما جحظت له أعين النسر هو كيفية انتقال ذي القرنين عبر البلدان كأنما الأرض تُطوى له فيتخذ منها أسباباً لا قبل لأحدٍ بها فكان يصل إلى ما لا يقوى عليه غيره، شمسٌ تشرق وأخرى تغيب ومعها توالى التنقلات على النسر المُحلق تَباعاً حتَّى وأخيراً بلغ ذو القرنين أقصى أراضي مغرب الشمس وفي تلك البُقعة شهد الشمس تغرب في عينٍ حمئة، أي الشمس تغرب في مكانٍ به ماء وطين أسود بل شديد السواد، مستنقعات كبيرة الحجم أشبه بالمُحيط أو النهر ذي المياه الراكدة، وعند تلك البُقعة رأى قومًا لا يؤمنون بالله عزَّ وجلَّ وقد أشركوا وطغوا في البلاد، أصاب فسادهم المُدن المجاورة ولم يقوَ أحدٌ على ردعهم فأرسل الله إلى ذي القرنين عبر الملك المُجاور له يسأله عمًا سيفعل وهذا كان أول اختبار حقيقي فما كان منه سوى أنه حادثهم بالحُسنَى وخيَّرهم بأن من آمن بالله فسيجزيه الله الجزاء في الآخرة، وفي الدنيا سينعم بالأمان، أمَّا من أصر على الكُفر فسيلقى العذاب هنا على الأرض ثم يُرد إلى ربه فيكون العذاب الدائم في الآخرة وقد امتثل الظالمون له لما رأوا من بطشه وعدد نفره وبغي القليل فلقى الردع والهزيمة النكراء.

بعدما بلغ الحاكم الصالح أقصى مغرب الأرض، عدل بجيشه ليقصد أقصى مشرق الشمس وتبدأ معها أسبابٌ أخرى تتفتَّح له عبر الأرض فيشهد العديد من الأرواح والعادات المختلفة وقد أكسبه الله لساناً قادرًا على التحدث بلغاتٍ عديدة يستطيع من خلالها الحديث مع جُل هؤلاء البشر دون حاجب، صار يسير بجيشه والنسر من فوقه يتبعه ويلحظ صدق نيَّته وحرصه على جعل الجميع يدخلون في عبادة الله عزَّ وجلَّ حتَّى وأخيراً بلغ أقصى المشرق، وعندها رأى قومًا ليس بينهم وبين الشمس سِتْرًا، أجسامهم عُراة لا ملبس لهم ولا شيء يحميهم من الشمس وبعضهم عاش دون منازل تقيهم أشعتها الحارة، كانت تلك البُقعة عبارة عن غابات مُتصلة لا يتخللها أي منازل فقط بعض سراديب في الأسفل، وعلى الفور دعاهم ذو القرنين لعبادة الله الواحد القهَّار فاستجابوا ولم يتمردوا مثل القوم السابقين وأيضًا علَّمهم بناء المنازل وخياطة

الملبس الذي يستر عوراتهم ويقيهم حر الشمس على الجلود ثم غادر بعدما تيقن من ثبوت دعوته.

جاء صوت العين مرةً أخرى:

- عند مغادرته هؤلاء لم يعلم حينها بأنه على ميعاد مع أخطر الرحلات عبر التاريخ، رحلة القوم الجبارين، يأجوج ومأجوج.

اقترب النسر أقصى ما يُمكن من الجنود ليرصد كل شيء عن كثب وحينها شهد ذا القرنين وقد وقف جامدًا لدقائق، قد أتاه الأمر الإلهي بالانطلاق صوب أحد البقاع والذي يبدو خطرًا ولاحظ أن الجنود يقصدون الشمال الشرقي ولم يقدر على تحديد الاتجاهات بنحو أدق، ما تيقن منه هو مرورهم بجبالٍ عديدة ومُنحنيات وعرة إلى أن وصلوا إلى منطقة كأنها أُجتذت عن الكون أو قرية منفصلة عن العالم، مُتباينة ما بين الخُصرة والأرض القاحلة، بها شتّى أنواع الحيوانات وأيضًا جُثث بعضهم ملقاة، توقف عندها الرجال كثيرًا وأخذ مجلسه من الحكماء يستنبطون كينونة تلك الأرض وصار الجنود على أهبة الاستعداد، على مرمى بصره رأى جبلين عظيمين ارتفاعهما شاهق بنحو غير مسبوق وبينهما أو على مقربةٍ منهما تعيش أُمَّةٌ كاملة فاقترب منهم متعجبًا وازداد ذلك الاندهاش عندما وصل إليهم وتبيّن له بأنهم لا يعرفون الكلام أو بالمعنى الأدق يتحدثون لغةً عجيبة لم يعهدوا قط!!! حاول التواصل معهم عبر الإشارة فلم يُفلح الأمر إلى أن خرج أحد علماء مجلسه أو بالأحرى أحد المُرجمان التابعين له وقال بأنه يعلم هذه اللغة ويقدر على التحدث بها فصار هو الوسيلة للتواصل ومع ترجمته أخبروه عن حقيقةٍ مُرعبة...

عَلِمَ ذو القرنين كونهم منفصلين تمامًا عن العالم الخارجي، لا يعلمون الحروب المشتعلة بالخارج أو حُكام الأرض، يقتاتون فقط على ما كسبت أيديهم من الزراعة والبناء وقد ورثوا ذلك عن سلفهم وهنا تلعثم الحديث وبدا الخوف على الجبين جليًا ومع الضغط وما رآه من بأس الجنود وتعدادهم أخبروا مُرجمان ذي القرنين أن يتحدث إليه عمّا يُواجهونه من خطرٍ مُحدق وهنا ظهر ولأول مرة اسم "يأجوج ومأجوج" فقالوا بأنهم قومٌ وقبائل تعدادهم لا يُحصى، بأسهم شديد وقوتهم لا يُناظرها أحد، ينسلون مرةً كُل بضعة أيام من بين الجبلين فيقضون على كل شيء، الأخضر واليابس، الحيوانات بل وقد يأكلون البشر أيضًا ولاقى بعضهم حتفه على أيديهم حتّى إن انتهوا وأخذوا المؤمن عادوا أدراجهم إلى حيث يقطنون!!

بسبب الصراعات التي لاقاها القوم وبأس يأجوج ومأجوج فَطَنَ ذو القرنين بأنه لن يقدر على هؤلاء بجيشه بعد ذلك الوصف وإن حاربهم ليلقى الويلات، وأنّ الحل الأمثل هو حبسهم وأن

تكون المنطقة الشاسعة التي بين الجبلين سدًا منيعًا أمامهم لا يقدرّون النفاذ منه إلى العالم الخارجي وشرع في ذلك بوحى من الله. قبل أن يبدأ أخبره القوم بأنّه إن خلّصهم من خطر يأجوج ومأجوج سيجعلون له خرجًا لكن وبالطبع رفض الحاكم الصالح ذلك فهو سيُساعدهم لوجه الله وبغية نُصرة الضعيف وشرع في خطته...

أول شيء وإلتام الأمر أراد الحديد وكميات هائلة منه فأمر جنوده والعامّة أنفسهم بأن يجلبوه ثم يقطعونه إلى قطع صغيرة فإذا انتهوا ملؤوا به طريق ما بين الجبلين الذي يتخذه يأجوج ومأجوج سبيلًا للخروج، تذكّر النسّر وهو يشهد أعداد الحديد الهائلة التي شكّلت جبلًا ضخماً موازيًا للجبلين عن اليمين واليسار قوم بابل الذين جمعوا الحطب فصار كومة هائلة مُماثلة فشتّان الأمر هؤلاء ينصرون الدين والبشرية والآخرين يكفرون ويأثمون بغية إحراق نبي.

انتهى الجميع من وضع قطع الحديد حتّى صار طولها موازيًا للجبلين وسدّت الفجوة تمامًا لكن انتبه ذو القرنين إلى كون الحديد غير ثابت فإن هاجمه يأجوج ومأجوج بقوتهم الغاشية أزاحوه وتهدّم، لذلك فطن إلى أمرٍ آخر وهذا من الإعجاز والإلهام الإلهي له، أتى بالنحاس وأشعل فيه النار وأمر القوم بأن ينفخوا حتّى تشتعل النيران أكثر وأكثر فصار النحاس منصهرًا بشكلٍ كاملٍ وحينها بدأ في سكبه على قطع الحديد التي تسد الطريق حتّى ملأ النحاس المنصهر كافة الفراغات بين قطع الحديد فصار بناءً متماسكًا شديد القوة وجلس جوار القوم بُرهةً من الوقت ريثما يتيقن من عدم مقدرة يأجوج ومأجوج على النفاذ وصدقت توقعاته ففي اليوم الموعد سمعوا جميعًا وفي بداية الليل أصواتًا هادرة تتكالب على السد غير قادرة على إزاحته أو التسلق عليه فقد كان أملس ينزلقون متى حاولوا الصعود. هنا فرّح الناس وهلّلو فذكّرهم ذو القرنين بأنّه إذا جاء وعد ربي جعله دكّاء، أي يُدك ويُهدم ذلك السد وبالطبع سيكون ذلك في آخر الزمان.

ترك ذو القرنين القوم على عبادة الله وهم يُكملون حياتهم بشكلٍ طبيعي وأكمل رحلاته الغامضة، فعاشوا سنوات بينهم وبين يأجوج ومأجوج سد منيع حتّى الآن...

انسحب الغريب مرةً واحدة من النسّر الذي استنثار وفرّ هاربًا ليعود هو أدراجه حيث العين جواره والتي قالت:

- بسبب رحلات ذي القرنين وانتصاراته الكُبرى ذهب بعض الناس من مختلف العقائد إلى استنتاجات مُتباينة عن ماهيته، فمنهم من قال بأنّه الإسكندر المقدوني ولكن تم ضحد تلك النظرية فالإسكندر حكم اثنتي عشرة سنة فقط وكان عليه العديد من المآخذ، اليهود قالوا بأنّه كورش الكبير ملك الفُرس العظيم وقد اهدتوا لذلك الاستنتاج لكونه مُخلصهم من أيدي البابليين

بعد ما فعله بختنصر بهم وكيف أحرقهم في واقعة تُدعى "السبي البابلي" ولكن وأيضًا ذلك المعتقد خاطئ لأن كورش كان له الكثير من الضحايا والمآخذ التي ومُحال أن يفعلها ذو القرنين بجانب أن الفترة الزمنية لكورش تتعدى النمرود بكثير وبختنصر في الأصل هو آخر حاكم من الأربعة للأرض في الترتيب الزمني، أقاويل أخرى ذهبت إلى أبعد من ذلك عن كونه حاكم من الدولة المصرية القديمة كإخناتون أو غيره ولكن أيضًا ذلك غير صحيح، فذو القرنين كان رجلًا قويًا ذا جيش عتيد حينما قابل نبي الله إبراهيم وبعد طوافه بالكعبة ورؤية أفاعيل النمرود بالعالم عزم على توحيد البشر على عبادة الله فمعنى ذلك أنه رُبما كان من أصول قريبة من بابل وإخناتون تَمَّت مُحاربتة داخل مصر من كهنة المعبد لدعواه التوحيدية ولم يُغادر أرض النيل، أغلب الظن أن نسبَه يعود إلى الحضارة اليمينية وملوكها وبالتحديد العصور الحُميرية التي اشتهر ملوكها باستباق أسمائهم لفظ "ذو" مثل الملك (ذو النواس الحُميري) وغيره.

بدا على أعين البشري الرهبة والسعادة في آنٍ واحدٍ لتلك الرؤية التي شهدَ فيها أحد السلف الصالح وكيف أراد إشاعة الإيمان خلال شتّى بقاع الأرض فوقف جامدًا وقد تذكَّر شيئًا ما ليقول:

- وماذا عن رحلة عين الحياة؟! -

حفظت العين حتّى بدت عروقها لترد قائلة:

- لم أكن أعلم بأنك قد سمعت بها ولكن لنتركها الآن فهي مرتبطة أكثر بالخضر، ويتحتم علينا تحضير انتقال يخص ما شاهدته، يجب التوغل أكثر في حقيقة أرواح ما خلف السد.

تراجع البشري للوراء خطوات، وقد بدت الرهبة على وجهه:

- أتقصد قوم ياجوج ومأجوج!

أومأت العين وهي تعد الزمن الأول لظهورهم لتختفي رويدًا ومعها وجد الغريب نفسه قابلاً على أرضٍ قاحلة وصوتٌ هامسٌ يقول له:

- حقبة ما بعد الطوفان ونسل نوح عليه السلام، (سام، حام ويافت).

على أرضٍ قاحلة شهدنا آثار تدمير وجرف عظيمين، إنَّها الأرض بعد الطوفان العظيم، الطوفان الذي شهدناه سابقًا وكيف تبدَّلت البقاع بعده من اندثار حضارات واختفاء قواعد أماكن مقدسة مثل، الكعبة والمسجد الأقصى، اتَّسعت بقعة المياه وانقسمت اليابسة إلى مناطق متفرقة

عبر السطح بأكمله وبعد نزول المؤمنين من السفينة شاء الله أن يكون نسل العالم أجمع من رسوله نوح فقط وكان له ثلاثة أولاد حينذاك بعد موت كنعان الإبن الكافر فوق الجبل.

سام، حام ويافث هؤلاء الثلاثة تزوجوا وعمروا الأرض وعلى غرار حضارة البشر الأولى لم يمتكثوا في أماكن محددة بل تفرقوا واتخذ كل منهم طريقه ليقيم حضارة خاصة به بعيدة عن أخيه فجاء من نسل سام، العرب، فارس والروم، أمّا حام فجاء من نسله الأفارقة والبربر، والأخير يافث هو من توقفت عنده العين فقالت بأن من نسله جاء الترك، وقوم يأجوج ومأجوج..

إذا هؤلاء الوحوش الذين شهدناهم خلف السد هم أصلًا من البشر! كانت تلك الصدمة الأولى ولم تُمهلنا العين كثيرًا لنرى أنفسنا أمام رجلين في حقبة مختلفة لم تبعد كثيرًا عمّا نحن فيه، رجلان عريضا المنكبين، ضخام الجثة يحجبان نور الشمس ناداهما رفيق باسم: يأجوج ومأجوج، كان للرجلين رهبة وطاقة تُطيح بأعتى الرجال ولم يهابا أحدًا قط وقد تتابعت الومضات عليهما فشهدناهما يُكونان قبيلتين بعدما تكاثرا وصار لهما نسلٌ غفير العدد اتّسم بالغلظة، العجيب في الأمر هو مدى سرعة ذلك التكاثر وقد عَقَبَت العين على ذلك قائلة:

- فِدْرَت سرعة تناسلها مقارنة بالبشر في تلك الحقبة ما يوازي ثلاثة أو أربعة أضعاف!

صار نسل هذين الرجلين مُقدَّر عدده بالآلاف وسكنوا في جماعات خاصة بهم بعيدون عن المحيطات المُجاورة ولكن بدلًا عن تدمير الأرض وطاعة الله، أشاعوا فيها الفساد فصاروا يُهاجمون القبائل بلا رحمة، يقتلون الرجال والصغار، يستحيون النساء ويُضمرون الشرور عبر العالم أجمع، أتاحت لهم مقدرتهم الجسمانية الهائلة وعتادهم ذلك فأضلوا وعتوا كما حرب الجان سابقًا، لم يسلم من بطشهم أحد، حيوانات، زرع أو بشر لدرجة أنهم صاروا يلتهمون الأرواح أجمع كما العمالقة! فكانوا كما الجراد إذا دخلوا على قرية أو موطنٍ عيش بشر قضاوا على الأخضر واليابس وكفروا بالله دون امتثال لأوامره، هنا باغتتنا العين مُجددًا:

- قيل إنهم عصوا من نصحوهم من الصالحين والأنبياء وعتوا عتوا كبيرًا.

اقتربنا للغاية من أجسادهم لنرصد هينتهم فرأيناهم قومًا صغار العين، ذلف الأنف أي الصغيرة المستوية كأن وجوههم المجان المطرقة، ليقول على الفور:

- هذا وصف رسولنا الكريم لهم...

تناوبت أطوالهم بين العمالقة ومتوسطي الطول، وجوههم عريضة ومدورة وشعرهم أشقر وجلودهم سميكة للغاية وقد استمر طغيانهم باعتقاد الخلود على تلك الحال من الفساد والبغي

على الخلق، فما لبثوا أن نزل عليهم العذاب الأليم، أثناء تجمعهم وبعد إحدى جولاتهم شملتهم صرخات مدوية جرّاء لعنةٍ ما أصابت جلودهم وعقولهم معاً، لم تنفعهم قواهم حينذاك وصاروا يتقبلون كما النعاج ومع ذلك جاء صوت العين تقول:

- بسبب ضلالهم لعنهم الله وأطلق عليهم العذاب فصارت وجوههم قبيحة منفرة وجلودهم السمكية لا تقدر على تحمل الشمس طويلاً، لذلك هربوا مبتعدين عن السهول إلى مكانٍ بعيد حيث لا يراهم أحد ولا تطولهم أشعة الشمس فسكنوا منطقة ما بين الجبلين، هذه التي شاهدت ذا القرنين يحبسهم من خلفها.

اندهش الغريب وهو يُخبر العين عن تعجبه من بعض العلماء الذين قالوا بأنّ يأجوج ومأجوج هم نفسهم المغول!! وذلك لتشابه وحشيتهم وأعدادهم الهائلة وأيضاً قربهم من الشكل الخاص بالوجه والجسد ولكن وبالطبع تلك نظرية خاطئة فالمغول لم يتم حبسهم يوماً وراء سد عظيم وكانوا يعيشون بالقرب منّا بل خرجوا من بيننا وتم القضاء عليهم مثل الفايكنج والحشاشين وغيرها من الطوائف وبشكل تام من التاريخ الحديث فأين المغول من هؤلاء القوم الأشبه بالوحوش الضارية غير أنّهم من علامات الساعة الكبرى، ما يعني كونهم من المُنظرين إلى يوم البعث كما إبليس، وما يؤكد ذلك هو حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدّث فيه عن ويل للعرب من شرٍ قد اقترب وذكر فيه أن الردم الخاص بيأجوج ومأجوج تم فتحه وأشار بإصبعه ليوحى أو يُصوّر بمدى اتساع الفتحة التي أصابت الردم وهذا يقفز بنا إلى آية هامة جداً في القرآن يقول فيها الله عزّ وجلّ:

“حتى إذا فُتِحَت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون“

من كل حدبٍ ينسلون فهي تُذكرنا بآيةٍ أخرى تحدث فيها الله عزّ وجلّ عن البعث وانسلاخ الأرواح عبر الأحداث من كل حدب، وذلك يوحى بكثرة عدد هؤلاء القوم وأيضاً ذكر كلمة إذا فُتِحَت يعني الفتح في الردم الخاص بذي القرنين والذي ذكره الرسول بأنّه قد حدث بالفعل ولكن هذا يؤدي إلى نقطة هامة جداً واستنتاج خطير.

هنالك حديث آخر للرسول عنهم تحدّث فيه عن إنهم يحفرون في الردم كل يوم حتى إذا اقتربوا من إنهاء الفتحة قال لهم القائم عليهم بأنهم غداً سينتهون منها دون أن يذكر اسم الله وعندما يرجعون في اليوم التالي يجدون الردم قد عاد إلى حالته الأولى حتّى يأتي اليوم الذي يقول فيه القائم عليهم بأنهم سينتهون من الفتحة غداً بإذن الله فيعودون ويجدونها كما هي ويخرجون ولكن يهمننا نقطة في ذلك الحديث وهي قول الرسول “حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس”.

وهي جملة ليست بالهينة فقد ذكرها مع قرب انتهائهم من فتحة الردم فهل ذلك يعني بأنهم لا يعيشون فوق الأرض أو أنهم لا يستطيعون احتمال ضوء الشمس بسبب لعنهم فيعيشون أسفل الأرض بأعداد هائلة محتمين في الظل، وهذا ينطبق مع المشهدية التي رأيناها سابقاً وكيفية لعنهم، إذاً وبمعنى آخر..

- أيعقل أن تُشير مخطوطات سُكان جوف الأرض إلى يأجوج ومأجوج أنفسهم!، استنتاج في غاية الخطورة وعبر تحليل الكلمات قد يُثبت الكثير وهو عدم قدرتنا وإلى اليوم الكشف عن مكان السد أو أعداد هؤلاء القوم الهائلة عبر الأقمار الصناعية بل وكل التقدم العلمي الحالي لم يكتشف سوى عشرة فالمئة فقط من إجمالي الحيات على الأرض وذلك موثق بالأبحاث فما بالك بالحيوات المائية في أعماق البحار الغابرة والمحيطات!! إذاً تقدُّمنا العلمي ليس بالشيء الكبير بل هو تقدُّم عظيم داخل كون أعظم بكثير من صنع الإله وهذا التمسناه فيما رأينا منذ لحظات.

” ما إن فرغ الغريب من حديثه الخصب حتَّى ذهبت بنا العين نحو البقعة التي يمكث بها يأجوج ومأجوج فرأينا خنادق كبيرة للغاية وطبيعة قاحلة، بصرناهم ومع المساء ينسلون على السد يكسرونه بشتَّى الأدوات، يلحسونه بألسنتهم وهم يصرخون، مئات الآلاف من الأعداد تتكالب كُنلة واحدة يجأرون ويثورون بغية التحرر والخلاص، يُريدون العودة إلى عهدهم القديم ولا يفصلهم عنَّا سوى البناء العتيد ودفع ذلك البشري إلى الصياح:

- هل يُمكن أن تُمثل تلك البقعة من الجبال أراضي كازاخستان أو طاجيكستان الحالية فهي الأقرب لما نراه من تسلسل جُغرافي!

هذا الشاب بحق فطن للغاية ولكن أما يكفينا من رؤية الكائنات الموحشة وقد بدا على الجميع القلق فدفع ذلك الأمر إياه لرغبة الانتقال صوب المحطة التالية وقال:

- هلم بنا نحو المك الثالث وكفى ما شهدناه.

أخذنا الكثير من الوقت دون شيء، فقط الفراغ ولاحظ أنَّ العين ترمش باستمرار وقد اندهش فأخذ يُفكر عن سبب تلك المُماثلة وحينها صرخ منفعلًا:

- أتتجنب الحديث عن الملك التالي لكونه سيدنا (سليمان) عليه السلام!

خرج صوت العين مكتومًا:

- الملك الأقوى والرجل الذي جعلنا جميعًا تحت طوعه، تُسمونه نبيًّا ونحن نُسميه الحكيم،
”سليمان الملك”

دفعت العين كلمات من يُجاوره التي اتقدت بالحماسة للتخلي عن حذره والشروع في عصرٍ آخر، سكنت الأجواء وعمّت الظلمة لتقفز أعيننا صوب دهرٍ وحقبة زمنية بعيدة عمّا شهدناه، نحن الآن في زمن نبي الله سليمان...

أرض بيت المقدس المباركة، أناسٌ تزيح الأقدام رواحًا وجيئةً، تجارةٌ في شتّى البقاع وقد اختلفت وجهات القوم، البعض ينطلق صوب المسجد الأقصى لرؤية الإعمار الجديد، أحدهم يقول لصاحبه: "منذ تولى نبي الله داوود حكم أرضنا ساد العدل وكثرت الخيرات وقد وضع على عاتقه إعادة بناء المسجد الأقصى بعدما تهدّم من بعد طوفان نوح الرسول".

خلال الحقب المتوالية لطوفان نوح لم يأبه أحدٌ بإعادة إعمار المسجد الأقصى بل تركوه على حالته تلك والناس يؤدون صلواتهم دون حرج حتّى صار داوود عليه السلام نبياً وحاكماً في آنٍ واحد. التجارة بدت عظيمة على تلك الأراضي وقد اهتمّ الأهل بالزراعة أيضاً وحصد القمح والثمار، كان للنبي داوود ابن صالح يُدعى سليمان ذكره الكثير من المارة لما اشتهر به من فطنة وبيان وقد كان أبوه قاضياً يحكم في أمور البشر بما يُرضي الله... قصده القاصي والداني من كل صوبٍ وحذب وكثرت الاختبارات والفصل في أمور العامة.

شهدنا سيدتين تهرعان نحو المنزل الذي يقطن داخله داوود، كانتا تلهتين وهنّ يحملنّ طفلاً رضيعاً يتخاصمان عليه.. طرقا الباب وإذ بهما تدخلان تتجاذبنّ أطراف الحديث لتقفأ أمام النبي والذي لم نر صورته فقد أعمانا النور المنبعث منه، قالت السيدة الكبرى بأننا كُنّا في البادية رفقة طفلينا فانشغلنا عنهما ليلتهم الذئب إحداهما وترك الآخر وهو طفلي أنا، انقضت عليها الصغرى تُنكر حديثها الأخير وتُجزم بأن الرضيع يخصها هي، حاول داوود النبي استنباط ما حدث أكثر ولكن في الأخير ومع شحّ الأدلة حكم للكبرى بأن يكون الرضيع لها وجاء حكمه لكون الكبرى قد هرمت في العمر ولا طاقة لها لحملٍ جديد عكس الصغرى التي تستطيع جلب غيره فغادرت السيدتان وبدا على الأخيرة همٌّ وضيق ومع خروجهما اصطدمتا في رجلٍ قوي لم نستطع أيضاً رؤية وجهه وهنا علمت كونه نبي الله سليمان فاحتكمت له السيدة بما سردتاه لأبيه داوود، انتظرتا حكمه وكان تصرفه عجبياً، قال انتوني بسكين ليشق ذلك الرضيع نصفين فتأخذ كلُّ واحدة منهما جزءاً فارتضت الكبرى بذلك ورفضت الصغرى رفضاً قاطعاً، وقالت بل هو ابنها..

صمت سليمان عليه السلام بُرهةً من الوقت ليحكم بعدها أن يذهب الرضيع إلى الصُغرى وقد استيقن من كونه يخصها فالأم ينشق قلبها من أجل طفلها وقد فضّلت حياته حتّى وإن انتسب لغيرها وهذا قلب الأم.

- الآن علمت لما نُلقبه بالحكيم، كان فطنًا لم يُزاحم عقله أحد في ذلك الزمان.

جاءت تلك الكلمات من العين. تعاقبت السنون وخلالها هَرَمَ جسم نبي الله داود إلى أن توفاه الله وتولى ابنه النبي سليمان الحُكم فكان له دعوة نبي لا يردّها الله وقد كانت: “ربي هب لي مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدي”

جاء صوت العين صاخبًا:

- ومنذ تلك اللحظة ولأول مرة في تاريخ الأرض تم تقييد جُلِّ أنواع الجان تحت حُكم بشري خُلِق من طين.

استجاب الله دعوة نبيه الكريم فصار لسليمان مُلْكًا عظيمًا فقد سحَّر الله له الريح تتحرك بأمره وتهب حيث شاء، علّمه الله منطق الحيوانات والطيور والشجر فصار يتحدث لغتهم أجمعين! أيضًا سَجَّر له النحاس فكان يسيله بيديه كما كان والده يسيل الحديد، المُعجزة الأكبر هي تحكّمه في الجان فقد سحَّر الله له كافة أنواع الجان تحت إمرته وبكلمات لا يعلمها سوي نبي الله فقط، كان له من الجان الغواصون الذي يجوبون البحار فيجلبون له اللؤلؤ والمرجان، البنائون والطيّار وغيره من الفئات وضمنهم بالطبع الشياطين ومردة الجان. خرج صوت البشري قائلاً:

- وبالطبع لم يرتضوا الانصياع له.

جزء من الجان الذين خدموا سليمان الحكيم كانوا مسلمين ويُحبون خدمته وأيضًا هنالك جزء كافر من المردة والشياطين كرهوا سُخرتهم بأمره وفي نفس الوقت، كانوا يخافون منه وعند عصي أو امره يغضب ويثور فيحبسهم وينفيهم داخل أقفاصٍ من النحاس ثمّ يختمهم بكيفية مُنفردة وهو ختم مُقدس لا يقدرّون بعدها على الحركة قط رغم أجسامهم الهلامية فيقعدون خلف جُدُران النحاس داخل أقصى الصحراء إلى أن يبيت النبي في أمرهم، قيل أيضًا بأنّ بعضهم تمّ نفيه إلى جُزر مهجورة بعيدة عن أعين البشر وخصيصًا المردة وأيضًا الجبال؛ لذلك بعض هذه الأماكن ما زالت تحمل كراهية البشر أجمعين لما لاقوا وهم عُصاة وبعد وقتٍ مديد سيتولى بعضهم تسريب الكُتب أسفل عرش سليمان وانتشار كلمات مفادها: “سليمان كان ساحرًا”.

صارت أرض بيت المقدس بمثابة منارة العالم أجمع فكان مُلك سُليمان عليه السلام عظيمًا لم يصل إليه أحدٌ قط وقد شرع في بناء حضارة تتحاكى عنها البشرية أجمع، وطَّد حُكمه وصار يفتح البلد تلو الأخرى بغية انتشار الإسلام وعبادة الله في شتَّى بقاع الأرض وهو بذلك قد تجاوز ذا القرنين مُلكًا وقوة، تشكَّل مجلسه من الجن والإنس معًا ولكي يجمعهم سويًا صنع بُساط كبير الحجم بل ضخّم للغاية ووضِع عليه كراسي من ذهبٍ وفضة فكان يأمر الريح لترفعه وتذهب بهم حيث أراد يطوف بذلك هو ومجلسه العالم أجمع وقد استخدمه في الحروب أيضًا وما أكثرها التي خاضها فلم يصمد أمامه جيش.

هنا جاء صوت العين صاخبًا:

- لا تندهش من جلوسنا جوار نبي الله فقد كان منا الحُكماء ومن هم أكثر قوة منكم.

لم يُعقب الشاب واكتفى بالإشارة للرجوع مرةً أخرى وقد تواترت الأجواء.. انفتحت أعيننا على مجلس سُليمان وهو قابِعٌ على كُرسيه يُشاهد عرضًا شيقًا فقد كان مُحبًّا للأحصنة للغاية وأمامه استعراض لبعضهم من الفئة التي يُفضلها والعجيب في الأمر هو امتلاكهم لأجنحة!! سمعت هنا همسات البشري قادمة:

- كما بُراق رسول الله.

مرَّ الوقت على تلك الحال وقد أفلتت الشمس ولكون العرض شيقًا انشغل به النبي ونسي ورده اليومي فحزن كثيرًا وأمر بمجيء الأحصنة إليه فمسح عليهم وقد استغفر الله على ذلك ومن يومها لم يتكرر الأمر أبدًا.

- قيل أيضًا أنه أمر بذبحهم وأن تخرج لحومهم صدقةً بغية إرضاء الله ولم أشهد ذلك.

كانت تلك الكلمات من العين المُجاورة لم يستطع عقلي تحمل ما أراه فما هذا المُلك بحق! معجزة استطاع بها أحد البشر تسخير كافة أنواع القوى على الأرض بأمرٍ من الله فمن يقدر على بيت المقدس وأهلها وسُليمان عليه السلام حاكمهم ويا لكثافة جيشه حتَّى أنني لم أستطع إحصاءهم.

بصرتُ النبي وهو في موكبه الضخم وقد امتلك ذاكرة قوية جدًّا، تألَّف الموكب من البشر، الجان والحيوانات أجمع فلم يكن الهدهد في مكانه وسأل عنه فلم يجد إجابة ومجلس سُليمان تألَّف من بشر يجيئون فيجلسون ثم يليهم حُكماء الجان ثم يدعو الطير فيُظللون عليهم أشعة الشمس ويأمر الريح فتحمل البُساط وكان للهدهد أهمية كبيرة فكان يعلم مواضع الماء كُلِّما مروا بأرضٍ جديدة فينقر الماء بمنقاره حيث فطن لموضع مياه جوف الأرض، وحينها تبيَّن

غيابه ليقول بأنه سيعذبه عذاباً شديداً وذلك العذاب هو نتف الريش أو قد يذبحه إن لم يأتيه بيانٍ وسببٍ واضحٍ لغيابه عن موكبه ولم يمكث طويلاً حتَّى جاءه الهدد فلما سأله النبي عن تملصه من نوبته قال له بأنه فطنَ إلى شيء لا يعلمه وأنه بلغ مُلكاً لم يبلغه مُلكه في سبأ.. فقد وجد قوماً يسجدون للشمس من دون الله وقد ولّوا عليهم امرأة وهذا أمر عجيب بالنسبة إلى العرب، رأى مملكة قوية شديدة الثراء فلم يشكر أهلها الله بل زيّن لهم إبليس عبادة غير الله والكفر به!

كانت نبرة الهدد ثابتة فسبحان الله لم يرتعد من أقوى ملك على الأرض بل تحدّث دون خوف وكان همّه وصول الدعوة إلى القوم الذين رآهم ومن فطنة سُليمان عليه السلام، لم يُكذِّبه أو يُصدِّقه بل قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين وعلى الفور أرسله بكتاب وضع عليه ختمه المميز وبدأه: "بسم الله الرحمن الرحيم". طار الهدد بالمرسال وإذ بمملكة سبأ ترى مكتوباً قد سقط عليها من السماء لتفتحه وتراه رسالة من نبي يُقال له سُليمان يدعوهم إلى عبادة الله وحده وعدم الشرك به فاجتمعت مع قومها سريعاً وأخبرتهم بما قرأته وقد كان الهدد فوقهم ينظر ماذا سيخرجون به، قال الملأ من مجلسها بأنهم أولي بأسٍ شديد وقادرون على مُحاربتة والانتصار عليه فقد كان تحت ملكة سبأ عدداً من القبول والقبول هو لفظ يمّني مفاده أن لكل ملك تحته مائة ألف مُقاتل فيا لهول جيشها فعارضتهم الملكة في قولهم فقد كانت ذكية أيضاً وأخبرتهم أنّ الملوك إن دخلوا قرية أفسدوها أي استعبدوا الأحرار وهدموا الحضارات خلاف كونهم أثرياء وقد تهلك أموالهم فخرجت بحلٍ آخر وهي أن تبعث له رسول بهدية عظيمة عبر غلمانها فإن قبلها كان رجلاً دنيوياً أراد النقود فقط وارتاحوا من بطشه وإن ردّها عليهم فهو نبيٌّ وينبغي اتّباعه، وأيضاً كان هنالك سببٌ آخر لتلك الفعلة وهي أن تحصي رُسُلها جيش سُليمان ويرون بأنفسهم مقدار قوته...

عُدنا مُجدداً إلى أرض بيت المقدس حيث حشد سُليمان عليه السلام كافة جنوده من البشر والجان لاستقبال رُسُل الملكة وعند دخولهم جحظت أعينهم مخافة ما رأوا فهذا مُلك لم يصل إليه أحدٌ قط!! مئات الآلاف من الجنود الذين تباينت أشكالهم تباغاً، عتاد وأبنية حضارية شاهقة لا مرد لها، صارت أقدامهم ثقيلة يخشون على أنفسهم من البطش وعند إعطائه الكنوز وأموال ملكة سبأ رفضها وأخبرهم أنّ الله أمده بكل شيء فماذا تفعل نقودهم هذه وأمرهم بأن يرجعوا إليها فإن لم تأتِه مُسلمة هي وقومها سيأتيهم بجنود لا قبِل لهم بها وسيجعلهم أدلة..

بعد رحيل رُسُل عقد سُليمان اجتماعاً طارئاً على البساط وحينها شهدنا مجلس النبي المهيب ومن حوله البشر، الجان يجلسون والطير من فوقهم يظلّ عليهم، ذهب سُليمان ببصره ناحية الجان المُجاورين له وسألهم من يقدر منكم على أن يأتيني بعرش ملكة سبأ، كانوا يقبعون في

فلسطين والعرش في اليمن فأخبره أحد العفاريت وهم من أعتى وأذكى عناصر الجان بأنه قادرٌ على أن يأتيه بالعرش قبل أن يقوم من مقامه فلم يُعجبه ذلك وأراد أسرع من هذا فأخبره عفريتٌ آخر بأنه قادرٌ على أن يأتيه بالعرش قبل أن يرتد إليه طرفه أي يرمش وكان ذلك العفريت عنده علم من الكتاب أي يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب. هنا انتفض البشري وقال:

- كيف ذلك بل من عنده علم من الكتاب هو بشري واسمه أحفظه عن ظهر قلب: "أصف بن برخيا".

كان رد العين حاسماً، بل أصف ذلك هو نفرٌ من الجان وبمعنى أدق من العفاريت فلم يذكر القرآن كونه إنسياً.. هنا احتدم النقاش فالقرآن لم يُحدد جنس ذلك الشخص أهو استكمال للآية ومن العفاريت أم أنه من البشر الخاصين، توعدّ البشري العين بالأمر هكذا وسوف يعودون إليه فيما بعد...

أعطى النبي الإشارة لمن عنده علم الكتاب بالتنفيذ فجاء العرش إلى سليمان وكان سريراً في أريكة، سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ ليأمر النبي جنوده بأن يقوموا بتبديل أماكن اللؤلؤ والذهب وينظر هل ستعرفه الملكة أم لا وانتظر مجيئها...

قدمت ملكة سبأ هي وحاشيتها في موكبٍ مهيب وإذ بالنبي يستقبلها بنفسه ومع تجواله معها أراها عرشها فكانت حذقة، قالت كأنه هو دون إثبات أو نفي وهي تعلم داخلها أنه عرشها، لتدخل بعد ذلك إلى قصر سليمان وقد تبينت كونه نبياً مُحاطاً بالمعجزات وكان قصره على الماء وأرضيته من زجاج فرفعت ملابسها معتقدة كونها تمر على نهرٍ يجري، حينها أدركت مهابة ما تُلاقيه من حضارة مختلفة عن المنطق فطنت إلى وجوب دخولها في الإسلام غير مدبرة وقيل إنَّ سليمان عليه السلام قد زوجها بأحد وزراءه فصار حاكماً على أرض سبأ جوارها.

تنهد البشري وقال:

- قرأت آيات سورة النمل مرّاتٍ عديدة وهذه الأولى لي التي أفهمها بتلك الشاكلة، يا لهول مُلك سيدنا سليمان عليه السلام.

ظنَّ أننا قد قاربنا على الانتهاء من عصره ففاجئته العين بصوتٍ غليظ، ما زالت الحقبة قائمة وقصص الحكيم لا تنفذ والآن سأريك مسعى اليهود المُضلل تجاهكم والأمر الذي وبه يُريدون حُكم العالم، حقيقة صرح غامض لم يعهدوه رجال اليوم: "هيكل سليمان".

ارتعد البشري وهو يُفكر في أحداث اليوم فلم تُمهله العين سوى القليل قبل أن ترحل بنا إلى سنةٍ مُقاربة لحادثة سبأ وخلال ذلك شهدنا المسجد الأقصى وهو يتم ترميمه وصوتها تتحدث:

- إعادة بناء المقدسات.

داخل أرض بيت المقدس وعلى مَدِّ أبصارنا شهدنا عملية ترميم واسعة المدى تُحيط بالمسجد الأقصى، أصوات تتحدث عن رفع القواعد استكمالاً لما فعله نبي الله داوود قبل مماته وآخرون يعملون على توسعة نطاق المسجد ككل وزخرفتها، سُحبنا إلى منطقة تبعد قليلاً عن مسجد قبة الصخرة فرأينا البناءون وهم يمتثلون لأوامر الملك سُليمان عليه السلام لبناء هيكل خاص به وقد كان عبارة عن صومعة أو ضريح يتعبد داخله إلى الله عز وجل وقد رأينا داخله الأدوات المُقدسة التي حملها الأنبياء من قبل مثل، عصا موسى، تابوت العهد الذي تباركوا به واستخدموه في حروبهم، الألواح وغيرها من شتّى البقاع والأنبياء، صرخٌ عظيم غلبت عليه أجواء روحانية مطلقة وأطلقوا عليه "هيكل سُليمان".

ما أن يُذكر الهيكل حتّى يتفصد العرق أعلى جبين البشر واهتدت العين لذلك التي ضحكت قائلة:

- كل ذلك سيُدمر بعد حين ونعم اليهود امتازوا بالضلال عبر الأزمنة، نسبوا بناء المسجد الأقصى لداوود وسُليمان ليقرؤا كونه حق موروث لبني إسرائيل فقط.

ما شهدناه الآن ينفي كل ذلك فقد قاما فقط بإعادة بناء واستخراج القواعد المُهدمة جرّاء طوفان نوح عليه السلام وتوسعته وهذا يوحي بأن البناء كان مُشيداً بالفعل في عصرٍ سابق... إذاً الهيكل غرضه الأساسي عبادة الله والصلاة داخله وأيضاً الاحتفاظ بالأدوات المُقدسة لا شيء آخر.

توالت الومضات تباغاً بعد ذلك وخلالها رأينا حادثة وادي النمل وكيف خشت إحداهم على بقية أخواتها فأمرتهم بالنزول قبل أن يدهسهم جيش سُليمان وهم لا يشعرون وقد سمعها النبي وفهم حديثها فأخذ يشكر الله على نعمه عليه التي لا تُعد ولا تُحصى وجاءت الآية المُباركة والتي ينبغي علينا جميعاً أن يتعطر بها لساننا والتي نقول:

“ ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي، وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ”.

آية تُمثل الشكر والعرفان بفضل الله وهي مقولة نبي... تناوبت حياة سُليمان عليه السلام ما بين مُباشرة أعمال الإعمار القريبة من باحة الأقصى، أمر الجان لتوطيد حضارة عظيمة الشأن

ومبانٍ شاهقة لا يسع بشريُّ الاقتراب من شاكلتها، وأيضًا مُتابعة الفصل في قضايا العامة والبيت في نزاعاتهم ومع توالي السنوات كَبُرَ كاهله وكادت قواه أن تخور وحينها باغتتنا همسات العين قائلة:

- مشهد الختام.

سُلَيْمان عليه السلام ومن عاداته هي الاعتكاف داخل محرابه للعبادة والتضرع لله عز وجل وقد يمكث أشهرَ على تلك الحال ولم تكن شجرة تنبت في أرض بيت المقدس إلا وسألها عن سبب وجودها، فيقول لها، ما اسمك فتُخبره باسمها ثم يسألها، لأي شيء نبت؟ فتُجيبه ويأمر حينها بما سيفعله فإن كانت غرسًا غرسها وإن كانت للدواء استخدمها لذلك ومع قرب نهايته شهَدَ شجرة نبتت حديثًا فسألها عن اسمها قالت، الخروب، وعندما استفسر منها عن سبب نموها هنا قالت لخراب بيت المقدس فأمر بقطعها وجعل من أخشابها عصا ثم دخل محرابه ليُصلي وقد كان مُتَكَنًّا على عصاه وحينها شعر سُلَيْمان وهو قائم بضعفٍ شديد وقرب نهايته فلم يلبث أن يدعُ الله حتَّى أمرَ من فوق سبع سماوات بقبض روحه عبر ملك الموت لتنتهي حياته بعد أحداثٍ عظيمة ومُلك لم يبلغه بشر. من عادة الجان والشياطين العمل دون أن يقدر أحدٌ على النظر داخل محراب النبي وإلا احترق فلم يجرؤ أحدهم على ذلك وظلَّ الجميع يعملون أمدًا دون أن يعلموا بأمر وفاته، البناؤون كما هم والغواصون والمردة، حينها سمعنا صوت العين تقول:

- قضى علينا سُلَيْمان الحكيم مرتين، في حياته كُنَّا تحت طوعه وفي مماته كشف عدم مقدرتنا على علم الغيب ولبسنا في خدمته وقد قبض الله روحه.

بعد فترة طويلة من الدهر ومع تأخر سُلَيْمان عليه السلام داخل المحراب قرَّر أحد الشياطين النظر خلسةً ليراه فوجد أن دابة الأرض قد أكلت منسأته ليسقط جسمه الشريف على الأرض وبالطبع جسم الأنبياء مُحَرَّم أن تأكله الديدان أو يتهاك فكان كما هو وحينها صرخ الشيطان في الجُند والناس أجمعين: "قد مات سُلَيْمان النبي، قد رحل سُلَيْمان الحكيم".

ما إن حدث ذلك حتَّى عمَّ الهرج والمرج، انقطعت حبال التقبيد وتحرر جمع الجان أجمعين فما كان من المردة سوى الحقد بغية الانتقام، أخرجوا كُتبه وعلمه المُدَوَّن بها وشاعوا في الأرض كونه ساحرًا وأدخل اسمه على الطلاسم رُورًا وبهتانًا، أرادوا الانتقام من الخزي الذي لحق بهم وكيف كانوا مُسَخَّرين تحت إمرته وللأسف بلغ ذلك ضِعاف الأُنفس وأخذوا يُرَدِّدون مسعى الشياطين، أمَّا العفاريت أحد أقوى فئات الجان والتي كانت في مجلسه فقد رحلت ولم

يعلم لها أحدُ طريق .اختلف أولاده في مُلكه الشاسع فتم تقسيمه عليهم ومنذ تلك اللحظة لم يشهد بني إسرائيل قوى عاتية مثل ما شهدوه مع النبي الراحل.

فرغنا من حياة الرجل الذي حاز مُلكًا لم يشهد أحدٌ مثله قط تقف لسيرته عشائر الجان كافة رهبةً وخيفةً وبالطبع جحافل المؤمنين، لينطق البشري:

- أعلم جيدًا تأثركم بالنبي سليمان بالأخص ولكن أتذكر حديثًا عن رسولنا الكريم يقول فيه: إنَّ سليمانَ بنَ داودَ لما بنى بيتَ المقدسِ، سألَ اللهَ عزَّ وجلَّ خِلالًا ثلاثةً: سألَ اللهَ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، فَأُوتِيَهُ، وسألَ اللهَ مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأحدٍ من بعده، فَأُوتِيَهُ، وسألَ اللهَ حينَ فرغَ من بناءِ المسجدِ ألا يَأْتِيَهُ أحدٌ لا يَنْهَزهُ إلا الصَّلَاةَ فيه، أن يُخرِجهُ من خَطِيئَتِهِ كيومِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ، أمَّا اثْنَتانِ فَقدَ أُعْطِيَهُمَا، وأرجو أن يكونَ قد أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ".

سمعنا حينها صوت العين تقول:

- آمين.

ظُلْمَةٌ حالكةٌ ومعها أُعيدت ترتيب الأوراق مُجددًا فلم يتبقَّ سوى حاكمٍ واحدٍ سابقٍ للأرض وهم أربعة، أخذنا منهم "النمرود، ذو القرنين وسليمان .جاء صوت العين بعدما استجمعت قواها:

- صرنا على أعتاب الحاكم الرابع للأرض، اثنان منهم مؤمنان موحدان واثنان كافران بالله والأخير من بابل أيضًا، (بُختنصر).

على أرضٍ أعرفها جيدًا من المرة السابقة ولهذين النهرين الجاريين، نحن نقبع وسط أرض بابل وتحديدًا عام 627 قبل الميلاد، أناسٌ يصيحون وحرائق تشتعل في شتَّى البقاع، الباعة يلعنون القتال والمارة يتحدثون عن بلوغ الحرب ذروتها بين الجيش البابلي وجيش آشور الذي استعاد قدرًا من قوته بعد سنينٍ مديدة من رحيل النمرود.

انتقلنا إلى قصر الملك (نابوبولاسار) حيث شهدنا ميلاد طفلٍ له وسط فرحة الجميع لكونه سيصير وريث والده الذي قهر الآشوريين للآن، وسط تلك الأجواء التقطت مسامعي اسم الطفل وكان "بختنصر"، لتغيب عني مشاهد الاحتفالات ويتعاقب الزمن سريعًا منذ هذه اللحظة.. حدثت تحولات كبيرة في بابل وأهلها وذلك الطفل وقد صار شابًا قويًا شديد البطش ليغدو أميرًا وضعه والده على مقدمة الجيوش للدفاع عن بابل بل والهجوم على المُدن الأخرى وفرض سيطرتها على الجميع ولم يرده الأمير خائبًا. شرع في تحصين المدينة فأمر بختنصر

المعماريين في بابل بعمل بوابات كبيرة للغاية مُصفاة وعلى وجهها التماثيل فصارت تُغلف المدينة من كل جانب وأعلاها كان هنالك أسوار شديدة الاتساع وذلك لغرض فقد شهدنا مرور عربات تجرها الأحصنة على تلك الأسوار وقد حملت القذائف! هنا سمعنا صوت العين تقول:

- هذا الأمر وفي ذلك الوقت كان فريداً من نوعه فصارت بذلك بابل أول مدينة تمشي عرباتها على الأسوار.

لم يكتفِ بختنصر بمُجرد بوابات ضخمة الحجم فقط بل أخذ في تدريب الجيش والذي كان تعداده ما يُقارب المئة ألف مقاتل على كافة وسائل الهجوم وتقسيمهم إلى جماعات لكلٍ منها اختصاص فريد من نوعه ليُعزز بذلك من أمرهم فأخذ يعد العدة ويفتح البلدة تلو الأخرى إلى أن قام بالهجوم على الآشوريين وأطاح بهم في معركةٍ طاحنة ولكن وفُييل الهزيمة حدث أمرٌ جلل، شهدنا ملك الآشوريين وهو يكتب رسالة ليذهب بها الرُسل ناحية بلاد نهرٍ آخر فكان هدف الرسالة هو الاستعانة بمُعاونة قوى عسكرية غاشمة قادرة على التصدي لبختنصر إلا وهم المصريون القدماء والذين وافقوا على ذلك!

تعجَّب الغريب فلم تكن مصر قد اشتهرت من قبل بأنّها غزت بلاداً أخرى أو خرجت لمُساعدة بلاد آشور خارج إطار النيل وهذا ما اكتشفه، "عام 605 ق.م أذعن ببء قتالٍ لن ينساه التاريخ داخل مدينة تُدعى "قرقيمش" على أرضٍ ثرابية ازدانت بأرجل أعظم ثلاثة جيوش في التاريخ القديم حينها ألا وهم: البابليون، الآشوريون والمصريون القدماء بصرنا حرباً طاغية قد نشبت بين ثلاثة قوى عاتية، بابل ضد الاثنين الآخرين، جيش آشور بأكمله وجزء ليس بالصغير من جيش المصريين، العديد من القتلى يتساقطون والدماء صارت أشبه بنهرٍ يجري على الرمال الصفراء، التلاحم عنيفٌ للغاية اتسم بالخطط والمؤامرات وبعد أيامٍ معدودات من القتال والدماء استطاع بختنصر الظفر بالانتصار الأهم في مسيرته متفوقاً بذلك على آشور والمصريين القدماء والذي كان ملكهم في ذلك الوقت هو (نخاو) وتعقبهم بعد ذلك حتى النيل في سابقة هامة لم يتجرأ أحدٌ على فعلها من قبل ...

أخبرتنا العين أنّه بعد تلك الهزيمة تبدّلت خريطة القوى في المنطقة وصارت بابل المسيطرة على بلاد الرافدين بأكملها وانتقلت سطوة بابل إلى كافة البلدان المجاورة لدرجة أن بختنصر استطاع الوصول بنفوذه إلى "لبنان"، "أرض بيت المقدس" بعض أراضي العيلاميين في بلاد "فارس" وكان طموحه الأكبر هو الوصول لاحتلال أراضي النيل وقبل الشروع في ذلك توفّى الملك نابوبولاسار، وصار هو ملك بابل بل الملك الأقوى على الأرض...

بختنصر ومن خلال المشاهد المتعددة التي راقبت المدينة فيها، لم يكن مثل النمرود يدعي الإلهية وذلك التجبر لكنه أراد حُكم العالم أجمع على غراره والعجيب أنه اتَّسم بإعطاء بعض الحضارات حرية العبادات الخاصة بها في مقابل دفع الجزية وفي نفس الوقت امتلك غضبًا مدمرًا فكان يفعل بالأقوام الأفاعيل إن لم يستسلموا له، وكان كافرًا بالطبع لا يعبد الله ومن ضمن تلك الأقوام والتي استوقفنا شأنها كثيرًا، هم من سكنوا جوار بيت المقدس من اليهود، وبالتحديد القبيلة المسيطرة حينذاك "يهودا"، ففي بادئ الأمر وبعد انتصار بختنصر على الآشوريين والمصريين القدماء تحول ملكهم (يهويقيم) من ولاءه لمصر إلى بابل، وبدأ في دفع الجزية وذلك الأمر لم يُعجب مُتعصبو اليهود هناك فكيف يدفعون الجزية إلى كافرٍ طاغٍ وهم أهل النبوة والقوم المختارون من الله حسب زعمهم ولذلك انتظروا الفرصة المواتية لقطع تلك الجزية وفعلوا ذلك رغماً عن الوسطاء بعد أشهر...

تجمع رجال الدين داخل بقعة مقدسة مُنددين بما يفعله حاكمهم وجرّاء ذلك ذهب كبيرهم وبعض حاشيته صوب قصر الملك لينهاه عن دفع الجزية التي ستجلب لهم لعنة الإله وخصيصًا بعدما وصلتهم أخبارًا عن هزيمة ملك بابل أثناء مُحاولته الاستيلاء على مصر وأراضي النيل، وظن بأنه سيقدّر على فعلها كما حدث مع بقية البقاع ولكن وبقيادة نخاو تصدّى له جيش المصريين القدماء، وتلك المرة كانوا بكامل عتادهم واستطاعوا هزيمته وتأخير سطوته على المنطقة بأكملها وبسبب ذلك تشجعت قبيلة "يهودا" على الوقوف أمام بختنصر برفض الجزية. لم يجد الملك مفرًا من الانصياع لحديثهم فقد يتخلصون منه ومع توقفهم عن دفعها ومع غضب الملك قرّر بختنصر عام 597 ق.م القرار الأخطر على الإطلاق رغم تحذيرات الكثيرين له تحت دعوى الابتعاد عن أرض الأنبياء، أمر بختنصر جاء صارمًا الاتجاه بجيشه صوب أرض بيت المقدس!!!

اهتزت الأرض من تحتنا ونحن ننقل إلى تحركه السريع حيث شهدنا عددًا غفيرًا من جنود بختنصر يصيحون من ورائه أثناء حصارهم لأرض بيت المقدس فلم يلبث عنها حتى استطاعوا الولوج أخيرًا إلى تلك البقعة المقدسة حيث يقبع قوم بني إسرائيل مُدججين بالسلاح وهم يقولون بأنهم شعب الله المُختار، رجال العهد القديم يقفون في الخلف وداخل المعابد يُنددون بالويلات لمن يغتصب تلك الأراضي وعلى مد بصرهم رأوا جحافل جنود بابل وهم يهجمون عليهم مُمتطين الفرس الأصيل وتعنتي أيديهم الرماح والسيوف، نظرتُ للأسفل ففزعت لرؤيتي بركة عميقة من الدماء وقد كانت تلك دلالة عمّا سيحدث الآن.

جنود بابل عددهم غفير وأجسامهم صلبة وقد فاقوا بني إسرائيل في كل شيء وجرّاء ذلك انطلقوا يقتلون الرجال، يستحيون النساء ويجرون ذا الشيب على أذقانهم، رأينا أفواههم وقد

ارتسمت عليها الضحكات مُتلذذين بالقتل والدمار، لم يتركوا بيتًا سليمًا وأحرقوا الزرع والثمار، رأى بختنصر ذلك وكان عنوانه، المزيد والمزيد، قافلة كاملة من الجنود تهجم على بضعة رجال يقعون داخل منازلهم فقتل بعضهم بإزهاق روحهم عبر الذبح وآخرون تجرهم في السلاسل، مجموعة أخرى اتَّجهت صوب المرتفعات الصخرية وعليها سربٌ من الصغار، لم تأبه لصرخاتهم واتَّخذت منهم جميعًا أسرى حرب، ولكن أبى أحدُهم المضي معهم فلم يُمهله الجندي وقتله على الفور وقد فُصِّلَ جسمه عن رأسه وسط صرخات البقية، الأجواء حمراء دامية والعجيب هو الصاعقة التي شهدتها على وجه الشاب فلم يغمض له طرف عين وكان ما يراه الآن هو نتاج لما فعلوه في الماضي والمستقبل أو للتجبر وقتل الأنبياء، فجاء صوته:

- شعب الله المُختار!، يا لكم من مُدلسين أفسدتم في الأرض وفعلتهم بها السوءات وبرغم ذلك تحسّر قلبي على مشاهد القتل المُبرح وانتفضت للنساء، الشيب والأطفال، تلك المشاهد ذكرتني بإخواننا في فلسطين وما يتعرضون له ولسوف ينتصرون لا محالة بإذن الله.

غضبه كان عظيمًا ارتعدت له العين فلم ترد بل تابعت ما شرعت به، الملك البابلي ظفر بالنصر المُبين مُهللاً، امتطى حصانه ومن خلفه يجر المئات من قوم بني إسرائيل وضمنهم ملكهم بعدما فعل بأرض بيت المقدس الأفاعيل..

سمعنا صوت العين حينها تُخبرنا بأنّه وبعد ذلك اليوم بلغ نفوذ بختنصر العالم بأسره فمن ذا الذي يمس الأراضي المقدسة بسوء دون أن يُشاع الخبر، مكث ملك بني إسرائيل في الأسر سنوات واعتقد ملك بابل أنّ الأمور قد استتبّت هناك ولكن صُعِقَ لمعرفة تمرد كبير ضده داخل حدود بيت المقدس وبمساعدة المصريين القدماء فقرّر حينها أن يشهد العالم أكبر عملية أسر في تاريخه والذي سيُعرف فيما بعد باسم "السبي البابلي".

عام 589 ق.م صار استكمالاً لما سبقه من أحداث عظيمة الشأن وخلالها قاد بختنصر آلاف الجنود صوب المسجد الأقصى نفسه لا البلدان المُحيطة به وهناك ورغم امتعاض رجال الدين قتل بعضهم في سابقة لم تحدث على تلك الأراضي المقدسة قبلاً وبطبيعة الحال هو رجلٌ كافرٌ في الأصل، أخذ يزيح الأقدام رواحًا وجيئة ويعبث بالأضرحة والمقننات الثمينة إلى أن اهتدى إلى أحد الأضرحة العريقة ذات المظهر الخلاب وبُجرد الاقتراب منها صاح رجال العهد القديم: "ويلك هذا هيكل سليمان النبي".

ابتسامات ساخرة بدت على وجهه وقد اتَّضح كونه يعلم مُسبقًا بأمر نبي الله والملك الأقوى على الأرض حينها سليمان وكيف بسط نفوذه على شتّى البقاع فلم يقدر على التصدي له أحد حتّى داخل بابل نفسها، فانتَهك حُرمة الضريح وداخله شهد بعض الكنوز وبقايا الأنبياء فأمر

على الفور بهدم جزءٍ منه وإحراق ما يستوجب وأخذ البقية وشرع جنوده في ذلك وسط صرخات لم تقدر أذني على تحملها، توالى السوءات ومعها تم تسوية العديد من دور العبادة وفي تلك الحادثة اختفى "تابوت العهد" .. التابوت الذي تبارك به بني إسرائيل طيلة سنوات في حروبهم وقد حملته لهم الملائكة سابقًا بعد ضياعه في فترة حرب "جالوت" و"طالوت"، لم يبقَ له أي أثر وغيرها الكثير والكثير، وهنا رأى هؤلاء القوم المهانة والتجبر لما فسدوا وقتلوا من أنبياء ورسول، مع تلك الواقعة أُخذَ منهم ما يُقدَّر بعشرات آلاف الرجال، ساقهم كما العبيد ليكونوا خدماً داخل بابل وبذلك تفرقت ذرية الأسباط وهرب بعضهم نحو أوروبا فكان "السبي البابلي" نقطة فارقة في التاريخ.

علمنا أيضاً أنّ لذلك الملك اسمين وهما نبوخذ نصر ومعناه حامي الحدود وأيضاً بختنصر ومعناه سعيد الحظ وقد أطلقه عليه الفرس؛ لذلك الاسمان صحيحان بالطبع هنالك مغالطة تاريخية وهي أن بعض العلماء أشاعوا بأنّ نبوخذ نصر هاجم أرض بيت المقدس بسبب تخلص ملكهم حينذاك من نبي الله يحيى عليه السلام، فقد قُطعت رأسه بقرارٍ من ملك بناءً على رغبة في تلبية طلب امرأة حسناء للزواج منها، ولكن هذا خطأ جثيم لكون نبوخذ نصر وُلِدَ عام 627 ق.م وحربه على أرض بيت المقدس كانت في القرن الخامس قبل الميلاد وسيدنا يحيى عليه السلام كان شاباً جوار سيدنا عيسى فكانا أقارب وفي نفس السن تقريباً فكيف يلتقي هذا مع ذلك ونبوخذ نصر تاريخياً قبل سيدنا عيسى بكثير!!

جاء صوت العين غليظاً هنا:

- الحقيقة أن نبوخذ نصر كان في عهد نبي آخر تخلص منه أيضاً بني إسرائيل والنبي اسمه (إرميا بن حلقياً) فلم يقدر على قومه وقتلوه أثناء دعوتهم لعبادة الله وترك الضلالة.

مرّت الأشهر على تلك الواقع وقد استتب الحكم لذلك الطاغية وبدأ في كتابة دستور خاص به بقوانين غاية في الصرامة امتثالاً لما فعله من قبل ملك بابل الأول (حمورابي) والذي شرّع أول دستور في التاريخ، كما أنه وعلى غرار النمرود ساهم في بناء صرح يُعد معجزة قديمة، أثناء مكوثه داخل القصر لاحظ ضيق زوجته المفرط فأخذ يتودد لها بكافة الطرق دون جدوى وكانت حسناء تعشق الحُضرة والطبيعة التي لم تكن تتوفر وبشكلٍ كافٍ داخل بلاد النهرين وهنا شهدت المعنى الحقيقي للقوى العاتية التي تصير زجاجاً رقيقاً أمام المرأة فلأجل عيون زوجته والتي كانت من بلاد فارس واسمها (أميديا) بنت الملك (الميدي سياخريس) قام بتشييد حدائق بابل المعلقة أمام شرفة زوجته وكانت مُبهرة للغاية، والعجيب فيها أنّ الحدائق تنسيقها بشكل رأسي وليس أفقي كالمعتاد تتصاعد فوق بعضها البعض وتميّزت باختلاف الثمار في كل

طابق منها واستطاع أن يمدّها بالماء عبر أسطوانات ضيقة تصل للأعلى في مشهدٍ خلّاب وإعجازي ليُحافظ بذلك على ازدهارها وتأكيد على براعة البابليين في المعمار.

لكم وددتُ أن أمكث بُرهةً من الوقت أمام تلك الحقائق وأرى مظاهر العشق على وجه ملك بابل وهو يُغازل زوجته الهانئة بما صنع، ولكن ما نيل المطالب بالتمني... شهدنا بختنصر على فراشه وهو يغط في نومٍ عميقٍ وأعلى وجهه أمارات مواجهة كابوسٍ مزعج ما لبث أن عاش أحداثه حتّى انتفض مُنادياً على حرسه بالقدوم وزوجته بجانبه تسعى جاهدة لتهدأته ولكن دون جدوى، أمر الملك جنوده بإحضار علماء بني إسرائيل بأسرع صورة ممكنة وأن يأتوه داخل بلاط المُلك..

أمام عرشه وقف العلماء صفّاً مُرتعدين وهو يُلقي عليهم الحلم الذي أصابه وفحواه أنّه شهد أمامه تمثال من فُخَّار، رُكبتاه من نحاس، بطنه من الفضة و صدره من الذهب أمّا رأسه فمن حديد، تمثالٌ مهيب وبينما ينظر إليه بإعجاب بصُرّ صخرةً قادمة من بعيد صوب التمثال وفي ثوانٍ معدودات قامت بتدميره لتتساقط المعادن النفيسة رويداً رويداً ومع آخر قطعة ذهب سقطت انتفض جسمه وعاد إلى الواقع مُجدداً.

بدا على وجوه العلماء الدهشة ممّا سمعوا ولم يعرفوا له تفسيراً وهنا شهدناه وقد تمكّنه الغضب العارم مُتوعداً إيّاهم بالقتل إن لم يجلبوا له تأويلاً فما كان منهم سوى طلب مُهلة لعلهم يعرفون السبيل.. غادروا القصر وهم يهرعون نحو أحد أنبياء قومهم الذي أُسِرَ معهم وقد امتاز بتفسيره الصائب للأحلام وأخبروه ما حلّ بهم ليتوجه إلى قصر الملك وعند سماعه للحلم أخبره أنّ مُلكه العظيم سيزول عمّاً قريب وفي وقت سيقدّره الله فيأتي بلاؤه مثل تلك الصخرة تُحطم تاريخ بابل وتيجان ملوكها فلا يبقى منه شيء! ظهرت أمارات الفزع على وجه بختنصر وقد جحظت عيناه خائفاً برغم كفره إلا أنّ الدين غالب...

بعد تلك الواقعة امتد عُمر نبوخذ نصر فترة من الزمن إلى أن شاء الله وفي اليوم الموعود أنزل عليه غضبه لطغيانه وعدم إيمانه، في أحد الأيام أصابه مرضٌ نادر لم يعرف له سبباً قط، وعلى إثره قد فقدَ عقله فبدأت تُهاجمه الهلوس ولا يدري أيعيش الواقع أم عالماً موازياً لا قِبَل له به، عرج عنه الجميع وخافت منه زوجته وقد ينس الأطباء في جلب علاجٍ فعّال لحالته المستعصية فما كان من الزوجة غير الهجر والرجوع إلى بلاد أبيها تاركة إيّاه يُلاقى العذاب الجسدي والنفسي وهو ينقض على جسمه تباغاً فتخرُّ منه الدماء، ما يلبث أن يغدو سليماً حتّى تعود الكرة مُجدداً حتى وافته المنية فكانت نهايته مظلمة كما قرينه الآخر النمرود من قبل وذلك جزاء الظالمين... هنا سمعنا صوت العين تقول:

- بعد موته ضعفت بابل كما ورد في رؤياه وتحققت النبوءة بقرب الزوال إلى أن هاجمها ملك الفرس والأشهر لدى اليهود (كورش الكبير) الذي قام بتحرير بني إسرائيل من العبودية والمهانة فاختر بعضهم الرجوع مُجددًا إلى الأراضي المقدسة والآخر مكث في بابل لتجارة استطاع الربح منها ولم يأبه بشأن الدين والمسجد الأقصى فالمال جُلَّ أمره.

- كورش الكبير أليس ذلك من قالوا عنه ذو القرنين وقد أخبرتنا بذلك سابقًا.

أومات العين ردًا على تساؤل البشري وهي تفضح ضلال بني إسرائيل وكيفية التلاعب بالتاريخ لخدمة مصالحهم وهو أمرٌ تَلَفَّظ به البشري وهو يقول:

- السبي البابلي قديمًا ومن بعدها محرقة هتلر حديثًا، اتَّخذنا من تلك الواقعتين حجة لإنشاء كيان حقير ومُهاجمة أهل فلسطين وترويعهم، أخذوا من الماضي وسوءاتهم حجة للنيل من المسلمين والعرب.

لم تأبه العين كثيرًا لغضبة البشري؛؛ فهي وبكل تأكيد غير قادرة على معرفة هذا الشعور بالحسرة في قلبه، تركته هُنيهةً من الوقت وباغتته تُريد معرفة حقيقة الملك الخامس للأرض فقد روت سيرة الأربعة ملوك وجاء دوره هو للتحدث عن آخر ملك سيكون في المستقبل القريب وهو متأصل في دين الإسلام، تنهَّد الغريب وهو يُشير نحو السماء:

- لا بأس جاء دوري وسأريك الآن بعضًا من أحداث النهاية لنروي قصة الحاكم الأخير للأرض وإحدى علامات الساعة الكُبرى... (المهدي).

انتفض الشاب ليقف ثابتًا:

- نحن أهل السنة نذكره باسم المهدي وللشيعة مُسمى آخر يقولون عنه: "المهدي المنتظر" وفي قصتهم الكثير من التدليس، سننتقل الآن إلى المستقبل لا الماضي حيث زمان ذلك الرجل.

أرضٌ مُلبدة بالغيوم وعلى مد أبصارنا شهدنا جيشًا عظيمًا هائل العدد مُتباين الخصاص والعتاد، أصواتهم هادرة ترج كيان الأرض بأكمله ولربما الزواحف القابعة أسفل الرمال، ما اندهشت له هو وجود رايتين في المقدمة جوار بعضهما البعض، راية الإسلام وراية الروم قد التحمتا سويًا لتُشكلًا إعصارًا جارفًا، انطلقوا مُهرولين ناحية أقصى الغرب حيث جيش آخر لا يقل عنهم في العدد والأسلحة قد تجهَّز وأعد العُدَّة لمُلاقاة التحالف الأكبر بين عقيدتين هم الأكثر انتشارًا، التحم الجيشان وكم كان اللقاء مهيبًا، صرخاتٌ من هنا وقتلٌ من هناك، الدماء تتناثر ولا مجال للهُدنة أبدًا فنحن الآن وسط حرب تُعد بدايات آخر الزمان!!

أذعن الطرفان بالهجوم وانطلق جيش العقيدة يُواجه العدو الغاشم فلم تسع ساحة المعركة كثرة العدد القائم على أرضها وبات القتل أسهل الأمور والجرحى مُتناثرون عبر الأزقة والمنحنيات. يومٌ وراء يوم وفي الأخير انتهى القتال عند تجمع جيش التحالف الإسلامي والغربي وقد ظفروا بالنصر المُبين وبدأت على وجوههم لذة الانتصار والتمكين، ضحايا كُثر ذهبوا جرّاء تلك اللحظة ولم يبخل أحد بقطرة دماء واحدة.. ما لبث النصر والاتّحاد حتّى بُعثرت الأوراق مرّةً أخرى بفعلةٍ واحدة صارت السبب لبدء النهاية الحقيقية..

بينما يقبع الجميع فرحين في تجمّع ضخم يُناسب الحدث خرج رجلٌ من الروم ليرفع الصليب عاليًا نحو السماء وهو يقول: "هزمناهم بسم الصليب"، تسمّر الجمع ولم يلبث سوى ثوانٍ معدودات ليخرج رجلٌ من أهل الإسلام وقد غَضِبَ ممّا سمع رافضًا اعتلاء الصليب بتلك الشاكلة ليحتدم النقاش بين الرجلين الذي تطرّق إلى اختلاف العقائد وسرائر النفوس فانتهى باقتتال الرجلين ومعه احتدم الجمع لثُهتك الهدنة وتشتعل حربٌ أخرى هي الأخيرة بين أكبر قوى على وجه البسيطة، المسلمون والروم..

جاء صوت البشري مُتداخلًا:

- هذه الأحداث مُقدمة ظهور المهدي، وفي ذلك الوقت ستمتد الحرب الأخيرة مُدة كبيرة من الوقت ليس كسابقها جرّاء رغبة الطرفين في إعداد العدة وتجهيز كامل الصفوف بعدما أصابهم الخلل أثناء الحرب الأولى ولكن خلال فترة الهدوء النسبي سيُعاني المسلمون كثيرًا من الفرقة والهوان بسبب رغبة حُكامهم حينذاك في الظفر بالخلافة الشاملة..

وأثناء انحسار شوكة المُسلمين جرّاء الفرقة ظهر رجلٌ أثار من حوله ضجة عظيمة داخل مكة وتحديداً بين الرُكن والمقام عند الكعبة، شهدنا تجمع لُعلماء وأناس شتّى، أمامهم رجلٌ أجلى الجبهة، شعره منحسر إلى الوراء وجبهته عريضة، ألقى الأنف وممشوق القوام، يُدعى (محمد بن عبدالله) على اسم رسولنا الكريم، من خلال الأقاويل علمنا أنّه قد ظهر فجأة لا بترتيبٍ مسبق، وأنّه من عامة الناس لا علاقة له بالسُلطة وهو الآن يقف بينهم لتتم مُبايعته خليفة للمُسلمين كافة دون أن يطلب ذلك أو يأمر بالقتال بغية الوصول للحُكم، ومع استمرارية الأحداث علمنا كونه من ذرية آل بيت الرسول وبالتحديد من ذرية السيدة فاطمة إمّا من الحسن أو الحسين وفي أغلب الظن الحسن...

سمعنا البعض وقد شحذهم الغضب عبر أيامٍ من إعلان العلماء تنصيب مُحمد الخلافة فكيف لهذا الرجل أن يتم تنصيبه ملكًا عليهم، فرأينا كبير العلماء وهو يقف جواره يُخبر القوم بأنّ

العلامات الثلاث قد تحققت وهو المهدي فقد أخبرنا الرسول عن هينته وكونه من ذريته وآخر العلامات هو ما حدث لجيش "السفياني" في البادية منذ سويغات.

هنا تصنّم المُعترضون لينتقل بنا البشري صوب رحلةٍ خاطفة نحو جيش كبير من المسلمين قد ترأسهم رجل يُقال له (السفياني) يصل نسبُه إلى قريش أخواله كلب، حاكم قوي لكنه ظالم ومُستبد وبمجرد معرفة أن هنالك رجالاً تم تنصيبه خليفة للمسلمين يُطلقون عليه "المهدي" ثار وخرج بجيشه صوب الكعبة لمُحاربتة، جحافل جيشه قوية للغاية وامتاز بتنوع المُحاربين وأثناء مسيرهم حدث أمرٌ عظيم جعل العين ترتجف، الأرض ارتجبت من أسفلهم ليتوقف الجمع وهم يُحاولون استنباط السبب، ازداد ذلك الاهتزاز وهبّت عواصف تُرابية عظيمة من حولهم وفي غضون دقائق خُسِفَ بذلك الجيش الأرض كأنما ابتلعتهم امتثالاً لأمر الله عزَّ وجلَّ فلم نشهد منهم رجلاً واحداً!! بتلك الحادثة تحققت آخر العلامات التي تخص المهدي وهو خسف الأرض بالجيش الذي يُريد قتاله فينتصر دون مُحاربة...

رجعنا إلى مكة مُجدداً وقد صار محمد بن عبد الله خليفةً للمسلمين أجمع وتبدّلت على يديه أحوالهم، كثرت الخيرات، الزرع والحصاد، وصار للمسلمين أموال وفيرة لم يشهدها يوماً، حدث جُلُّ ذلك والمهدي مُسير إلى الحُكم لم يسع إليه أو يميل قلبه إلى شؤون الدنيا فلم يغتصب حُكمًا أو يفرض نفسه على أحد، ظلَّ يحكم سنوات وخلالها الهدنة المؤقتة بين المسلمين والغرب ليقوى كُل طرف ويجمع العِتاد بعد الحرب الضارية السابقة فقويت شوكة المسلمين أكثر وأكثر ولم تُبعثر أحوالهم المكائد إلى أن حانت اللحظة التي انتظرها العالم أجمع وهي إعلان الحرب النهائية والكبرى بين القوتين. جاء صوت المهدي يقول:

- وقت الجهاد قد أزف والحرب بيننا ستبدأ عمًا قريب، سنعد العدة لمُجابتهم.

الأقدام تزيح رواحًا وجيئة، الخيرات السابقة تنقلب إلى وسائل هامة لتجهيز أدوات الحرب، الجميع على قلب رجلٍ واحد، الله أكبر على الألسنة والنصر يقيني وعقائدي، الجميع قد تكاتفوا خلف الخليفة غير أبهين بأمور الدنيا، فقط ما يشغلهم هو نصر الدين ونشر بقعته حتّى أطراف الأرض وهذا ما حدث فلم يكن بينهم خائن أو مُثبط للهمم...

كما السابق رأينا تجمعاً عظيماً لجيشين وهذه المرة مختلفة فالطرفان المُتجابهان هما المسلمون والروم ونعم هي حرب آخر المطاف والمنتصر هو من سيفتح الأرض جُلّها وبعد الاحتدام وشهور من الحروب والصراعات، الخطط والمآزق.. أكرم الله خلف رسوله الكريم بالنصر وهلّل المسلمون مستبشرين وقد فتحوا القسطنطينية ليتوجهوا بعدها إلى عاصمة بلاد الغرب وأقوى المدن حينها "روما" لنشهد أمام أعيننا أرجل المسلمين الطاهرة وهي تدهس بقاع ومعقل

الغرب وحينها دخلوا الكنيسة الأم وكم كانت الصاعقة لرؤيتنا أيديهم وقد استخرجت كنوزًا غابرة للسلف الصالح، الإنجيل الحقيقي، عصا موسى وبعضًا من حُلي بيت المقدس.. أثناء فرح المسلمين خرج عليهم صوت رجل أشبه بغبشة الليل يقول: “يا قوم لقد خرج المسيح الدجّال”

انتفضت العين وقد صاحت:

- هذا الرجل ليس من البشر بل هو اللعين نفسه بل هو اللعين نفسه.

فهمت قصد العين ومع مُتابعة الرجل علمتُ أنه إبليس قد تشكّل على هيئة بشرية بغية تثبيط همم المسلمين وحثهم على ترك روما، ما إن حدث ذلك بغية خِداع المسلمين وكُل المهدي وعلى الفور عشرة فرسان لتحري الأمر وسيكونون خير الفرسان وقال عنهم الرسول بأنه يعرفهم، يعرف أسماءهم وأسماء آباءهم وألوان جيادهم حينها.

خرج العشرة فرسان بغية التحقق من صدق الرجل فلا أثر لخروج الدجّال ولكن ومع رجوعهم لجلب البشري تتحول الكذبة إلى حقيقة ويخرج الدجّال بشخصه جرّاء غضبة يغضبها، ويُقال بأنه سيُعلن عن خروجه نواحي العراق.. هنا جاء صوت البشري:

- المهدي سيمكث في حُكمه سبع سنوات حتّى واقعة الدجّال الأكبر وحينها ستتبدل الأمور رأسًا على عقب وسيذهب الدور القيادي إلى نبيّ قد رفعه الله إلى السماء من قبل وهو عيسى عليه السلام.

أخبرنا أيضًا بأنّ اليهود سيكونون مُتمركزين في ذلك الوقت ناحية بلاد فارس والبعض الآخر داخل أرض بيت المقدس وسيبرز أثرهم فور خروج الدجّال فيا لها من أحداثٍ عاصفة.

حالة من الصمت سيطرت على الأجواء قطعتها العين وهي تتساءل عن مفهوم المهدي من وجهة نظر الشيعة؟،

أخبرنا البشري بأنّهم يدعونه “المهدي المُنتظر” فهو مُنتظر لكل شيء ومخلصهم من هوان الدنيا كما يقولون وبسبب تلك النظرة استغل حاكم إيران الأسبق (شاه إيران) ذلك وجعل شعبه يُعاني الضيق والفقر تحت باب انتظار المهدي وهو وفي احتفال ألفية بلاد فارس قد أغدق ملايين النقود على الأمراء وشعبه جوعى!!، الشيعة امتلكوا ضلالة عقائدية وفئات مُتباينة الهوى فمنهم المعتدل الذي يقر بالصحابة ويرى فقط أولوية سيدنا علي بالخلافة ومنهم الفاسد شديد الطغيان وهؤلاء نظرتهم عن المهدي كالتالي، شخص وُلِدَ عام 260 هجرية!! ويُطلقون عليه الإمام الثاني العشر بن الحسن العسكري الإمام الحادي عشر واسمه سيكون “محمد بن

الحسن" وأنه وهو عنده خمس سنوات دخل سردابًا في سمراء العراق ومكث فيه إلى يومنا هذا وفي وقت الميعاد سيخرج ويلتفون حوله ليقوم بمُحاربة العدو، ولكن قبلها سيُعذب العرب الذين أقرؤا بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وحديثٌ آخر يشوبه الفسق وحماسة الفكر عن إحياء الموتى!

لذلك -نحن أهل السنة- نقول المهدي فقط ولا ننتظره فمن واجبنا العمل والإخلاص في ازدهار بلادنا وجهاد الكفرة والظالمين الذين اعتدوا على أراضينا المقدسة وفي وقت الميعاد سيأتي المهدي دون انتظار وتأجيل عمل لمجيئه فهذا ليس من الإيمان في شيء.

بات أمر المهدي واضحًا لا مجال للضلالة عنه، اقتربت العين من البشري حتى صار جسمًا واحدًا وهمست في أذنيه:

- لوصولنا إلى ذلك الحد فقد تناولنا جزءًا من علامات الساعة الكبرى واعتقد أنه قد أتى أوان الحديث عن أطغى الفتن يا فتى وأتباعه مُشيعو الضلالة.

تراجع الشاب خطوات إلى الوراء متعثرًا وقبيل تحدثه باغتنه نوبةً أشدَّ في تأثيرها عن السابقة ليسقط على الأرض متلويًا، جسمه ينزاح رواحًا وجيئة غير قادر على كبح جماح القوى التي تدفعه، سارعت العين بالاقتراب منه ومع مُلامسه مقتلها إيَّاه عاد مرةً أخرى إلى العالم الواقعي ويستيقظ صارخًا:

- أين أنا؟!!!

لم يأتِهِ الوعي الكامل سريعًا واستغرق بضع دقائق وهو يلهث للإمام بالرحلة التي بدأها منذ سويغاتٍ مديدة، ترك الوشاح جانبًا وأخذ ينفث الهواء تيباعًا أسفل المطر المنتشر من كل جانب وهو على تلك الحال رأى الصخور الملتفة حوله وقد تهشمت إلى أجزاء صغيرة الحجم، والصدع قد أصاب التمثالين المجاورين له وهو أمرٌ جلل فزع له وتراجع خطوات ليتبين ما آلت إليه الأمور فجاء الصوت الصاخب مُجددًا:

- هنالك تحركات مُتباينة من كافة فصائل الجان تُحيط بنا..

ما إن انتهت من تلك الكلمات حتى شهد الشاب ضبابًا كثيفًا قادمًا من الأجزاء الصغيرة من الصخور، أخذ يتلون إلى أن بات أشبه بالأسود القاتم وهو يزيح نفسه صوب البشري الذي وقف ثابتًا وهو يُردد كلمات بلغةٍ لا تمت للعربية بأي صلة، كست عينيه الدماء بينما يستمع إلى أصوات هادرة تأتي من كل صوبٍ وحذب مفادها، "المُخلص" لأشعر بعدها بطاقة مدوية تهز

الأرجاء ومعها خفتت حدة الضباب مُنكمشًا إلى حيث أتى وصوت الكيان الموالي للبشري يقول:

- مرده الجان تفاعلوا مع موضوعنا القادم وأرادوا التخلص منك قبل أن تحظى بالمعرفة الكاملة عن هذا الرجل.

تراجع الشاب إلى الوراء خطوات وهو يقول مُرتعدًا:

- أتقصد المسيح الدجال!!

ساد الصمت ليعود بعدها الصوت صاخبًا:

- وجب التوغل إلى حياته وقصّ ما يُكْمِلُ سلسلة المعرفة فهو الخطر القائم إلى اليوم لم يمت ولا يُعرَفُ أين يقبع، الوقت يُداهمنا ولن أستطيع حمايتك طويلًا..

تحمّس الشاب ورقد أسفل التمثال بعد أن أزاح الوشاح عليه ليقول:

- لنقصد بابه ونعرف من يكون ذلك اللعين...

الفصل الخامس الدجال الأكبر وأتباعه

بدأت الأجواء مُربكة للغاية، صمتٌ تام وترقبٌ للانتقال التالي فنحن هنا لا نتحدث عن جماعة من المُحاربين أو بقعة سادها الفساد بل أطغى من ذلك بكثير، أعظم فتنة في تاريخ البشر حيث تقع الأنفس تحت اختبارٍ عظيم ووطأة كيان قادر على الإطاحة بالقلوب قبل العقول، الفتنة التي لم يهملها نبي إلا وتحدّث عنها، "المسيح الدجال" ووسط تلك المناوشات التي أصابت البشري قبل عودته إلى ذلك العالم مُجددًا التقطت أذناي صوت العين وهي تُمهّد لبدء رحلة ليست كمثلاها عبر غياهب الدهر حيث بدأ الأمر كله، قصة ميلاد المسيح الدجال وما حلَّ به وبمن جاوروه...

على أرضٍ ازدانت بالبيوت القديمة المُجاورة لبعضها البعض والطرق الثرابية التي اعتلاها الحصى من كل جانب، رأيتُ مجموعة من الغلمان يلعبون ولا يحملون همًا، بعض الباعة وهم يصيحون في الناس بالقدوم لامتلاكهم أثمان البضائع، والمارة يتناوبون في الحديث عن شتى أمور الحياة...

تجاوزنا ذلك كُلُّه لنشهد مجموعةً أخرى من الشر يعبدون أصنامًا وآخرين يسجدون للبقر!! تضرعهم أضفى شعورًا مقيتًا فكانوا يتقربون لتلك الأشياء باكين خافضي الرؤوس ولم نمكث طويلًا لننتقل صوب أحد المنازل الطينية على حدود البلدة وداخله شهدنا رجلًا هَرَمًا يقف خارج غرفة تعتلئها الصرخات والناس من حوله يُصبرونه ويشدون من أزره بغية جلب الطمأنينة لقلبه على زوجته العجوز وهي تلد له طفلًا بعد صبر ثلاثين عامًا ومع تلك الصرخات التي استعجب لها الرجال والنساء فقد كانت ولادة متعثرة للغاية، سمع الجميع صوت بكاء طفل منفرة، حادة ذات نمط مُتناسق وكأنه يعي جيدًا أين هو وكيف السبيل إلى التميز!!!

صوت همسات اخترق أذن البشري يقول:

- نحن الآن في بلدة "سامر" بلدة دثرتها الرمال عبر العصور الغابرة تقع مُجاورة لأرض بيت المقدس.

بعد ذلك اليوم انقلبت أحوال البيت وظنُّ أهلُه الفرج والسرور قد عرفا طريقهما إليهما، بصرنا العجوز رفقة زوجته وقد حملا ابنتهما الرضيع بين كفيهما، جسمه نحيل للغاية ووجهه كمن

أُصيب بتشوهٍ ما، تباين الأبوَان ما بين فرحة عارمة لمجيء نسلٍ بعد سنواتٍ عِجافٍ وحزن لكونه على تلك الحال، هنا انتفض الزوج لينهض وهو يُخبر زوجته بأنَّ الإله قد منَّ عليهما بالطفل ولذلك ينبغي تقديم المزيد من القرابين له ليعفو عن حاله ويصير على أفضل شاكلة... لم أفهم ماذا يعني ذلك الرجل بالقرابين فهل يقصد مثل تلك التي قدَّمها قابيل وهابيل إلى الله عز وجل أعلى الجبل أم ماذا؟ وفوجئت لرؤيتي له يخرج صوب إحدى البقاع في المنزل وبمجرد وقوفه أمام بقرةٍ حمراء اللون خرَّ ساجدًا وهو يقول لها: خلِّص طفلي من الجسم العليل صار يذبح الدجاج ويُعطي العطايا أمامها فيا لها من سوءة عظيمة.

جاءت أصوات العين لتُخبر البشري أنَّ الشياطين وفي العصور القديمة كانت تتلبَّس الحيوانات وغيرها من الدواب لتغوي الناس وتُعزز من عبادتهم لغير الله وقد رأينا شيطانًا يدلُّف إلى البقرة الحمراء وفور حدوث ذلك صار يُحركها كناية عن تقبله عطايا العجوز ورغبته في المزيد ليفرح الرجل ويُبشر زوجته بالقبول!

مرَّت الأشهر داخل المنزل وبعد سنتين شهدنا الرضيع قد برزت ملامحه وهو يرضع من ثديها، وجه الأم العجوز كان شاحبًا للغاية والألم الذي تتحمّله لإطعامه لا يُطاق! ظهر الطفل بدا مقوسًا، عيناه اليمنى مُغلقة إلى حدٍ كبير ووجهه تبرز أعلاه العظام ورغم هذه الصفات كان شرهًا للغاية في تناول الطعام ويكأنَّه يمص دماء أمه لا يرضع منها وإن استمر الحال بتلك الشاكلة فلن تتحمل المسكينة. أصابت التوقعات، سمعنا صرخات مُدوية وسقوط إلى الهاوية، الزوجة قد ماتت ورحلت فلم تعد تحتل والعنوان مفاده: "قتلها ابنها".

بعد ثلاثة سنواتٍ أخرى من نحيب الزوج على امرأته التي ضاعت وفقدتها صدره، شهدنا الطفل وقد هزل جسمه للغاية لدرجة أنه لا يقدر على المشي وسط حزن والده الذي قبع يُقَدِّم القرابين ويستزيد صوب البقرة دون جدوى فلم يكل، ذهب تلك الليلة إلى النوم خائب الرجا وهنا جاءتنا همسات تقول:

- ما سيحدث غدًا، بداية كل شيء.

انبثقت مُفلتا البشري حتَّى لا تغيب عنه التفاصيل، أشعة الشمس المنبثقة عبر خصائص النافذة كشفت عن خطوات ضئيلة تجر بعضها خارج حدود المنزل لتستمر في ذلك طيلة كيلو مترات دون كلال حتَّى بلغت أحد الأضرحة وهناك هُلل الناس غير مُصدقين كون الطفل الصغير الذي لا يقدر على الوقوف استطاع اجتياز طيلة تلك المسافة سيرًا على الأقدام دون إعياء بل والوصول إلى المكان المقدس حسب زعمهم، على مقربةٍ من الضريح وتجمع الناس جاء

صوت والده العجوز لاهتًا لا يُصدق أن ولده الصغير جاء إلى هنا وحيدًا، أخذ يصيح “بركة الآلهة قد حلت على ولدي“.

سَمِعَ حاكم البلدة بقصة الصغير والقوم الذين تباركوا به فهو معجزة الآلهة والصورة التي يرون فيها اليقين بأنهم على حق! عُرِفَ الحاكم بأنه رجلٌ طاغية يشيع الظلم ويدّعي الإلوهية كما النمروذ من قبل وفرعون من بعده، ولذلك رأى في الطفل فرصة مواتية لتعزيز مُلكه وتثبيت نظرة الأمر المُطلق على شعبه وفي أذهانهم فقام بتقريب الطفل منه تحت وطأة كونه الإله ومن أصدر الحكم لتلك المعجزة ولكي يُطيعه الناس دون أن يقدر أحد على إبداء اعتراض، لم يكتفِ بذلك بل قام بالتخلص من والده العجوز فأرداه قتيلاً لكي ينفرد بالطفل له فقط والعجيب أنّ الصغير لم يتأثر أو يلين لمقتل والده بل كان ساكنًا يُنتهته بكلمات لا يعلمها أحد وأعينه تزيح رواحًا وجيئة حول الطرقات تشهد ما لا يُبصره غيره! في ظاهر الأمر لم يفعل المُنكر وفي باطنه بات السبب الأول للتخلص من والديه دون أن ينطق ببنت شفة...
جاء صوت العين:

- لم نعلم كيف فعلها الطفل فقد كانت مُعجزة للجميع ولكن هذه علامات التلبس الكامل للجنان واكتساب قدرات تفوق حدود عجز البشر.

توالت السنون وقد شهدنا الصغير وهو يكبر إلى أن بلغ حيزَ الشباب ولم تسلم البلدة من تأثيره فقد تبارك به الجميع وصار يلهو بهم كما قطع الشطرنج، يعلم الكثير ولا يغيب عنه شيء حتّى الحاكم نفسه خشي أن ينقلب عليه بل خاف وارتعد من نظراته وحرصَ على جعله حليفًا له وقد طغى الشرك في القوم وبلغ الحلقوم، القرابين والصلاة للأصنام، الحيوانات وملك البلدة فأين الله من قلوبهم!!

اضمحلّت الصورة على صوت العين تقول:

- العذاب المُبين ومعه تراءت لنا تلك الأرض وهذه البلدة وقد حُصِفَ بأهلها الرمال، صيحات الذعر طالّت أعالي السُحب والملك جوار حاشيته لا يعي ما يحدث فغضب الله قد أنزل ولا مجال للفرار، لقي الجميع حنقهم جاحظين الأعين ولم تنفعم أبقارهم وتلك الحجارة ونجت روحٌ واحدة فقط لا غير، الصغير الذي صار شابًا...

قصد الشاب العديد من القرى وفي كل بقعة تطأها قدمه يفعل بأهلها الأفاعيل، يعم الفساد والقهر، الشرك والظلمة ولا ينجو منه سوى المؤمنين إلى أن تمّ لعنه ومُسيح على عينه اليمنى فصار أعور يعرفه القاصي والداني بتلك الصفة، قصد حينها جزيرة نائية بعيدة عن أعين

البشر وهو يعلم بوجود إله فوق سبع سماوات وأنبيائه الذين يُواجهون شرور البشر فلم يعدل عمّا يفعل وبعد الوصول إلى الجزيرة وهناك رأى حيواناً زحف إليه عبر الشاطئ بمواصفات لم تُمثل له قبلاً، حيوان ناطق يُدعى، "الجساسة" حاولت أن تُلقنه الكلمات وتجعله يعدل عن طريقه نحو عبادة الله فلم تفلح، رأى الشاب في نفسه القوى المُطلقة والقدرة على جعل الجميع طوع أمره بل وكونه إلهًا بعدما تخلّص من ذلك الجسم الهزيل!! جرّاء ذلك تم تقييده داخل كهف في تلك الجزيرة النائية وقد أخذ الوعد من الله ليكون أحد المنظرين كما إبليس وصار من بعدها المسيح الدجّال أي مسيح العين اليمنى وفي لفظة أخرى المسيح من المسخ أو اللعن والاثنان صحيحان، لم يقف خطره أبداً عند الحبس والتقييد بل كان ذلك هو البداية فقد صارت الجساسة ناقلة أخبار العالم الخارجي وفتنته وعبر الأزمان ستطول الحضارات المُتعاقة وعبر عينه الواحدة سيخضع المنافقون وضعيفو الإيمان..

بدا على العين الرهبة لأول مرة من ذلك المخلوق، تأثيره طال البشر والجان معاً فكيف تحول طفلٌ هزيل الجسم إلى شاب قوي ذي قدرات تفوق العقل البشري، يُخطط وعبر آلاف السنوات للخروج وأتباعه يملؤون الأرض وما عليها وعبر الدهر، قبل أن تتكلم العين عن رحلة الرجل الذي وصل إلى جزيرته فيما بعد لتُكَمِل القصة ومعها تشرح خطته بأكملها سمعت صوت الشاب يقول:

- وهل بحق سمّاه الناس "بالسامري" لكونه من بلدة سامر فهل يكون هو سامري موسى؟!
انتفضت العين غاضبة لتقول:

- بل هذا كذب وافتراء فالدجّال ليس السامري ولم يُطلقون عليه تلك الكُنية أبداً ولكي تتيقن بنفسك فلنرتحل إذا صوب عصر موسى الرسول حيث نسرّد قصة ذلك الرجل ونعود إلى تلك الجزيرة المُربعة عمّا قريب.

ابتسم الغريب وأوماً كناية عن الموافقة وهو يُخفي نظراته الفلقة إلى الشاب أو بمعنى أدق إلى المسيح الدجّال وقبل أن يتحقق من ملامح وجهه طغت الظلمة على الجزيرة جُلّها فلم يرقب سوى رجل أحمر جسيم لينتفض ذعراً..

تركنا الجزيرة وذهبنا إلى مصر القديمة لنعي حقيقة ما حدث، أهراماتٌ ثلاث يقبعن على رمال الصحراء، يغمرهم اللون الأبيض وتلك البوتقة من الأعلى التي تعكس أشعة الشمس الزاهية، شريطٌ من النهر يمر بموازاتهم وعلى جانبيه بقعتان خضراوان تبعثان في النفس

البهجة وعبق المشهد، العديد من المارة جوارهم إمّا يزرعون أو يُمارسون طقوسهم في العبادة، النساء يزيحن أقدامهنّ تلو الأخرى صوب أحد المعابد القريبة وعلى مد البصر نشهد موكبًا عظيمًا اعتلاه رجل في هودجه المرصع بالحلي والذهب فخرّ الجمع له ساجدين، جنودٌ تُقدر بالآلاف يحرسونه، والكبير شأنه.

بدا الغضب على وجه البشري وهو يقول:

- أهذا فرعون.

أومات العين بإصابة كبد الحقيقة ومعها تعقّبنا الحاكم صوب قصرٍ عظيم، لم يتعداه سوى قصر سُليمان عليه السلام، تزدان أرضه بالحدائق وامتلك مساحة شاسعة من الأطيان، صوت العين أتى هامسًا على حين غرة:

- مصر، عام 1300 ق.م.

في تلك الحقبة ظفر الهكسوس بحُكم مصر، وهم قومٌ استوطنوا في باديء الأمر بقعة محدودة على ضفاف النهر إلى أن تكاثروا واستزادت أعدادهم شرحهم شرح العرب وغيرها من الفصائل التي حملتها أرض مصر على تُرابها وذلك للموقع المُميز وامتلاكها لنهر "النيل" فلم يكن شعب مصر حينذاك أصيل المنشأ بل حمل العديد من الجنسيات والمواطنين ولذلك دائمًا ما كانت "أم الدنيا" كما يُطلقون عليها، في فترة ضعف الأسرات المصرية استطاع الهكسوس انتزاع الحكم لما رأوا في أنفسهم من بطش ومع تعاقب الأزمنة جاء ميعاد ذلك الطاغية، فرعون ملك الهكسوس ومصر القديمة وقد كان مُستبدًا استباح لنفسه كل شيء وفي نفس الوقت امتثل لقوانين القُدماء خوفًا من بطش القوم، معادلة صعبة بحق!!!، مع ازدياد مُلكه ورؤيته للأنهار وهي تجري من تحته فترتوي بها الأراضي وتصير خصبة تُخرج كنوز الأرض من الطعام والذهب شرع في تحولٍ جديد، التحول الذي حاز به منطلق السلف في منطقة النهرين كما النمرود، أن يقول على نفسه "إلهًا" يعبده الناس ويتضرعوا له فيفيض عليهم من الخيرات، لذلك التوجه الجديد بُنيت له تماثيل ذات شأن وصار مُسماه على الألسنة والطُرقات، "فرعون" حاكم مصر والإله المُبجل.

برغم ذلك سادت في مصر طوائف أخرى تعبد آلهة آخرين ومن بينهم جماعة كانوا يعبدون إلهًا واحدًا فقط مؤمنين بالتوحيد... انقسمت أيضًا مصر إلى فئات اجتماعية مُتباينة، "الأقباط" وهم أعلى فئات القوم وأصحاب النفوذ والتجارة الباهظة، قوم "بني إسرائيل" خلف الأسباط الاثني عشر من إخوة النبي يوسف عليه السلام الذين ارتحلوا جوار أبيهم يعقوب ليقطنوا بمصر وقد هجروا بذلك أرض بيت المقدس بعدما صار يوسف "عزيز مصر" ولكن حالهم في

تلك الحقبة لم يكن على أفضل حال بل امتلاً بالهوان فقد شغلوا المهن الشاقة والتي تتطلب مجهوداً عظيماً وذلك لطبيعة أجسامهم القوية وقدرة تحملهم وهو أمرٌ جعلهم في ضيق وحزن، طوائف أخرى مثل العرب، الهكسوس أنفسهم والعبيد بجانب وبالطبع المصريين القدماء أنفسهم ذوي الأصل الجغرافي وغيرها من الأقوام فكما ذكرت مصر لم تحو أراضيها شعباً منفرداً..

إلى أن جاء ذلك اليوم الجلل والذي وقفت عنده العين وهي تُخبرنا باقتراب ظهور طفلين سيكون اسمهما مُخلداً في التاريخ، موسى وموسى!

انتقلنا إلى داخل حُجرة “فرعون” المزدانة بالحلي فلا تحسبها سوى معبدٍ آخر لنشده وقد داهمه النوم وبجانبه زوجته (آسية) تحذو حذو زوجها، راقبنا وجهه فإذا به يتصبب عرقاً وعلمتُ حينها أنه يُصارع كابوساً مفرغاً غير قادر على الفرار منه ليمر الوقت ومعه استيقظ الحاكم صائحاً لا يدري أيعيش الواقع أم ما زال قابعاً داخل عالم الأحلام الخاص به، صار يهذي كما لو كان طفلاً صغيراً مُتناسية ادعاءه الإلهوية وكبره المُعتاد، استيقظت آسيا على صوت زوجها الهادر: أتوني بالكهنة حالاً...

رأينا بعد ذلك مجلس فرعون المُتباين من الكهنة والحكماء وقد انعقد سريعاً، جلس على عرشه وأخذ يقص على مسامعهم ما مرَّ به وهم منصتون فأخبرهم عن رؤيته لنارٍ عظيمة الشان انفجرت من أرض بيت المقدس لتخلق هالة تُطيح بما حولها، أخذت النار في الانتشار بسرعةٍ طاغية حتى وصلت أرض مصر وهناك أخذت تلتهم في مُلكه أجمعين بما فيهم القصر الأكبر وسط دعر الحاشية والعجيب أن البيوت الوحيدة التي نجت من التآكل هي منازل قوم بني إسرائيل!!

وعلى غرار ما حدث مع بختنصر من قبل وفشل القوم في تفسير حلمه، لم يعجز هؤلاء عن ذلك بل باغتوه بالحقيقة دون خشية شيء: “يا ملك مصر وإلهها سيولد من صُلب بني إسرائيل طفلٌ صغير سيكون له شأنٌ عظيم وعلى يديه سيسقط مُلكك أجمعين”.

جحظت أعين فرعون واستشاط غضباً فمن يقدر على التفكير في ذلك ومع تخويف الكهنة له جاء الأمر باكراً، التخلص من جميع أطفال بني إسرائيل الذكور في الحال. تراجع البشري خطوتين وهو يقول مُندهشاً:

- إذا لم يأمر فرعون بالتخلص من كافة أطفال مصر وفئاتها بل حدّد فقط بني إسرائيل! شهدنا العين مُغمضة في صورة توحى بالغموض دلالة على وجود معلومة أخرى لذلك الصد وهي أنه وبعد شروع جنود فرعون في ذلك لاحظوا وعبر سنوات تناقص أعداد الذكور في

بني إسرائيل وهم وكما ذكرنا سابقًا القوم الأكثر امتهائًا للأعمال الشاقة ومع ضغط الأقباط أصحاب النفوذ عليه تم تعديل القانون ليكون التخلص من الأطفال الذكور في بني إسرائيل عامًا بعد عام أي كل سنتين، سنة مُباح فيها القتل والأخرى يُترك الأطفال أحياءً...

أول سنة من تنفيذ ذلك القرار الجديد وُلِدَ (هارون) الذي سيصير نبياً بعد ذلك ولكن في السنة التي تليها والتي من المفترض أن تكون سنة القتل جاء إلى تلك البقعة من الأرض طفلين وهما.. (موسى بن عمران) و(موسى بن ظفر)

الاسم الأول هو موسى النبي كلیم الله والاسم الثاني هو "السامري" فاسمه الحقيقي موسى وُلِدَ في قرية "سامرة" فكان لقبه ذاك...

ترك العین الحديث ورؤية موسى النبي وكيف نجَّاه الله من بطش فرعون واتَّجَّهت سريعًا نحو البيت الآخر لنشهد سيدة قد قاربت على الثلاثين من عُمرها وهي تُهرول بابنها الرضيع صوب الصحراء القاحلة خيفة بطش جنود فرعون الذين يشرعون في البحث عن أي طفل لقتله، أثناء زحفها ومع اقتراب الجنود منها بصرت مغارة قائمة على الرمال فلم تتردد وقرَّرت وضع رضيعها موسى بن ظفر داخلها ليحتمي من أشعة الشمس وتركته يُواجه مصير الموت وحيدًا داخلها على أن يُقتل على يد الجنود وغادرت المغارة سريعًا لكي لا يكتشف الجنود المخبأ ولم تعلم حينها بأنها وبذلك الفعله جلبت للعالم شرًا عظيمًا مصيره الظلمة...

في الوقت الذي وضعت فيه أم موسى الرسول رضيعها أعلى سطح المياه ليُلاقي مصيره والذي كان وباللعب داخل قصر فرعون نفسه عدو الله فيكون عدوًا له كان موسى الآخر داخل المغارة يصيح باكياً وبالعقل البشري مصيره هو الموت لا محالة، ما حدث حينها عجيبيًا، حضر للطفل الصغير الحليب والعسل من اللاشيء أو بمعنى أدق من الفراغ عبر قوى خفية تزيحه بل وتوجهه صوب الطعام ليأكل ويشرب فيكون ذلك حائلًا بينه وبين الموت.

- بنو إسرائيل لاقى أهلهم الكثير من المعجزات التي يعجز العقل عن تقبلها ولذلك أطلقوا على أنفسهم "شعب الله المُختار" وقد صُعقوا عندما صار آخر رسول من العرب...

خرجت تلك الكلمات من البشري متعجبًا.. ظللنا على تلك الحال نرقب الرضيع وهو يصير طفلًا قادرًا على السير ليرجع موطنه مرةً أخرى وسط عدم تصديق والدته وجُلَّ أهله، خرجت هنا صوت العین لنقول:

- من ربَّاه واعتنى به هو جبريل الملك.

جحظت عينا البشري غير قادر على استيعاب الأمر، تخبّط عقله ما بين الوجهتين موسى الذي سيصير رسولا ربّاه كافرٌ وموسى الذي سيصير مُمهّدا للشريك ربّاه ملك!

طوال اعتناء جبريل بالطفل لم يرَ شكله الحقيقي بل كان يلحظ مواطئ قدم فرسه فقط وكيف أن ذلك المكان يدب فيه الحياة فحفظها عن ظهر قلب، عند رجوعه ومرور الزمن اكتسب صفة الدهاء فكان ذكياً لم يقدر أحد على مُجاراة عقله أبداً على أرض مصر لا من بني إسرائيل أو الأقباط حتّى إنّه لم يمتهن كما قومه الأعمال الشاقة وقرر الحيد عن مصير إخوانه..

على الجانب الآخر صارت حادثة مقتل أحد الأقباط على يد موسى عليه السلام ولم يقصد ذلك بل وكزه دفاعاً عن أحد رجال بني قومه، وعندها تأمر القوم عليه ليقتلوه فرّ هارباً صوب مدين ليمكث هناك عشرة أعوام ولكم وددتُ تفصيلاً أكثر فعلمت أنّ العين تُخزن ذلك لبابٍ آخر خفي لم تذكره وسنعود إلى موسى الرسول عمّا قريب، ما يهم هو أنّنا انتقلنا آنيّاً صوب أحد المعابد كبيرة الحجم والمزدانة بالتماثيل عبر طُرقاتها ولاحظت كون التماثيل التي تتشكل على هيئة الثور هي الأكبر حجماً وحينها سمعنا صوت العين تقول:

- معبد "ابيس" الذي صار داخله السامري كاهناً.

علمتُ حينها بأنّه وفي فترة غياب موسى الرسول عشر سنوات كاملة عن مصر صار لموسى الآخر وبسبب فطنته شأنٌ آخر، لقبوه بالسامري ونسي الجميع اسمه الحقيقي وابتعد عن الأعمال التي تتطلب مجهوداً شاقاً ليصير الكاهن الأكبر، ها هو يمشي بين التماثيل متفاخراً يدعو القوم لتقديم القرابين والعبادة الحق، لسانه معسول ويجذب الروح قبل العقل، مع توالي حنكته المجتمعية بصرناه وقد علا شأنه وصار من حوله الأتباع، الكاهن الأكبر، السامري قائد قوم بني إسرائيل.

بعد عشر سنوات كاملة، صار موسى عليه السلام كلّم الله والرسول الذي بُعث لدعوة فرعون ملك مصر للرجوع عن ادعائه وعبادة الله الواحد الأحد ومع عودته والتفاف بني إسرائيل حوله فقد السامري موطئ قوته وتأثيره على الجميع، رأى موسى وهو يرمي عصاه فتحوّل ثعباناً مُبيّناً وكف يديه ناصعة البياض، السحرة وهم يسجدون لله توبةً وطلباً في مغفرة والعذاب الأليم الذي لاقاه بنو إسرائيل واضطر أن يلحق بهم فهم قومه ولا مجال للتخلي عنهم فبني إسرائيل يتقاتلون بينهم لا يقتلون بعضهم لأجل طرفٍ آخر وهنا جاء الأمر الإلهي لموسى بالهرب من مصر والاتّجاه صوب أرض بيت المقدس فقد بلغ عذاب فرعون لهم الحلقوم...

رأينا القوم وهم يهرعون هارين بعدما لاقوا عذابًا لم يلقاه أحد وقصة "ماشطة بنت فرعون" التي فقدت جُلَّ أبنائها خير دليل، صرنا بالقرب منهم وقد شهدنا زحفاً عظيماً قادمًا من خلفهم، أحدهم يقول: "يا بني إسرائيل، قد عَلِمَ فرعون بهروبنا وإنه ليقطع رقابنا إن لحقنا أسرعوا وجرؤا أرجلكم سريعًا على رمال الصحراء".

وهنا توقف البشري ليقول:

- قومٌ يُحبون المال حُبًا جمًّا، قد جلبوا معهم الكثير من الذهب والخلي وبعضهم أُجزم كونهم سرقوه من الأقباط.

تعجبت العين لتلك الملاحظة الدقيقة فقد أصاب الشاب الفطن، بني إسرائيل وقبيل خرجوهم أخذوا يجمعون الذهب والأموال عبر وسائل شتى دون هلع، أكملنا مشهد المطاردة والذي بات وشيكا باقتراب بني إسرائيل وموسى وأخيه هارون أمامهم من البحر ليقفوا عاجزين، البحر بمياهه العميقة أمامهم وجند فرعون من خلفهم يُشهبون السيوف والعناد بغية القتل، اقترب كبير القوم من موسى بصوته الهادر: "ماذا سنفعل يا موسى؟ فنحن هالكون".

لم يعلم الرسول حينها كيف السبيل للخلاص من ذلك المأزق لكنّه وبيقين تام أجاب: "كلًا إنَّ معي ربي سيهدين".

هنا شعرنا جميعًا باهتزازات صاخبة، الأمواج ارتفعت بنحو غير مسبوق وتوقف جنود فرعون عن المضي قدمًا خشية ما يحدث، مرةً واحدة أصاب الأرض قوى عاتية رجّت البقعة بأكملها، قوى لا مثيل لها ولا تخرج عن قلب بشر، فزعت الأرواح وتعالصت الصرخات: "البحر ينشق إلى نصفين" لم يُصدق فرعون ما يشهده بأَم عينيه، البحر بدأ ينزاح يمينًا ويسارًا ليُكون جبلين من المياه بينهما طريقٌ مستقيم من اليابسة، مُعجزة أكبر من أن يتحملها عقل، وسط ذهوله وجدت الغريب وهو يُركز بصره صوب السامري الذي بدا مُحْتَاطًا للغاية وهو يُراقب بعينه شيئًا ما لا نراه جميعنا، فجاءت همسات العين:

- رأى السامري موطئ فرس جبريل الملك الذي أحدث تلك الضربة وشق البحر نصفين، فطنَ لكونه هو فقد تذكَّر طفولته وأعينه التي اعتادت رؤية موطئ ذلك الفرس.

عقب البشري متعجبًا:

- يا له من داهية، كيف استجمع تركيزه بتلك الشاكلة وسط هول ما يحدث من انشقاق البحر.

ما لبث أن استفاق فرعون وجنوده من هول ما حدث حتَّى رأى موسى وبني إسرائيل وهم يهرعون مُجتازين البحر عبر ذلك الطريق البري، اشتعل غضبًا مُناديًا في جنوده للزحف وراءهم واللاحق بهم للقضاء عليهم مهما كلف الثمن وقد فعلوا...

بعدما اجتازت آخر روح من بني إسرائيل البحر وصار جنود فرعون وسط الجانبين على الطريق البري جاء أمر الله فعاد كل شيء إلى وضعه الطبيعي فتلاحمت المياه المنشقة مع بعضها مُجددًا وحينها شهدنا واحدة من غضبات الله والتي لا تُنسى، أصواتٌ هادرة وجنود تلقى حتفها غرقًا، فرعون الذي ادَّعى كونه إلهًا مُتجبرًا لقى على يديه مئات بل آلاف الناس حتفهم بالعذاب والمهانة يدعو الله خائفًا مُرتعدًا، الأمواج تعصف به من كل جانب وقدرته على التحمل هانت فأسلم وجهه للبحر العاصف، قُبيل موته أخذ يقول آمنت بالإله الذي آمن به بنو إسرائيل فالتهم البحر جسمه دون خدش ليصير لمن بعده آية فكما سُحِق النمرود ببعوضة هلك فرعون بالمياه وذلك جزاء الظالمين...

رأى بني إسرائيل ما حلَّ بفرعون وجنوده وأعينهم لا تصدق الغضب الإلهي العظيم ولكن روحٌ واحدة فقط كانت منشغلة بأمرٍ آخر وهو السامري الذي سار مسافة أمتار وهو يحسب مسافة ما ليتوقف عند بقعة مُعينة دون أن يلاحظه أحد ويلتقط قبضة من أثر فرس الملك جبريل ويضعها في حافظة، ابتسم وهو ينظر للسماء ورأيتُ في وجهه مرأى الشيطان الأكبر، يا له من لئيم!

عُدا مُجددًا إلى بني إسرائيل الذين أكملوا رحلتهم جوار رسولهم مُتجهين صوب أرض بيت المقدس وأثناء إزاحتهم القدم تلو الأخرى رأوا قومًا خلف البحر مُنزلين على أنفسهم داخل البادية لا صلة لهم بأحد وقد مارسوا طقوسهم العبادية المتمثلة في التضرع إلى عجل فتعجبوا لهم ولكن ما لبثوا أن تجاوزوهم حتَّى أخبروا موسى الرسول برغبتهم عبادة إله مثل ذلك. استشاط و غضب فكيف يُنجيهم الله بمعجزة مثل تلك قبل وقتٍ ليس ببعيد ويُشركون به الآن، خشي القوم من بطشه وامتثلوا له ليُكملوا طريقهم وفي ذلك الموقف رأيتُ السامري وقد توقف يُشاهد القرية التي يعبد أهلها العجل واتَّسع فيه ضاحكًا فعلى ما يبدو قد وجد ضالته...

استقر بنو إسرائيل في بقعةٍ ما على رمال الصحراء لمجيء أمر الله إلى موسى الرسول بأن يذهب إلى "طور سيناء" داخل أرض مصر قبل اجتيازها نحو مدين، جاء الأمر لكي يتلقَّى تعاليم الله عز وجل وفيها ستنزل الألواح عليه والتي بها من العِلْم ما ليس بغيرها، رحلة سيمكث بها أربعين يومًا ولأجلها ترك قومه وقد ولى عليهم أخاه هارون...

انتَهز السامري تلك الفرصة التي جاءت له على طبقٍ من ذهب والذي انتظر خروج موسى ليعد العُدّة، هارون بكل تأكيد ليس ببطش أخيه وقدرته على السيطرة على قومه أضعف بكثير، فزعت لرؤيتي تشكل العين الضخمة التي تستمر معنا طيلة رحلتنا، هذه المرة كانت عظيمة للغاية وكبيرة تجاوز حجمها عشرة رجال سويًا!!! قد تلونت باللون الأصفر مُجددًا وعلى غرار التشكلات السابقة لم تهمس ببنت شفة فقد تشكلت خلف السامري المُبتسم والذي شعر بوجودها!!!

“البشر يُريدون التجسيد المادي للإله وتزيح أنفسهم عن اليقين المعنوي والحاكم المتفرد الذي يقبع فوق سبع سماوات غير قادرين على رؤيته”.

بتلك الشاكلة فَطِنَ السامري لرغبة بني إسرائيل وعلى إثرها أعدَّ اللئيم خطته واتَّجه صوب قومه ليُخبرهم بأنَّه سيُريهم الإله الذي أرادوه فتعجَّبوا ولم يصدقوه ومع حديثه المعسول ومكانته السابقة داخل معبد “ابيس” امتثل له البعض وانزاح عنه البعض حتَّى مجيء موسى فبييت في ذلك الأمر، أخذ السامري ينشر الإشاعات عن موسى فتحايل عليهم بكونه رُبَّمَا ضلَّ الطريق أو تاه عنهم أو قد يكون أكله وحشٌّ مفترس وبعدها ومع ازدياد أعداد التابعين له وعدم قدرة هارون على كبح جماحه حتَّى لا يُرديه قتيلاً، أخبرهم بأن يجلبوا إليه الذهب والحلي الذي جمعه قبل خروجهم من مصر وفي ذلك دهاء حيث أنه أنكر عليهم تلك الغنائم فقد كانت في ذلك الوقت مُحرمة على بني إسرائيل عكس بالطبع ما حدث مع محمد رسول الله بعد ذلك، وبعدها جمع الحاجيات وافترق عنهم لينعزل وحيدًا وقد أوشك على تنفيذ المُخطط الأكبر!

أخذ يصهر الذهب جُلَّهُ ليصنع به عجلًا كبير الحجم ذو مظهرٍ مهيب، العين الكُبرى من خلفه مُنبثقة وهو يُكْمِل ما شرع به، ما إن فرغ من تشكيل العجل حتَّى نظر إلى حافظته مُبتسمًا ليُخرج القبضة والتي كانت الرمال التي وطأ فرس جبريل عليها ويقذفها على العجل وهو يعلم أنَّها مُباركة فكما السابق ومنذ سنينٍ مديدة ما تطأه تلك الأقدام يدب فيه الحياة وذلك ما حدث، بمُجرد نثر التراب على العجل الذهبي صار له صوت “خوار” فتظن أنه يتحدث مثل البشر وليس تمثالًا وحسب كما داخل المعابد ليرجع به إلى قومه مُهللاً:

“ها قد وجدت إلهكم، اسجدوا له وقربوا القرابين فإنَّه الإله الحق وقد نسي موسى وتاه في الصحراء”.

”عجلٌ كبير أصفر اللون، خوار يخرج منه متواليًا ليُعبّر عن الحياة وغياب موسى عنهم كان كفيلاً ورغم مُحاولات هارون لجعل طائفة ليست بالقليلة تعبده مُتذكّرين القرية التي رآها بعد اجتيازهم البحر، سقطوا في الشرك الأكبر وهنا تراجع البشري خطوات وهو يقول:

- وكأنني أرى قوم نوح، يعبدون الأصنام من دون الله!!

انشقَّ القوم ما بين مؤمن ملتزم، وسطي قد قارب على الشريك ومُشرك نسي مُعجزة الله ونجاته من بطش فرعون ليعبد العجل، والسامري بات حاكم القوم وملكهم مُحجماً قدرات هارون تمامًا حتَّى أتى أمر الله إلى كليمة موسى بالرجوع إلى قومه فقد أضلَّهم السامري فامتثل الرسول ورجع مسرعاً وقد اعتلاه الغضب بعدما أخبره الله عمَّا يحدث مع بني إسرائيل، أخذ بصوته الهادر يُعَنِّفهم وقد شهدت ارتعاد أجسامهم منه غير قادرين على النطق ببنت شفة، غضب الرسول كان عظيمًا لدرجة سحب أخيه من لحيته وتوبيخه أمام الجميع ظنًا منه الهوان في دعوتهم لعبادة الله، أيضًا تكسَّرت جُزء من الألواح المُباركة وتعاليمها جرَّاء رمي موسى إيَّاهما بعدما عَلِمَ بما فعله قومه، ثمَّ جاء الحُكم على المشركين بالله بأن يقتلوا أنفسهم ليتوب الله عليهم فأخبرهم موسى بذلك وأخذ عقلي يتساءل، ماذا سيحل بمن صنع العجل إن كان كل هذا فعله تجاه قومه وأخيه!!

جاءت اللحظة الحاسمة وقد اقترب جسم موسى الرسول من موسى الآخر أو بمعنى أدق السامري ما إن دنا منه حتَّى تعجبت لرؤيتي ملامحه وقد هدأت تمامًا، ليقول له: "ما خطبك يا سامري؟" فأخبره الأخير وهو واثق الخُطى بما رآه لحظة انشقاق البحر وإلى أن صنع العجل، لم يغضب موسى أو يُعنفه في وجهه بل أخبره بأن يذهب صوب الصحراء فقد كُتِبَ عليه أن يكون لا مِساس وسيكون له موعدٌ لن يتخلف عنه أبدًا، الحُكم كان أن يتيه في الصحراء فلا يمسه أحد أو يمس أحد حتَّى الميعاد المعلوم..

- هل السامري هو المسيح الدجَّال؟! أذلك لم يغضب عليه سيدنا موسى فيقتله لأنَّه ليس مُوكل بذلك.

جاءت تلك التساؤلات من البشري فأخبرته العين المُجاورة بكذب تلك الادِّعاءات فالدجَّال الأكبر قد أَرانا من قبل منشأه وكيف أنَّه وُلِدَ من زمنٍ سحيق بجانب أن موسى لم يقتله وأخبره بتلك الكلمات لكون ذلك وحياً من الله فلزُبَّما السامري من المنظرين أيضًا أو أتى حُكمه بالتيه واللعن وهذا أشد من القتل، الدجَّال الأكبر عندما يخرج في آخر الزمان سيمس أرواحًا عديدة ليُعِيد للأعمى بصره ويصنع وهم الجنة والنار أمام الأعين وكل ذلك بأمر الله بالطبع والسامري حُكمه الأبدى هو عدم المِساس.

علمنا حينها الزمان ومتوالياته وكيف هي الحِقب والأرواح التي تخرج مُمتثلة لأوامر الفتنة الكُبرى في كل وقت وحين، يبدو أن الأمر أكبر من تصور عقولنا المحدودة والخِطط منذ قديم الأزل قائمة وبكثرة لتغوي المؤمنين وتُهلك أكبر عدد من الأرواح، خرج صوت العين صاحبًا:

- السامري رُبما يكون من المنظرين أيضا فنحن الجان نجهل بعض المعلومات عن البشر، ولكن هنالك أيضا روحا أخرى لا تقل خطرا عنه.

تراجع البشري للخلف خطوتين مندهشا لتكامل العين قائلة:

- الطفل اليهودي داخل المدينة في زمن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

جحظت الأعين كناية عن جهل تام بأمر هذا الطفل ليتساءل البشري متعجبا:

- زمن الرسول وبهذا الخطر!! من يكون؟

بدا اهتمام جلي بأمره وهو ما دفع العين لتأجيل قصة رحلة المسيح الدجال مرة أخرى لتقول، (بن صياد) أحد أضلع الفتنة والغموض.

دفع المثلث العين لخوض تلك الرحلة مهما كلف الثمن فهو يُريد المزيد من المعرفة .

العام السابع الهجري، المدينة المنورة في حضرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، داخل تلك الحقبة أنعم الله على الإسلام بالرخاء واستقرار الحال بعد حروبٍ مديدة مع قريش والمُشركين، مجالس الرسول رفقة صحابته ودروسه لهم كانت أعظم الأشياء والجميع على قلب رجلٍ واحد طاعة الله ورسوله...

دُخان أسود اللون يُشكل ضبابا كثيفا أمام أعيننا ليكون هو السبيل للانتقال الآنني صوب البقعة التي مكث داخلها بعض اليهود المُتبقين داخل حدود المدينة، ففي ذلك الوقت عاشوا هم والمسلمون سويا، على مقربةٍ من منزل صغير الحجم أغلب تكوينه من الطمي والأحجار، رأينا أطفالا يلهون في الطُرقات، يجذبون بعضهم بعضا ويتسابقون بغية الظفر بالنصر وهو شأنٌ خاص لذلك العالم البريء الذي لم تلوته أحداثُ الدنيا بعد، ما أثار انتباهنا رؤية طفل يقبع وحيدا على جانب الطريق، يرقب أصدقاءه وهم يلعبون وبرغم إلحاحهم عليه للمضي معهم رفض واحتفظ بصمته، بدا المشهد أكثر هدوءا فقد حدث انعزال تام للأصوات المُجاورة لذلك الطفل ونحن نقترّب منه رويدا رويدا، دقّات القلب تتسارع ولكن لماذا؟! صرنا أمامه مباشرةً وقد شهدت فزع البشري أمامي لرؤيته أعين الطفل وهي تنصّب عليه!! هل يراه الآن ولكن كيف؟!!

احتفظ بتلك النظرات وأخذ يُتمتم بكلمات عجيبة لا تعكس العربية أو العبرية حتّى وكأنّه يُخاطب كيانًا خفيًا لا ترقبه أعيننا وفي تلك اللحظة سمعنا صوت سيّدة قادم من بعيد تقول بصوتٍ هادر: “صاف بن صياد تعال إلى المنزل..”

همسات العين المُجاورة هطلت باكراً فقد كان اللقاء الأول مُرعبًا:

- هذا هو بن صياد وعمره ثلاثة عشر عامًا الآن، كيانٌ مُخيف.

ضبابٌ كثيف صار مُرشدنا عبر تلك الرحلة الغامضة وعلى إثره رأينا بن صياد قابلاً على الطريق ومن حوله كبار اليهود يسمعون ما يتلوه عليهم، كان صوته حادًا لا يعكس أبدًا العُمر الخاص به، أخذ يتلو أحداثًا قديمة في عصورٍ غابرة وأحداثٍ أخرى ستحدث عمًا قريب، حدّثهم عن الجان والشياطين وأعينه أو بمعنى أدق مُقلتيه لم تكن ثابتة بل تتحرك باستمرار في اتّجاهات توحى بروئيته لأرواح لا يبصرها غيره والعجيب أيضًا أنّنا نحن كذلك لم نراهم، تساءل البشري عن ذلك فأخبرته العين المُجاورة بأنّ بن صياد واحد من ألغاز البشر والجان وقد حُجِب عنهم معرفة كينونته كما سيحدث مع الرسول والصحابة..

انفض البشري غير مُصدق لما يسمع وأنت الومضات تواليًا، مع تعاقب الزمن ذاع صيت الطفل خلال شتّى بقاع المدينة فلم يكن هنالك يهوديًا إلّا ويتحدث عنه وعن معجزاته على حد قولهم، البعض سرت به نفسه لوصفه بالمُخلص الذي سيُعيد أمجاد اليهود لا محالة وبسبب ذلك وصل خبره إلى الصحابة ومنه إلى الرسول صلّى الله عليه وسلم وهنا احتدم الأمر، بعض الصحابة التقوا به بالفعل ورووا مخاوفهم تجاهه وأحاديثه عن الجان والسحر، الغيب والماضي السحيق وأيضًا الأمر الأكثر رُعبًا الهمهمات التي تصدر منه كناية عن حديثه مع قومٍ آخرين!

مع كثرة تساؤلات الصحابة عنه وانقطاع الوحي عن الرسول في تلك المسألة أو عدم إخبار المولى عز وجل بأمره، قرّر الرسول التوجه صوب بيته لعله يكشف أمر ذلك الصبي وبالفعل توجه إليه رفقة عُمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض الصحابة الآخرين وبمجرد الوصول إليه دار بينهما حديثٌ غير معتاد علّم به الرسول أنّ ذلك الطفل ليس كغيره: “أتشهد أنني رسول الله؟”، ليرد الفتى: “أشهد أنك رسول الأمين.”

كان رد بن صياد ثابتًا به من التحدي ما يلحظه الجمع، قصد بذلك بأنّه رسول العرب فقط وليس رسولهم، وبالطبع هو يعني ذلك كون الرسول من ذرية إسماعيل عليه السلام عكس أنبياء بني إسرائيل من ذرية إسحق، العجب هو كيفية امتلاك طفل لم يبلغ بعد الثقة لإلقاء هذه الكلمات وأمام من، أمام خير البرية، لم يكتف بذلك بل بادر هو بالقول: “أتشهد أنني رسول الله؟”

من يكون هذا الطفل بحق!!، جاء ردُّ الرسول سريعاً: “أعوذ بالله آمنت بالله ورُسله، ما الذي يحدث معك أو ماذا تعرف؟”

رد بن صياد قائلاً: “أرى صادقاً وكاذباً، وهنا يقصد معرفته للكثير من الأخبار بعضها صادق والآخر كاذب”.

فيرد الرسول: “خُطِّطَ عليك الأمر، خَبَّئْتُ لك خبيئاً” وهذا يعني سرّاً ما قد خبأه الرسول عنه ليرى مدى معرفته وبعد لحظات كأنَّ الطفل يتقصى الخبر جاء رده: “الدُّخ، الدُّخ”، فيرد الرسول: “أخسأ، أخسأ فلن تَعْلُ قدرك”.

ومعنى الحديث أنه مهما بلغ من الصفات لن يعلو عن قدر الله ومقدرته، كما السحرة والكهنة وعند سؤال النبي عن الخبيئة قال إنها سورة “الدخان” نزلت إليه عبر الملائكة فسمعتها الشياطين ونقلوها له ولكن ناقصة!!!

غادر الرسول والصحابة بيته ولم يزداهم ذلك الحديث سوى تفاقم الشك وعدم تبيان أمر الصبي وقد وصل الاحتدام في أمره إلى أن سيدنا عمر رضي الله عنه أقسم كونه المسيح الدجّال الذي حدّر منه الرسول وكافة الأنبياء والرسول لا يرده عن ذلك أو يُنكره فالوحي لم يأت بكينونته والتشكك في أمره هو المُسيطر الآن.

“دعني أقتله”، كانت تلك كلمات عُمر بن الخطاب فقال له الرسول: “لا، فإن يكن هو الدجّال فليست مُسلطاً عليه وإن لم يكن هو فلا خير لك فيه”، وهذه إشارة بكل تأكيد أن الدجّال من سيظفر به هو سيدنا عيسى بالطبع في آخر الزمان وعلامات الساعة الكبرى.

توالت الومضات ومعها زاد صيت بن صياد كثيراً، أقاويله عن الجان، رؤية البعض له وهو يتلقن العلوم منهم فكيف ذلك! استرساله في أمور الغيب والماضي وغيرها جعلوا منه الأكثر شهرة بين الجمع ولم يبت الرسول في أمره بعد ومع تزايد الأسئلة حوله قرّر الرسول زيارته مرةً أخرى وتبيان أمره، ذهب صوبه ليراه على مد بصره جالساً وهو يُتمتم بكلمات وينظر صوب الفراغ فقد يكون في مرحلة تلقي العلوم الآن، دون أن يشعر اقترب الرسول منه أكثر وجسمه الشريف بين الأشجار وقُبيل وصوله إليه جاء صوت والدته من بعيد وقد رأت الرسول أمامها لتقول: “يا صاف، هذا مُحمد”. ففرع الغلام واضطرب بشدة لينتهي ما يفعل مُسرِعاً، يقول الرسول لصحابته بعدها: “أنه لو تركته لتبيّن أمره”.

سنتين مرّت على تلك الحال وخلالها توفى الله رسوله الكريم بعدما صار الإسلام دينًا مُكتملاً بالقرآن والسنة معًا، وبالطبع كُبرَ “بن صياد” فصار شابًا قويًا واليهود يعتزون به وبما يفعل، إلى أن باغتتنا ضبابٌ أسود اللون فعلمتُ حينها أنّ القادم لن يكون هينًا..

(عبد الله بن عمر) أحد الصحابة يمشي الآن على أحد الطرقات مُنشغلًا في أمرٍ ما وأثناء ذلك رأى على مد بصره رجلًا أعور العين، دنا الرجل منه وإذ به يُصعق لاكتشافه أنّه بن صياد فمتى فقد تلك العين وصار على هذه الحال!! تراءى إلى ذهنه حديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الدجال الأكبر وكونه مسيح العين أعور، موقف مهيب فقد يخرج الدجال الآن بينهم والرسول قد توفى ليقترّب بن عمر منه ويقول: ما بال عينك؟، فجاءت الإجابة بالاستنكار ليردّ بن عمر “إنّها عوراء” فيرد عليه بن صياد بجمود وصوتٍ ساكن، “وإدًا؟!”

حنق بن عمر لتلك الإجابات المثيرة للقلق فأجاب: “كيف صارت عوراء وكانت سليمة!” وهنا جاء الرد بعد حين: “لا أعلم، استيقظت في الصباح فإذا هي عوراء!”

إجابات تُثير الريبة أكثر في النفس فما كان من بن عمر سوى جداله وتكرار السؤال عن تلك العين وسأله مُجددًا، كيف صارت عوراء؟ وهنا بن صياد رد بغرابة قائلاً: “كما تكون في عصاك”، وذلك الرد لاستفزاز بن عمر.

ما كان من الأخير سوى الغضب فأمسك عصاه وضربه بها وهنا حدث شيءٌ جلل، انتفخ وجه بن صياد على غير المعتاد حتّى لتحسبته ليس من البشر واحمرّ وجهه للغاية ففرع عبد الله بن عمر وهرب منه صوب منزل أخته (حفصة) ليروي لها ما حدث فنهرته وهي تقول: “ألم تسمع رسول الله وهو يقول، يخرج الدجال في غصبةٍ يغضبها، أتريد أن تُغضبه فيخرج في الناس؟”

وهنا سمعنا همسات العين تقول:

- قد دخل بعد ذلك في الإسلام.

فرع البشري غير مُصدق فأنى له ذلك وهو أمل اليهود على زعمهم، إدًا فقد تاب وأصلح عمله!؟

- ليس ذلك فقط بل تزوج أيضًا وأنجب الأبناء وهي أمور لا يفعلها المسيح الدجال الحقيقي، وبرغم ذلك وترحيب الصحابة به عند دخوله الإسلام إلا أنّ بعضهم ظلّ مُتشككًا في أمره حتّى مجيء ذلك اليوم الفارق.

ضبابٌ كثيفٌ يدثرنا غلب عليه الظلمة فصار مقيتاً إلى النفس وخلالها شهدنا بعضاً من الصحابة وهم في طريقهم من المدينة إلى مكة لأداء العُمرَة فكان معهم بن صياد، وهم في الطريق توقفوا للراحة وأيضاً للصيد، فتركوا عند متاعهم رجلاً قوياً أخبرتنا العين عن اسمه وهو (أبو سعيد الخُدري) ليتفاجأ بوجود بن صياد جواره لم يذهب رفقة الرجال، في ذلك الوقت كان الأخير رجلاً قوياً لا ذلك الصبي الصغير وبالطبع ورغم إسلامه ما زال هنالك بعض الحذر والخوف فأراد أبو سعيد التخلص من تلك الصُحبة فقال له: “خذ متاعك إلى الظل هناك فهنا شمسٌ حامية”، فامتثل بن صياد لكلامه وأتجه صوب الظل لكنه رجع بعدها وهو يحمل إناء من اللبن ويقول له: “اشرب”.

ارتبك أبو سعيد وبكل تأكيد لن يفعل ما سمع فاخترق عذراً، صمت بن صياد ثم قال: “أنت من أصحاب رسول الله، والله وددتُ أن أربط حبلاً حول شجرة وألف بها عنقي وأقتل نفسي”.

فسأله أبو سعيد الخُدري عن السبب مُندهشاً فيرد عليه قائلاً: “يا أبا سعيد أنت من أصحاب رسول الله وسمعت أحاديثه عن الدجّال، ألم تعلم أنّه كافر وأنا مُسلم فكيف ذلك! ألم يقل رسول الله إنّهُ لا عقب له وأنا قد تركت أولادي في المدينة! ألم يقل رسول الله أنّه لا يدخل مكة والمدينة وأنا قدمت من المدينة وذهبتُ إلى مكة!”

ليوافقهُ أبو سعيد وقد زال الهم عنه وهدأت نفسه بتلك الكلمات الطيبة، هدأت الأمور وزال الخوف رويداً رويداً حتّى عني أنا فمُجرد مشاهدة تلك الروح يوحى بالرعب، ما لبثنا وقتاً مديداً هادئين النفس حتّى سمعنا بن صياد يُخبر أبو سعيد الخُدري أمراً جديداً عن المسيح الدجّال، كان وجهه صارماً يتخلله ظلمة لا أعلم من أين جاءت وهو يقول تلك الكلمات: “أمّا أني أعرفه، وأعرف أباه، وأمه وأعرف أين مكانه الذي يقبع به!!”

جحظت عينا البشري وهو يشهد كلماته إلى الصحابي الذي اضطرب بكل تأكيد وارتعد منه مرةً أخرى ليسمعه يُكمل قائلاً: “ولو عُرض عليّ أن أكون الدجّال ما رفضت”، ففزع الصحابي مرةً أخرى واختفى المشهد رويداً رويداً على صوت العين المُجاورة تقول:

- بعد تلك الواقعة اختفى صاف بن صياد عن الأنظار في معركة دارت على أرض المدينة، لم تُر جثته أبداً حياً أو ميتاً كأنّه تبخّر لم ترصده أعين بشر أو جان، رحلة ذهاب بلا عودة وبالتأكيد تعرف أين ارتحل.

عبر كلماتٍ مرتعدة ونبرة غير واثقة رد البشري:

- هل يُمكنُ ذهابه إلى جزيرة الدجّال نفسه! كيف يعرف مكانه، إذاً قد تواصل معه أهي الجسّاسة أم شياطينه!!

لم ترد العين بل اكتفت بنهاية رؤية سيرة كيان عجيب أوضح لنا الكثير وكون الأتباع وترتيب قواهم وفتنهم مُتتاثراً عبر الزمن بل وفي كل زمن، الأمر إذاً أكبر من المنظمة المزعومة وأثناء توارد الخواطر داخلي سمعتُ البشري يقول بصوتٍ ثابت بعدما استجمع قواه:

- لُنكَمِلُ إذاً قصة المسيح الدجّال والتي توقفنا فيها عند الجزيرة النائبة التي ذهب إليها وهو صغير.

نظرتُ نحو العين المُجاورة فوجدناها مُرتبكة قليلاً، هل يُعقلُ أنّ للدجّال الأكبر تأثيرٌ مهيب وفتنة عليهم مثلنا؟

سكون وصوت همسات يقول:

- رحلة الصحابي (تميم الداري).

عام 9 هجرية، شهدنا مجموعة من الرجال ليسوا على دين الإسلام بل على مُعتقد آخر، يزيحون القدم تلو الأخرى وهم ينقلون حاجياتهم على سفينة كبيرة الحجم، كان عددهم ثلاثين، وهم على أهبة الاستعداد لقضاء تجارتهم وإيصال البضائع عبر البحر ومن بينهم رجل يبدو عليه القائد يدعونه بـ "تميم بن أوس الداري" فكان ذا هيبة ووقار.

أثناء مكوثهم على السفينة وهي تسري بهم أعلى الأمواج صاروا يتحدثون عن شئٍ الموضوعات المتمثلة في التجارة وكساد الأموال ليتطرقوا بعد ذلك إلى الرجل الذي بُعثَ فيهم واسمه (مُحمد) ويقول عن نفسه رسول الله وقد زاد أتباعه وعظّم شأنه وبينما تجري بهم السفينة شهد أحدهم ارتفاعاً نسبياً في أمواج البحر ومعه تعاقبت الأحداث، ريحٌ طفيفة في بادئ الأمر، اعوجاج سطح السفينة مع الوقت ليصبح أحدهم: "هنالك عاصفة قادمة!"

اضطرب الرجال وصاروا يشدون حبال السفينة ويربطون الأوتاد جيداً وبالفعل هبّت العاصفة، الريح باتت عاتية والمطر يُحيط بهم، الاهتزازات صارت ضارية ولا أحد يقدر على الإمساك بدقّة السفينة التي تتحرك من تلقاء نفسها والجميع يشغل باله فقط أمر النجاة من الموت وعدم الوقوع في البحر، لم تكن العاصفة وقتية تنتهي خلال ساعات بل امتدت لأيام لاقى خلالها الرجال ما تشيب له الأبدان وهذا ما بصرناه مع تعاقب الأحداث عليهم وقد ضلوا الطريق فلا يعرفون أين هم الآن!

سكنت السفينة في الأخير وسط البحر بلا وجهة، تسير دون قائد يأمل أهلها فقط العثور على يابسة، يوماً وراء يوم أيقنوا بالنهاية الوشيكة ولاحت أمارات اليأس على الوجوه، وأثناء سير السفينة بهم لمح تميم جزيرة على مد بصره قد ظهرت من العدم أو من خلف ضبابٍ كثيف فأخذ يصيح بالرجال لتوجيه الدفة نحوها وقد امتثلوا لأمره وبالفعل وبعد مشاق مزدانة بالأمل بلغوا شاطئها مُحتمين بها وللمكوث على رمالها بعض الوقت ريثما يستجمعون قواهم ولعلهم يجدون مؤونة جديدة تُعينهم على الرجوع أو بلوغ وجهتهم، جلسوا على الشاطئ مُنهكين ينظرون صوب الرمال وما يقبع عليها من كائنات رخوية، ولاحظوا بأن البقعة ساكنة تمامًا يتخللها فقط هدير الرياح وهو أمر ارتاب منه البعض خصيصًا لعدم معرفتهم بأمر تلك الجزيرة وكيفية ظهورها من العدم! ولم يكن أحدٌ منهم يعلم أنهم الآن ماكنون داخل الجزيرة النائية التي ارتحل إليها الفتى من قرية "سامر" قبل قرونٍ من الزمان، وأثناء جلوسهم على الشاطئ سمعوا صوتًا مهيبًا يتحرك بين الأشجار المُتراسة جوار بعضها البعض، أخذ الصوت ينتقل وهم يرقبون مصدره، اعتقد الجمع بأنهم قوم الجزيرة ولكن ما لبثوا إلا قليلًا حتى باغتهم كيانٌ مُرعب على حين غرة، أطاح بعقولهم وجحظت الأعين له لدرجة أن بعضهم شرع أن يفر هاربًا فقد رأوا أمامهم دابة ضخمة الحجم لونها أسود قاتم، تسير عبر الزحف على الرمال وتتججه صوبهم قد دثرها الشعر من كل جانب لا يدري أحد قبله من دبره، فلم يقدرُوا على تحديد ملامح وجهها لانسدال الشعر عليه بكثافة، تعالت الأصوات ما بين الجزم بأن الكيان المائل أمامهم شيطانٌ يُريد التخلص منهم أو حيوانًا ضارياً لا علم لهم به!

ارتبك تميم للغاية وأخذ يحث جماعته على رباطة الجأش ومُواجهة ما يرونه، ولكن ما ارتعدت له فرائصه هو سماعه لذلك الكائن يتحدث إليهم بصوتٍ يفهمونه جُلهم!

جحظت أعين البشري مُرددًا:

- الجساسة التي رأيناها سابقًا في نشأة المسيح الدجال ولكن صارت أكبر حجمًا ودثرها الشعر عبر كاهلها.

لم تُعقِب العين فلم تملك حُجة النقاش لنستأنف ما نراه من أحداث، خاطبها تميم الداري: "ويلك! ما أنتِ؟"، أخبرتم بأنها الجساسة إحدى سُكان هذه الجزيرة ولم تتحدث كثيرًا عن نفسها بل سكنت بُرهةً من الوقت لتقول لهم: "سأصطحبكم صوب أحد الكهوف داخل الغابة فهناك رجل يعلم بأمركم ويُريد مقابلتكم!"

لم يُعارضها الرجال الثلاثون خيفة أن تكون شيطانًا مُتمثلًا في دابة فيفتك بهم وتبعوها إلى داخل الجزيرة... صاروا يمشون على استحياء جاعلين بينهم وبينها مسافة كافية للهرب مخافة

أن تغدر بأحدهم وأثناء تجوالهم داخل الجزيرة لاحظوا وجود أشجار طويلة الحجم بلا ثمار وأصوات طيور لم يسمعوها قبلاً دون رؤيتها، فقط هدير الريح الذي اشتدَّ ما كان مألوفاً لهم، ارتابت قلوبهم ليصلوا في الأخير إلى بقعة شاسعة انقطعت عنها المساحات الخضراء وعليها كهف أو دبر أساسه من الحجارة لتقف الجساسة أمامه ساكنة وتأمّرهم بالولوج إلى الداخل... دلف الرجال الثلاثون إلى الدير الذي كان مُظلمًا بعض الشيء، ازدان فقط بعيدان اللهب على الجانبين، سمعوا صوتًا قادمًا من آخر الممر فارتعدوا له وأخذوا يزيحون القدم تلو الأخرى حتّى انفشعت الظلمة ليروا أمام أعينهم ضوءًا ساطعًا كشف عن كيانٍ آخر أشد وطأة على النفس من التي تقبع بالخارج!!

رجلٌ عملاق الحجم، مهيبٌ ذو جسم قوي مفتول بالعضلات، يتأرجح بين السلاسل الغليظة التي قيّدت كاهله بأكمله لدرجة أن يديه سُحِبَتَا نحو عنقه بالأعلى، أمارات الخوف بدت جلية على وجوه تميم وأصحابه، لم يقدر أحد أن ينطق ببنت شفة وصاروا يتجادبون فيما بينهم لكيلا يتقدم أحدهم صوبه، الهمسات فيما بينهم باتت جلية للأذنان عن التأكيد بأنّ تلك الجزيرة مسكن مرده الجان والشياطين، صاروا على تلك الحال بُرْهَةً من الوقت والرجل المائل أمامهم ينظر إليهم فقط وهو يتلوى في قيوده إلى أن تشجّع أحدهم ليسأله: "ويلك، ما أنت؟"

نظر إليه الرجل بأعين منبثقة دبّت الذعر فتراجعوا خطوات، لم يأبه بالسؤال بل بادرهم بالحديث عن شأنهم وكيف وصلوا إلى هنا، تلعثت الكلمات داخل الحناجر ليُخبره تميم عن القصة بأكملها وكيف انقلب بهم الحال للوصول إلى تلك الجزيرة والتي بدت خفية عن أعينهم، علّم حينها المُقيد بأنهم قد أُرشدوا إليه دون معرفة أو إمام بماهيته وحقيقة تلك الجزيرة، صار يرصدهم الواحد تلو الآخر ومعها انقلب الحديث فصار يتحدث بطلاقة ولسانٍ معسول عن أسئلة يُريد إجاباتها فما كان منهم غير الانصياع دون تردد فكان سؤاله الأول: "أخبروني عن نخل بيسان، هل نخلها يثمر؟" ردوا وقالوا: "نعم يُثمر".

فعقب حينها: "أمّا أنه يوشك أن لا تثمر، لم يفهم الرجال مقصده وصاروا يتناوبون فيما بينهم قد غلبتهم الحيرة ليُصعق تميم بصوته مُجددًا يسألهم: "أخبروني عن بُحيرة الطبرية هل فيها ماء؟"، نظرات قلقة تجاه بعضهم البعض وعلى الفور ردوا وقالوا: "نعم، هي كثيرة الماء". فردّ عليهم: "أمّا إن ماءها يوشك أن يذهب".

ساد الصمت هُنيهةً وهم يخشون حتّى النظر إلى وجهه الذي كان موحشًا للغاية وهو يُفكر في سؤاله القادم الذي جاء: "أخبروني عن عين زغر، هل في العين ماء وهل يزرع أهلها من ماء

العين؟” لم يفهم تميم هذه الأسئلة الثلاثة ومُرادها وإن كان انتابه الشك وأماراته بدت على وجهه وبعد تفكير ردوا وقالوا: “نعم كثيرة الماء وأهلها يزرعون منها”.

لمعت عين الرجل المُقيد ونظر إلى الأعلى صامتًا قد توقف عن استرساله في الحديث ليظن الجمع بأنهم فرغوا من الاختبار ولكن جاء صوته صاخبًا ليسأل بحزم: “أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟”

أصابته غلظة صوته الرعب في قلوب الرجال الذين لم يُصدقوا أنه يسألهم عن رسول العرب فكيف سمع بأمره وهو محبوسٌ داخل تلك الجزيرة المنعزلة عن العالم! ردوا حينها خائفين: “قد خرج من مكة ونزل يثرب”.

“أقاتله العرب؟” هنا خشي تميم وأصحابه أن يظن الرجل كونهم أتباع الرسول ولم يُمهلهم الوقت للتفسير فما كان منهم سوى الرد بالحقائق فقط فأجابوه “نعم” ليأتي صوته مُعقبًا دون توقف: “كيف صنع بهم؟” فردَّ عليه تميم: “قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه”.

ما إن لفظ تميم بتلك الإجابة حتَّى رأوا وجهه قد انتفخ وبرزت العروق على جبينه، صار داميًا أغلظ وحشته ليحول مُقلتيه صوب أجسامهم جميعًا كأنما يتفحصهم وقال بصوتٍ صاخب:

“أما إن ذاك خير لهم أن يُطيعوه وإني مخبركم عني، إنني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان عليّ كلتاها كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدًا منهما استقبلني ملك بيده السيف صلنا”

ما إن فرغ من قوله حتَّى ارتعد الجميع وصاروا يزحفون على الأرض قد ثقلت أكهالهم وخرج صوت تميم خافتًا، “إنَّه المسيح الدجال الذي تحدّث مُحمَّدُ عنه أمام أصحابه، لن ننجو اليوم.

عَلِمَ الرجال حينها بأنَّ أمرهم تمَّ البت فيه ولا عودة لهم، يُواجهون الآن أعظم فتنة مرّت على البشرية يُحدثهم من أمامهم وخلفهم دابته التي وإن استطاعوا الهرب منه سيجدونها تنتظر خروجهم للفتك بهم لا محالة، لم يقدر رجلٌ منهم على طلب الرحمة حتَّى أو العفو بل لم يجرؤ أحدهم على النظر إلى وجهه وعلى حين غرة سمعوا صوته وقد هدأت نبرته يُخبرهم السلام وعدم المساس وأن يعودوا حيث أدراجهم، لم يُصدق الرجال الزاحفون ما تلقته آذانهم وتحول خوفهم جُلَّهُ إلى طاقة ركض عظيمة الشأن ليهربوا من الدير بأكمله خارجين إلى الجزيرة المزدانة بالأشجار، رأوا حينها الجساسة في انتظارهم وأمرتهم باتباعها مُجددًا لترشدهم طريق الخروج، ما إن وصلوا إلى الشاطئ حتَّى أخبرتهم بأي السبل سيتبعون ومنه سيستطيعون

العودة مُجددًا إلى معالم البحر التي يعرفونها جيدًا، لم يشكرها رجلٌ حتَّى بل وعلى الفور ركبوا سفينتهم وانطلقوا كما أشارت لهم لتختفي الجزيرة عن أنظارهم دون أن يعلم أحدهم الطريق الصحيح لها أو كيفية الوصول مُجددًا لذلك المكان الغامض والخفي عن أعين البشر.

يعود تميم إلى المدينة ويُهرول ناحية رسول الله ويُخبره بما حدث معهم فيقص الرسول ذلك أعلى المنبر والجميع مُنصتون، قال وطعن بمخصرته في المنبر: “هذه طيبة هذه طيبة، ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟” فقال الناس: “نعم”، فقال الرسول:

“فإنه أعجبنى حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو” وأوما الرسول بيده إلى المشرق.

أخذ البشري يُفكر في كل ما رأى ليُخبرنا بأنَّ الأسئلة التي وجهها الدجّال للرجال الثلاثين هي العلامات التي ستسبق خروجه ومنها نخل بيسان وهي مدينة في شمال فلسطين، نخلها كثير للغاية وتمورها غاية فالجمال، ولكن من بعد احتلال أراضي بيت المقدس في الوقت الحالي، المنطقة أهملت تمامًا وثمارها شبه اختفت!!

أمّا عن بُحيرة طبرية فهي تقع أيضًا داخل فلسطين وقد بدأ ماؤها يجف ويقل منسوبه!! وذلك يذهب بنا ناحية المكان الثالث، عين زغر وهي نبع ماء منذ زمن بعيد ويقع جنوب بُحيرة طبرية وتعرضت لنفس مصير البُحيرة، مياهها انخفضت بشكلٍ ملحوظ!! لكن العجيب هو عدم حديث الدجّال عن جفاف تلك العين فقد يسبق خروجه الكامل جفافها!!

هنا تخلّت العين عن صمتها غير المُعتاد مذ بدأت في مشهدية الدجّال وأتباعه لتُحدّثنا عن كون ذلك الكيان حاد الخصال، لا يقوى عليه بشرٌ أو جان، فتنته عظيمة وأغلب أتباعه من اليهود والنساء، يخرج فيكون وراءه سبعون ألف يهوديًا من أصبهان داخل بلاد فارس وغيرهم من الجحافل، التعقيد في أمره هو المُخطط الأكبر منذ بدء نشأته وأنّه في كل زمان يظهر له أتباع مُخلصون يشيعون في الدنيا الضلالة والفتنة تَباعًا تهيئه لخروجه الأخير، الأمر يتعدّى “الماثونية” أو مُنظمة العين الواحدة والتي يشهد الجميع خطتها في العلن وهذه ليست عادة المسيح الدجّال بل هو يهدف الخديعة منذ قديم الأزل وخطط الخفاء إن كان بالحث على قتل الأنفس الطاهرة، الشريك بالله، تفشّي الزنا، الطعن في ثوابت العقائد ودين الإسلام عبر مناهج تصلهم رُبما عبر “الجساسة” أو غيرها من الأتباع الذين يعلمون مكانه، الماثونية خطر بكل تأكيد لكنها ليست الخطر المُحذق وسياسات الدجّال وتمهيد خروجه بات قريبًا للغاية...

جلس البشري القرفصاء مُفكرًا فيما رآته عيناه وتلقته أذناه، عن حقيقة ذلك العالم الموحش وكيف وصل الدين عبر صعاب غير متناهية، كيف نعيش هذا الزمان ومن هم أتباع ذلك الكيان الكافر الموحش؟! جالت به الأفكار فانبثقت عيناه من مقلتيهما مُتذكرًا حدثًا هزَّ العالم وقتها وتم التعتيم عليه سريعًا، حدث قد يوحى بأتباع الدجال، “نُصب جورجيا”.

علمت العين مقصده، وأخبرته بالتوجه إلى ذلك الحدث الهام والغامض وكيف هي تعاليم الفتنة التي بدت جلية في العصر الحالي لنذهب صوب قصة بطلها هذه المرة أحد البشر من ذلك الزمان ولكن قبل رؤيته قالت للبشري:

- قبل عامين أو أكثر حدث انفجار ضخم بإحدى البقاع ليكون البداية الحقيقية لمعرفة حقيقة النُصب فصار حديث العالم أجمع...

السادس من يوليو عام 2022م، الرابعة فجرًا...

رأينا أمام أعيننا مجموعة من الأحجار العمودية مُلتصقة ببعضها البعض قد نُحِتَ على وجهها كلمات ذات لُغات مُتباينة، اقترب الشاب منها مُحاولًا استنباط فحواها ومرةً واحدة دوى صوتٌ صاخب دلالة عن انفجار هائل أطاح بالألواح جُلَّها والبشري أيضًا الذي ما إن أفاق من تلك الصدمة سأل العين المُجاورة متعجبًا:

- ما هذا؟!!!!

أخبرته العين بأنَّ ما مرَّ به الآن هو ذكرى مستقبلية لأسباب تعود إلى الماضي خاصة بأتباع الدجال، ما إن زالت الرهبة عن قلب الغريب حتَّى استجمع قواه مُجددًا لمعرفة حقيقة ما حدث أمامه وأبعاد ذلك الماضي وهو ما أشارت له العين بالانتقال التالي.

يونيو عام 1979م، رأينا أمامنا رجل أنيق الزي، شعره مُرتب، حذاؤه أسود لامع، وجهه مُظلمٌ جامد حتَّى لتحسبه دون ملامح، يسير بخطى ثابتة صوب مقر شاهق الحجم يُدعى، شركة “البيرتون” وهي مُتخصصة في أبنية الجرانيت، شهدناه يتوجه إلى الاستقبال ويُخبرهم بصوتٍ ثابت ضرورة مُقابلة مديرهم بأسرع وقت وأنه أمرٌ خطير، وبعد مُثابرة رتبوا له اللقاء ليظفر بالمدير وحيدًا وننتقل نحن معه للمكتب الخاص...

(روبرت سي كريستيان) كان هذا الاسم هو ما عرَّف به الرجل الأنيق نفسه للمُدير وعلى الفور أخبره برغبته لبناء نُصب تذكاري وأن يُنحت عليه كتابات ورسائل سيُشرف عليها هو بنفسه والتكلفة سيتحملها هو مهما بلغت من نقود، وعرض عليه مبلغًا طائلًا من الأموال ممَّا

دفع المدير للاندھاش وبادر بسؤاله عن طبيعة تلك الرسائل وخوفه من الريبة التي تلحق بوجه ذلك الرجل ذي البدلة السوداء، فأجابه بأنّه تابعٌ لمُنظمة أميركية تدعم الحقائق وتفشي الأسرار الكامنة وهدفها الأول هو إرشاد البشر نحو الصواب، بعدها أغمض عينيه ووضع يديه على صدره وهو يقول: “في اليوم الموعود، سيصير ذلك النُصب منارة السفينة التي ضلّت طريقها الأوسط نحو اليابسة”.

استطاع روبرت إقناع المدير في وقتٍ قياسي وقبل ذهابه أخبره بضرورة أن يُبنى ذلك النُصب بطريقةٍ صحيحة تجعله مُتماسكًا ويُقاوم كافة العوامل المناخية مثل، الزلازل، الأعاصير ولربما الطوفان.

انتهى المشهد على حديث العين وهي تقول:

- رجلٌ غامض يتحدث بنبرة الأقدمين وعلى صدره غبشة.

رأينا بعد ذلك النُصب وقد اكتمل بنائه في ولاية “جورجيا” وهو عبارة عن أربعة ألواح كبيرة الحجم قد وُضعت بترتيب الحرف إكس وفوقها مُجمعة حجر آخر مُستطيل يوصلهم ببعضهم البعض، على تلك الأحجار تمّ نحت أربعة آلاف كلمة بثماني لغات مُختلفة من بينهم العربية، والحجر المستطيل كان له شأنٌ خاص، فقد استخدم روبرت عليه لغات قديمة تعود للحضارات الأولى مثل، المصرية القديمة الهيروغليفة، الإغريقية، السنسكريتية والبابلية.

22 مارس عام 1980م انتهى البناء أخيرًا وتم وضع ستارة سوداء ضخمة قبل يوم افتتاحه لتشهد وسائل الإعلام كافة الحدث وفي نفس اليوم اختفى روبرت تمامًا عن المشهد لدرجة أنّ العين أخبرتنا بأنّه لم يحضر حفل الافتتاح، ليحل محله شخصٌ آخر ويقول بأعلى صوته وأمام الجميع بأن ذلك النُصب هو النجاة وقت الانبعاث النووي، لتنزل الستارة وينكشف المبنى بأكمله، مع نزول الستارة السوداء بدأ العالم كله يقرأ الرسائل العشر التي تمّ نحتها وبعضها يقول:

“ابقوا عدد الجنس البشري أقل من 500 مليون في توازن دائم مع الطبيعة”.

تبدو الرسالة مؤثر هام لتحديد النسل وسياسة الطفل الواحد التي اتبعتها الصين، وأحدثت بذلك مشكلة حالية في نسب الشباب الخاصة بها لتعود وتُحاول إقناع الناس بالتكاثر مرةً أخرى وهل تعني قصة التوازن العودة مُجددًا إلى عصر اللاتكنولوجيا..

“وجهوا التناسل بحكمة مع تحسين اللياقة والتنوع”.

رُبما قصدوا بها الانتخاب الطبيعي!!

“وحدوا الجنس البشري بلغة جديدة حيوية”

هل تعني تلك الرسالة عكس ما تُظهر وتكون اللغة كناية عن الدين مثل حركة الديانة الإبراهيمية التي حاولوا استحداثها والتي تشمل كافة العقائد لتُحدث خليط بعيد عن الدين الحقيقي!

“احموا الناس والدول بواسطة قوانين عادلة ومحاكم مُنصفة”

فهل المقصود هنا هو القصر الحاكم أم العائلات الحاكمة للكون!!

“تجنبوا القوانين التافهة والموظفين عديمي الفائدة”

وهذا رمز آخر للتخلص من دستور الدولة وإبداله بدستور الجماعة الأخيرة!!

“اجلّوا الحقيقة، الجمال والحب في التماس الانسجام مع اللانهاية”

وهنا رسالة مُبهمة جدًّا

بالنسبة للجُملة التي تم نحتها على الحجر المستطيل باللغات القديمة فكانت تقول:

“لتكن أحجار هذا النصب الطريق إلى عصر الرشد “

هنا أخبرتنا العين، الغريب هو اكتشاف أن ألواح جورجيا بُنيت على طريقة أحجار “ستونهج” البريطانية والآثرية والإثنان يتشاركان نفس الموضع الفلكي تقريبًا ومعنى ذلك نصب البناء لم يكن بشكل عشوائي تمامًا، وللنُصب نُقبان واحد منهما يُشير إلى النجم القطبي الشمالي في السماء والثاني يوضح مراحل شروق الشمس خلال فصول السنة.

هنا تدخّل البشري مُتعبجًا:

- وكان النُصب ساعة رملية مُتماشية مع الزمن!

انقطع المشهد على همسات العين تُخبرنا بأن النُصب كان محل زيارة بعض البشر في الخفاء وهم يُمثلون عقيدة العين الواحدة، لم يكن روبرت عشوائيًا في مُخططه بل أراد تجميع شملهم على رسائلهم فقط من سيعرفون مغزاها ولربما لم يكن على دراية كاملة بأسمائهم وأعدادهم.

هنا قال البشري:

- مُحال أن يكون روبرت كريستيان ذلك هو الدجّال الأكبر لكنه قد يكون تابع حكيم يعلم مكان جزيرته ويتلقى أوامره مثل السلف القديم بن صياد والسامري وغيرهم الكثير والكثير.

الفصل السادس

تاريخ المسجد الأقصى

سكون طغى على الأجواء، تاهب من البشري غير مُسبق، العين ترمش بكثرة كناية عن تحضير لتاريخ طويل الأمد والجميع شحذ عقله للحقيقة... أخبرتنا العين بضرورة استكمال قصة سابقة قبل الولوج إلى تاريخ الأقصى، وتلك القصة التي غفلنا عن نهايتها هي بداية الحقائق كافة

تنهدت قليلاً لتقول:

- لتعرف القصة كاملة ينبغي علينا أولاً الانتهاء من سرد سيرة عزازيل ومعها ينكشف كل شيء.

جحظت عينا البشري الذي نسيها تماماً وعلى الفور انتقلنا أنيأ صوب عالمه من أجل تحقق الشروط لمتابعة ما وقفنا عليه سابقاً.

سجد الملائكة لآدم أول كائن بشري على الإطلاق، لعن عزازيل فصارت كُنيتها إبليس والتي تعني المطرود من رحمة الله، فقد جناحيه وكل ما امتلك، أصبح وجهه قبيحاً لا تكاد تنظر إليه حتى يُغشى عليك، أرسل الله آدم إلى الجنة ليمكث بها ويحظى بالنعيم الأبدي وبرغم سعادته الجمّة لما يُحيط به من أنهار وجمال أخذ لم ينل السعادة الكاملة وذلك لشعوره بالوحدة التي صاحبته مثل رفيقٍ مقيت، ولذلك أكرمه الله مُجدداً فخلق له امرأة من ضلعٍ أعوج داخل جسمه، صحا من نومه ليرى بجانبه سيدة تختلف في تكوينها الجُسَماني عنه لبعض الخصائص وكان اسمها (حواء) ومعها نعم آدم بالسكينة وصارت الجنة جنتين ولم يكن يعلم حينها بأن هنالك من ينتظر اللحظة المناسبة لإغوائه وقد باتت قريبة..

أخبر الله عبده آدم بأن يأكل من كل أشجار الجنة فيما عدا شجرة واحدة لا يقربها أبداً وكانت شجرة عملاقة تمشي في ظلها دهرًا، وقد امتثل لذلك هو وزوجته وعلى الجانب الآخر إبليس وقف على باب الجنة يُريد أن يدخل ليؤسوس إليه من أجل مخالفة أمر الله لكنه واجه المنع نتيجة لعن جسده فلا يقدر على دخول الجنة، أخذ يُراقب الحيوانات التي تدخلها فأخذ يُحدثهم ليتلبس جسده واحدٍ منهم للولوج إلى الجنة معه وهم يرفضون إلى أن اهتدى وأخيراً إلى حيوانٍ واحد قَبِلَ عرضه بعد مفاوضات، وكان ذلك الحيوان هو "الحية أو الثعبان" وبالأعلى كان

شكلها غير ما تظهر على الأرض، كانت جميلة ذات فروٍ كثيفٍ وعبر تلُّبُّسها استطاع إبليس الدخول أخيرًا لبدء خطته الكبرى وبالطبع كل ذلك بمعرفة من الله عزَّ وجلَّ لكنه تركه اختبارًا لأدم وزوجته..

دخل إبليس رفقة إحدى الحيَّات وأخذ يُوسوس إلى آدم أولاً بأن يأكل من ثمرة الشجرة التي أمره الله بألَّا يقربها فرفض بشكلٍ قاطعٍ ليُحاول مع حواء ولم يكن جوابها عكس زوجها ولكن مع استخدام الأعبية مثل التفاسير البعيدة عن الحقائق كأنَّهما إن أكلا منها فسيتحولان إلى ملكين، أو سيملكان طاقة الخلود الأبدي ولذلك منعهما الله عنها، راقبت تلك الفكرة لزوجة آدم وألحت عليه وهو مُتضارب الفكر، يأكل ويعصي أمر الله أم أنَّ الأمر هين وسيحصل على الخلود ومع وساوس إبليس والنفس وفي الأخير أكلا سويًا من ثمرة الشجرة، وما إن حدث ذلك حتَّى انكشفت سوءاتهما وأخذا سريعًا من ورق الشجر يُغطيان بها أجسامهما وعلى الفور أتى أمر الله بنزول آدم وحواء إلى الأرض تاركين بذلك نعيم الجنة غضبًا من الله لمُخالفة أوامره ومعهما إبليس بعدما أتمَّ مُرادَه ورجع إلى الأرض مرةً أخرى وهو من المنظرين.

الثعبان سقط أيضًا مع آدم، حواء وإبليس ولكن تم لعنه ليصير دون فرو وبذلك الشكل الذي يزحف على بطنه ويطوف الأرض والصحراء، ليس ذلك فقط بل هنالك أيضًا حديث عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يتحدث عن مسخ الجان إلى حيَّات كما مُسخ البشر إلى قردة وخنازير من قبل، حديث صحيح ولكن المُراد منه بأنَّه وبالفعل تم مسخ بعض أنواع الجان الذي عصوا الله إلى حيَّات وثعابين، ولكن ليس معناه بأن الثعابين الحالية من الجان فالمسخ لا يعيش بعده الفرد أكثر من ثلاث سنوات على الأغلب.

بدأ إبليس بالتحضير للمكوث على الأرض وكونه من المنظرين الذين سيشهدون حضارة البشر بأكملها حتَّى مجيء علامات الساعة الكبرى فكان أول ما فعله هو أنَّهُ جعل عرشه على الماء مُتشبهًا بالله عز وجل فوق سبع سماوات، ثانيًا بدأ يتكاثر ليُهيأ له جيلًا قويًا وكثيرًا من الشياطين يفتنون ويوسوسون إلى البشر، وهنا لنا وقفة، الشياطين هم جزء من الجان ويُطلق عليهم شياطين كناية عن كونهم أسوأ أنواع الجان البعيدين عن عبادة الله عزَّ وجلَّ كما البشر الذي نقول عنه شيطانًا بشريًا، الشياطين الذين اتَّبَعوا إبليس كانوا من نسله وأيضًا من طوائف أُخرى من الجان لما رأوه فيه من حنكة وكونه من المنظرين فصار له صيتًا واسعًا وأتباعًا كُثر.

بذلك وبتلك الأمور أسَّس إبليس لنفسه القاعدة المثالية للانتقام من البشر وتوالى القصص تباعًا في حين أنَّ آدم ندم ندمًا شديدًا وأخذ يستغفر الله هو وزوجته فتاب عليهما وعلمهم الأسماء كُلها، وهذا الفرق بين عصيان آدم من البشر لله وعصيان إبليس من الجان لله...

كانت تلك نهاية عزازيل فوق السماوات، الجان الذي عبد الله وغرَّه عقله بالفُرب والعصيان فصار ملعونًا، وتلك أيضًا بداية إبليس على الأرض وكونه أحد المُنظرين وهو الجان الذي يعصي الله ويغوي عباده ليحظوا نفس المصير المشؤوم.

القشعريرة أصابت جسمي وسرت عبر الدماء، لم تُمكننا العين لاستعادة قوانا العقلية لتقفز بنا عبر فرقة الإصبع ناحية آدم عليه السلام مُجددًا وهي تقول:
- الآن نبدأ تاريخ الأقصى بعد النزول من السماء.

رجعنا مرةً أخرى إلى الأرض الأولى، الأرض التي حوت على ذرّات رمالها آدم عليه السلام بعد نزوله من الجنان، رأينا جسمه الضخم فقط وهو يسير صوب المسجد الحرام والكعبة داخل شبه الجزيرة العربية والتي بُنيت قواعدها مسبقًا على يد الملائكة ليقوم بإتمام البناء، ومن ثمّ اتّجه وعبر ومضات مُتتالية ناحية أقصى الأرض بعيدًا عن المسجد الحرام فوقف عند منطقة مُحددة وشرع في بناء مسجدٍ آخر كبير الحجم، مُقدس بكل تأكيد وصوت همسات العين تقول:
- آدم أول بشري بني المسجد الأقصى بعد أربعين سنة كاملة من بناء المسجد الحرام.

ذلك القول ذكره الرسول صلّى الله عليه وسلم سابقًا في حديثٍ صحيح، بعدما أتمّ البناء ورأينا بأم أعيننا المسجد الأقصى وهو صرّحٌ عظيم لُنغادر تلك الحقة وقد مررنا بسنينٍ مديدة إلى عهد نوح عليه السلام بعدما أخبرتنا العين بأنّ آدم مكث بعض الوقت جوار الأقصى، شاهدنا بعد ذلك طوفان نوح العظيم وتفاصيله التي نعلمها جيدًا من خبرة سابقة لنرى الأمواج العاتية وهي تبتعد عن منشأ السفينة وتنتقل لتصطدم بالمسجد الأقصى فتغرق قواعده أسفل المياه كما حدث مع الكعبة وهنا سمعنا العين تقول بصوتٍ صاحب:

- الآن ستعلمون أول سوءات اليهود وكذب ادعائهم.

رأينا الأرض بعد ذلك وهي سالحة للعيش ونوح الرسول أمامه أبناؤه الثلاثة، (سام، حام ويافت) وقفوا أمام أبيهم وقد أخبروه برغبتهم في الترحال واستكشاف بقاع الأرض ليكونوا هم أساس ذرية الأرض بأكملها.

يافت اتّجه إلى أوروبا الحالية وجاءت ذريته هناك، أمّا حام فاتّجه إلى أفريقيا وأخيرًا سام والذي تحرّكنا معه انطلق صوب المشرق وتحديدًا إلى "اليمن" وكانت من ذريته العرب والفرس والروم، بنى في اليمن مدن كبيرة وكانت أولهم صنعاء ونعم القوم في حكمه بالأمن والاستقرار بجانب الحضارة العظيمة، سام كان له ذرية العرب والتي انقسمت إلى فصائل مُتعددة ومنهم الأقوياء وضحام الحجم مثال، "العماليق" والذي يرجع نسبهم إلى عمليق بن لاوذ

بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، ما اندهشنا له هو رؤية هؤلاء العمالق يقيمون بيوتاً ويأمنون لجوار المكان المقدس ليصيروا بذلك أول قوم سكنوا بجوار المسجد الأقصى وأقاموا حضاراتهم!! أي بمصطلح آخر أشد قوة هو أن العرب هم أول من سكنوا داخل القدس ولاحقاً خرج منهم انقسامات ليعرف بعضهم باسم آخر يُدعى "الكنعانيون" ما إن رأيناها حتى سمعنا العين تُخبرنا بأن ذلك هو أول تضارب بين الحقيقة وبين زعم بني إسرائيل فهم فيما بعد حاولوا بثتّى الطرق نفي نسب الكنعانيون عن سام وتحويله إلى حام بن نوح تحت رواية عجيبة المنطق بأن نوح لعن ابنه حام وذريته لأنه رأى عورته!! وأن حام قد أسمى ابنه الأول كنعان نسبةً إلى أخيه الذي غرق في الطوفان وكنعان هذا هو من سكن بجوار المسجد الأقصى، أرادوا إبعاد الرواية عن سام لأن من نسله جاء العرب وأيضاً لإدخال فكرة الاضطهاد المُصاحب لهم منذ قديم الأزل لاستعطاف القاصي والداني وهم فاسدون.

سكن الكنعانيون بجوار المسجد الأقصى، وكان ذلك تقريباً عام 3000 قبل الميلاد أي قبل مجيء إبراهيم عليه السلام بأكثر من 1100 عام!! فبعد مجيئه ستحدث أموراً تقلب موازين التاريخ...

ارتحلنا إلى أرض نعلمها جيداً من سابق الومضات، أرض بابل لتاريخ يمتد إلى أكثر من قرنين من الزمان قبل الميلاد، ظهر شاب ذكي ذو عقيدة موحدة بالله يُقال له (إبراهيم) وكانت تلك الحقبة هي فترة حُكم الملك الأقوى النمرود، وكان يحكم العالم من داخل مدينته العظيمة بابل وكما شهدنا سابقاً حدثت المحرقة التي أراد النمرود منها تعذيب وقتل إبراهيم الذي غلبه في الحُجة، ولكن حدثت معجزة الله وكانت برداً وسلاماً عليه ومن بعدها رحل عن العراق، هنا تعقبناه عكس ما حدث فالسابق لنشهد أولى رحلاته والتي كانت أولاً صوب مصر ليُغادرها مُتجهاً إلى أرض بيت المقدس وفي خلال ذلك تزوج بامراتين أولهما سارة من أرض بابل والثانية هاجر من مصر، وتلكما الزيجتان أساس ما سيحدث بعد ذلك، هاجر حملت أولاً وأنجبت إسماعيل عليه السلام وبعد وقتٍ قصير أمرَ الله رسوله إبراهيم بالتوجه معهما نحو شبه الجزيرة العربية وأن يتركهما في مكان عبارة عن صحراء قاحلة، عندما ارتحلوا إلى هناك لم تكن قواعد الكعبة بارزة حتى على سطح الأرض بفعل طوفان نوح والعجيب في الأمر كان الرسول يُخاطب الله عز وجل عن ذلك المكان ويقول عنه المسجد الحرام، يعلم بأن تحت تلك الرمال القاحلة قواعد المسجد المقدس، تركهما هناك تحت معية الله وهذا هو اليقين وحدث لهاجر تحدي الماء وصريخ رضيعها إسماعيل الذي أصابه العطش والجوع، بسبب الثبات واليقين في الله كان لها ثلاثة أشياء، الأول هو عين زمزم التي تفجرت من الأرض والثاني هو طقوس العمرة والحج والسعي بين الصفا والمروى كما فعلت هي بغية جلب الماء

لرضيعها وأخيرًا قبيلة عربية مرّت بهما وعندما رأوا عيون الماء استقروا بتلك المنطقة لتكون بعد ذلك مملكة كبيرة.

سمعت أصواتًا قادمة من العين تُهَيئُ المسعى التالي لننتقل أنيًّا صوب موضوعنا الرئيسي حيث سارة زوجة إبراهيم عليه السلام الأولى، كانت هي الأخرى تشهد معجزة لإنجابها طفلًا بعدما بلغت من العمر تسعين عامًا ولم تضع رضيعًا خلال تلك المدة، جاء الابن الثاني للرسول وسماه "إسحق" وسكن بجوار أرض بيت المقدس فيكونا "إسحق" و"إسماعيل" قد استقرا بجانب المسجدين الأقصى والحرام فيبدأ كلُّ منهما رحلته عبر الزمان، من نسل إسماعيل جاء وبعد وقتٍ مديد الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمّا إسحق فقد كان من نسله أغلب الأنبياء والرسل وبدأت قصته وهو شاب، تزوج وأنجب طفلين أحدهما كان يعقوب عليه السلام والذي سيُعرف فيما بعد باسم "إسرائيل".

انقطع المشهد على صوت العين تُخبرنا بملحوظة هامة، عندما هاجر إبراهيم إلى بيت المقدس جاور ساكنيها الأصليين الكنعانيين من سلالة سام بن نوح، وفي هذا الوقت كانوا مُوحدين بالله على عقيدة إبراهيم، أي إن إبراهيم وذريته من بعده إسحق ويعقوب لم يكونوا أهل الأرض وإنما ارتحلوا إليها ليسكنوا بجوار سُكانها الأصليين ومعلومة أخرى هامة جدًا كان الكنعانيون شعبًا آخر انشقَّ عنهم وسكن معهم وأطلق عليهم "الفلسطينيون".

عُذنا مُجددًا لنرى الزمن وقد تسارع فصار يعقوب شابًا ليُقرر الرحيل إلى العراق حيث موطن جده إبراهيم وأرض المعجزات، وهناك قضى دهرًا من الزمن ليتزوج اثنتين هما (ليا وراحيل) وكانتا أختين!

اندهش البشري لرؤية ذلك فأخبرته العين، في ذلك الوقت من الزمن لم يُحرم الله زواج الأختين وقيل أيضًا بأنهما عرضتا عليه خادمتين ليتزوجهما.

تتابعت الومضات لنرى يعقوب وقد أنجب اثني عشر ولدًا وهم بداية الحقبة الحقيقية لما سيحدث بعد ذلك، عشرة منهم من ليا واثنيان من راحيل وهذان الاثنان كان من بينهما (يوسف) عليه السلام وأخوه الأصغر.

ترك يعقوب العراق ورجع مرةً أخرى إلى جوار بيت المقدس حيث كان الكنعانيون العرب هُناك وسُمي النبي على رمال تلك الأرض بكُنية هي "إسرائيل" ومعنى الاسم عبد الله، إسرا تعني عبد وئيل تعني الله، وتم تسمية ذريته الاثني عشر باسم مهم جدًا وهو "الأسباط" وكانوا هؤلاء هم بني إسرائيل ومن ذريتهم سيخرج الأنبياء والملوك كافة.

أخبرتنا العين أيضاً ثاني الفساد لبني إسرائيل فقد جلبوا تحريقاً آخر عن كُنْية جدّهم الأكبر فقالوا بأن معنى "إسرائيل" هو صراع مع الله وابتدعوا قصة أخرى أكثر فجوراً وضلالاً عن قصة كنعان بن حام، مفادها تنزّل الله من عرشه فوق سبع سماوات إلى الأرض في صورة ملاك ليحدث صراع بينه وبين يعقوب حتّى طلوع الفجر فانتصر الأخير وقام بحبسه ولم يُطلقه إلاّ عندما باركه وقال له "إسرائيل" أي مُصارع الرب! أستغفر الله من ذلك...

شهدتُ البشري وقد انتفخ العرق على جبينه فصار وجهه مُدمى مُخيف، أخذ يلعن القوم وجبروت قصصهم، الضلال الذي يعيشون فيه ويُروجونه عبر غياهب الدهر فلا عجب ممّا يحدث اليوم، لا عجب.

رجعنا عبر ومضةٍ خفية لنرى إخوة يوسف عليه السلام العشرة أو بمعنى أدق، "الأسباط العشرة" وهم مُجتمعون للتخلص منه وهو صغير وقد اتفقوا على رميه في البئر لتفضيل أبيه له عنهم، فُبيل فعلتهم تلك بصرنا الخوف المُطلق، العين ضخمة الحجم والتي صاحبتنا عبر الرحلة بأكملها وبدا حجمها في أوج اتّساعه، تشكّلت جوار كبير الإخوة وهمست له فرأيناه يخرج بذلك الحل، صرخات يوسف وهو مُرتمٍ داخل البئر وافترائهم على الذئب بأكله ثمّ حزن يعقوب الدامي.. تلوّنت حينها العين الضخمة باللون الأخضر واختفت في الحال.

ومضةٌ أخرى رأينا عبرها يوسف عليه السلام وقد صار عزيز مصر مؤتمن على خزائن الأرض، حدث ذلك بعدما التقطه بعض المارة قدراً من الله وهم يبيغون شرب المياه ليبيعه على أرض مصر المُرتحلين إليها ثمّ يسكن في بيت عزيز مصر، أرادته زوجته لها لجماله الأخاذ لكنه رفض خشية الله ليتم سجنه افتراءً وتتكشف الحقيقة بعد سنوات ويُرد إليه الحق كاملاً فيصير في ذلك الموقع الهام من البلاد ويسجد له أبويه وإخوته وتتحقق رؤياه السابقة ويصير نبياً مُكرماً، بسبب مكانة يوسف العظيمة داخل مصر هاجر يعقوب وذريته أجمعين إليها تاركين أرض بيت المقدس والمنطقة بأكملها لأهلها من العرب الذين نعموا جوارهم بالأمن وبدأ لهم عصرٌ جديدٌ داخل بقعة نهر النيل تحت رعاية يوسف العزيز...

بعد وفاة يوسف عليه السلام بسنينٍ مديدة ومع ضعف الأسرات الحاكمة لمصر القديمة سيطر الهكسوس على حكم مصر وقد كانوا جماعة قبعوا على شريط النيل فازداد عددهم وانتهزوا اللحظة المناسبة للظفر بالحكم وخرج منهم الاسم الأهم، "فرعون" بالطبع وعند توليه للحكم اضطهد ذرية بني إسرائيل كافة حتّى أنّه جعلهم يشتغلون بكافة الأعمال الشاقة بعدما نعموا بالرخاء فالسابق، كان للأقباط المكانة العُليا وفي تلك الحقبة لاقت ذرية الأسباط الهوان وقلة الحيلة حتّى جاء رسولٌ آخر وصاحب الرسالة.. موسى عليه السلام كلّم الله.

أخبره الله بأن يذهب لمواجهة فرعون بالرسالة والتوحيد وفي يوم الزينة العيد الأكبر لأهل مصر، حدثت مواجهة بينه وبين سحرة الحاكم الكافر، رمى موسى عصاه فتحولت إلى ثعبان مُميين وأكلت ثعابين السحرة ليخروا ساجدين لله ومن بعد ذلك اليوم، بطش فرعون بقوم موسى، بني إسرائيل ليُقرر الهروب بهم إلى صحراء سيناء وعندها حدثت قصة البحر الشهيرة والمعجزة الكبرى والتي انشقَّ فيها البحر إلى نصفين ثم أُطبق على فرعون وجنوده وبعد رؤية بني إسرائيل تلك المعجزة أضلهم السامري بعبادة عجلٍ من ذهب.

- فيا لهم من قوم وما أشفاك يا سيدنا موسى في الكفاح معهم.

خرجت تلك الكلمات من البشري بصوتٍ خافت.

هنا باغتتنا ومضة جديدة وفيها أمر الله موسى بالتوجه هو وقومه نحو أرض بيت المقدس، الأرض التي هجروها سابقًا في زمن أبيهم يعقوب وأبنائه وبالفعل توجهوا إليها، ولكن صُعِقَ بني إسرائيل بمعرفة أن هنالك قومًا جبَّارين أقوياء يسكنون الأرض ويتوجب عليهم مُحاربتهم للدخول فما كان منهم غير خُذلان موسى والتولي عنه مُتَحججين بأنهم قوم جبَّارون لا قِبَل لهم بهم وإن أراد القتال فليذهب هو وربّه ليُقاتلا!!، وبالطبع كان القوم بالداخل هم العماليق الذين تحدثنا عنهم سابقًا ولكن أصابهم الضلال في ذلك الوقت ونتيجة لتعاقس قوم موسى حكم الله عليهم بالتيه في صحراء سيناء أربعين سنة كاملة، كُلُّما ارتحلوا رجعوا إلى نفس النقطة وظلَّت أرض المسجد الأقصى مُحَرَّمة عليهم طيلة ذلك الوقت وخلالها أيضًا توفى هارون وموسى وظهر نبيٌّ آخر جديد في القوم لتكتمل على يديه المسيرة...

كان اسمه (يوشع) وهو كاتب موسى عليه السلام، والفتى الذي ارتحل معه وتعلَّم منه الكثير فكان بصحبته في رحلة الخضر الشهيرة والاختبارات الثلاثة، على يد يوشع توحدَّ القوم مرةً أخرى بعدما مات كُبرائهم وخرج مجموعة من الشباب تحمَّست قلوبهم للمُحاربة والنصر.

قبل هجومهم مع يوشع كان معهم شيء هام من الأثر يُدعى، "تابوت العهد" وهذا التابوت مُكون من الذهب والمعدن النفيس، ذو مظهر مُميز وطبيعة ساحرة فمن الأعلى مُكون من ثلاثة صناديق مُتداخلة مع بعضها البعض وبداخله توجد عصا موسى، الألواح أو بالأحرى بقايا الألواح التي دَوَّن فيها الرسول علم الله الذي أوحى له به، بقايا أخرى من موسى وأخيه هارون وتلك البقايا بالتأكيد مُباركة فهي من الأنبياء بجانب بعض الحلي ووضع بني إسرائيل التابوت في جميع حروبهم ليتباركوا به وليحققوا النصر.

حاصر يوشع ومن معه أرض بيت المقدس حصارًا شديدًا والعماليق في الداخل تستبسل في الدفاع إلى أن استطاع جيش بني إسرائيل إحداث فجوة والانسلال منها صوب الأرض

المباركة فاحتدمت المعركة ورأينا عددًا من الجثث لا يُحصى يتساقط من الجانبين، العقبة الأكبر لم تكن فقط الجيش المائل أمامهم بل اليوم الذي يُحاربون فيه فقد حدثت الثغرة ودخلوا في عصر يوم الجمعة وبني إسرائيل مُحَرَّمٌ عليهم القتال يوم السبت!!

رأى يوشع أنّ المعركة لن تنتهي سريعًا لبأس العماليق وهنا حدثت معجزة خاصة للغاية، نظر يوشع إلى الشمس وأخبرها بأنّها عبد من عباد الله ومأمورة بأمره كما حاله وهو يُقاتل في سبيل الله فدعا الله ألاّ تغرب وقد استجاب ربه الدعاء فأمسك الشمس فلم تغرب طيلة ذلك اليوم لتكون هذه الحالة الأولى والأخيرة التي توقفت فيها الشمس عن التحرك والأرض أيضًا طوعًا لأمر الله وامتنانًا لدعاء النبي، وبالفعل امتدّت المعركة طويلًا إلى أن كتب الله النصر لنبيه يوشع وقومه بني إسرائيل وهنا أمرهم الله أن يدخلوا الأرض المقدسة مُطأطئين الرأس وأن يقولوا حِطَّةً كناية عن الحط أو تكفيرًا لذنوبهم وما حدث بعد ذلك كان مؤسفًا...

كما آباؤهم السابقين بعدما رأوا مُعجزة انشقاق البحر مع موسى وأرادوا عجبًا ليعبدوه، استهزأ الأبناء بتلك الأوامر فدخلوا الأرض مُستهزئين مُصدرين مؤخراتهم وأخذوا يقولون حنطة بدلًا من حِطَّة!!

استثار البشري وغضب غضبًا شديدًا لأفعالهم النكراء التي يشهد عليها مع كل ومضة وكيف اختصّ الله هؤلاء القوم بالرسول والمعجزات وهم غافلون إلاّ من رحم ربي منهم.

دخل بنو إسرائيل أرض بيت المقدس وسكنوا جوار الكنعانيين أهل البلد الأصليين والفلسطينيون سنواتٍ طوالٍ...

تتابعت الومضات وصوّرت لنا حال القوم وكيف أفسدوا في الأرض كعادتهم ولم يحفظوا عهدهم مع الله فأخرج الله لهم من أنفسهم أنبياء كُثر لم يذكر القرآن كثيرًا منهم ولكن ما كان غير الاستهزاء بهم أو قتل الأنبياء وجرّاء ذلك سلّط الله عليهم الأمراض والعذاب، ظلّت تلك الدائرة المغلقة قائمة حتّى عاقبهم الله بفُقدان تابوت العهد المُبارك والذي حمل إرث أنبياء آخرين في ذلك الوقت وقد فقدوه في إحدى المعارك الضارية فقد كانت أرض بيت المقدس محل أطماع من القاصي والداني، لم يعثروا عليه فما كان لهم غير الهزيمة والانكسار حتى ظهر حاكمٌ جبّار كافر بالله يُدعى (جالوت).

قام هذا الرجل باضطهاد بني إسرائيل كما فعل فرعون سابقًا بصورةٍ تحمل الذل والهوان، قتل منهم الكثير وذاقوا على يديه الويلات، هنا تذكروا الله وأخذوا يدعوه عشيةً وإبكارًا بأن يُنجيهم خصيصًا بعدما قام جالوت بقطع أرحامهم وسبط الأنبياء الخاص بهم فلم يُبق من ذلك السبط ذكرًا واحدًا إلاّ فقط زوجة رجلٍ منهم كانت قد حملت قبل مقتله ولذلك وضعوها في بيتٍ آمن

خشية أن يُصيبها مكروه وجميعهم تمنوا أن يكون الطفل في بطنها ذكراً فيكون نبياً لهم وكان ذلك هو الأمل الأخير.

توقفنا جرّاء صوت العين الذي أتى لإخبار الغريب عن فكرة الأسباط تلك، ذكرت سابقاً بأن أبناء يعقوب عليه السلام كانوا اثني عشر وتمّت تسميتهم بالأسباط، ومع مرور الزمان كان من سبطين فقط النسب الشريف فأحدهم كان سبطه يخرج منه الأنبياء وهو سبط “لاوي” والذي خرج منه موسى على سبيل المثال ثمّ السبط الآخر الذي يخرج منه الملوك وهو سبط “يهوذا” ولاوي ويهوذا أبناء يعقوب بكل تأكيد ففي الحقبة الواحدة تواجد ملك قوي ونبى مُرسَل من الله بل ورُبّما في نفس الوقت عدد غفير من الأنبياء معاً.

جلس البشري القرفصاء وهو يُحاول تجميع الخيوط كافة وربطها لتعطيهِ الصورة الأكبر، وبعد وقتٍ قصير المدى نهض مُسرّعاً لاستقبال الأحداث القادمة قبل أن تخور قواه، السيدة التي حماها القوم وأملوا في أن تُنجب طفلاً ذكراً وكان لهم ما أرادوا فكان الطفل ذكراً بحق وكبّرَ فصار نبياً وكان اسمه..

(شاموئيل) وما يهمهم هو أنّهم ظلُّوا يدعون الله وقتما اشتدَّ عليهم بأس جالوت حتّى جاء القوم إليه وأخبروه بأنهم يُريدون القتال في سبيل الله!!! فنعم بني إسرائيل بكل تأكيد منهم الصالحون فما كان من النبي غير الاستماع لأمر الله وبعدها أخبروه بأنهم يُريدون ملكاً منهم يوحدهم ويقود تلك الحرب ضد جالوت فاختر الله لهم رجلاً قويا البنية، شديد البأس، حميد الأخلاق وامتلك من العلم ما ليس لغيره وكان يُدعى (طالوت) ولكن وكعادة بني إسرائيل جادلوا ورفضوه قائلين بأنه ليس من سبط الأنبياء أو سبط الملوك وبعد جدال معتاد مع النبي أخبروه بأنهم يُريدون آية ليتيقنوا بأنه اختار الله لهم فكانت المعجزة بإخبارهم أن طالوت سيأتي إليهم بتابوت العهد المبارك الذي فقدوه سابقاً، وسيكون محمولاً على أكتاف الملائكة!!! ويكون ذلك آية ملكه.

ورأينا معجزة لا يُصدقها عقل، التابوت محمول في السماء وهم ينظرون صوبه دون أن يري أحد حامله ليصبح أمامهم مباشرةً، وبذلك تحقق الشرط فما كان لهم غير التصديق والبيان له بالملك، تابوت العهد الخاص قد رجع وليس ذلك فقط بل وجلبته إليهم الملائكة.

تحرك جيش “طالوت” للمواجهة وكان معه ثمانون ألف رجلٍ حتى وصل إلى نهر الأردن وهنا أخبره الله بأن يأمرهم بعدم الشرب من النهر رغم عطشهم، وكان ذلك الأمر الإلهي اختباراً لهم ولمعرفة مدى صدقهم، فقال لهم طالوت ذلك وأخبرهم بأنه من اغترف فقط شربة ماء من النهر بكف يده فسيعبر معه للمواجهة أمّا من شرب فليعود أدراجه، 76000 رجل من

هؤلاء القوم لم يأبه بذلك وشربوا من النهر فكانوا من الخاسرين في ذلك الاختبار ليُكْمِلَ
طالوت ومعه 4000 رجلاً فقط!!

بمجرد وصول طالوت وجيشه إلى أرض المعركة رأوا جحافل ضخمة وأعدادًا كبيرة من
جيش "جالوت" عدو الله فاقهم بجيشه عددًا عشرات المرّات فما كان من جيش طالوت سوى
التعاس وتبديل قولهم في القتال في سبيل الله إلى الفرار هربًا ليطركوا فقط أربعمئة رجلًا
مُخلصًا لله وللعقيدة مع طالوت ليقف هذا العدد البسيط أمام جحافل الكُفّار والفاستدين، سمعنا
حينها صوت البشري وقد تذكّر آية تصف هذا المشهد من القرآن الكريم.

(قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ
[البقرة: ٢٤٩])

هنا أظهر جالوت نفسه وكان ملكًا قويًا ضخم الجثة مشهورًا ببأسه ورباطة جأشه، خرج
مستهزئًا وهو يجهر بالصوت: "أخرجوا من عندكم رجلاً يُبارزني قبل بدء المعركة"، وقد
كانت تلك من عادات الحروب القديمة وهي أن يتقاتل اثنان قبل مُضي الجيوش والنصر هنا
يكون معنويًا بالطبع.

بعد كلمات جالوت، نظر طالوت إلى جيشه المُكون من أربعمئة فرد وقال لهم: "من سيخرج
إلى مُبارزته فلم يرد أحد، ليُكرر الأمر مُجددًا ويُخبرهم بأن من يخرج وينتصر عليه سأزوجه
ابنتي ويتقاسم معي المُلك"، فخرج من القوم شاب متوسط الطول وبُنيانه ليس بالقوي، وقال أنا
سأبارزه وبالطبع اندهش الجميع، هذا الشاب هو (داوود) عليه السلام!!!

- نبي الله داوود!!!

خرجت تلك الكلمات من البشري مُتعبجًا.

استمرت العين فيما تصنع جوار همسات مفادها:

- حينها كان شابًا في جيش طالوت عُمره فقط ثلاثة عشر عامًا وكان ماهرًا في صناعة أدوات
أساسها الحديد وأيضًا صناعة المقاليع وهي أدوات تُستخدم في رمي الحجارة.

دخل الشاب في مواجهة مع جالوت دون أن يهابه مستعينًا بالله وقبل أن يهجم الأخير عليه
استطاع أن يقذف حجارتَه عبر مقلاعه نحو منتصف جبهته فخرَّ صريعًا... حدث جُل فكيف
يسقط ذلك الطاغية بجسمه المتين جرّاء ضربةٍ واحدة من حجارة داوود! سبحان الله وهنا هلّل
مؤمنون القوم قائلين، الله أكبر وانقضَّ ذلك العدد الضئيل صوب جيش جالوت وانتصروا عليه
بفضلٍ من الله وبالطبع أمدهم الله بالعون وجُنْدٍ من الملائكة كما حدث مع رسولنا الكريم

والصحابية في غزوة بدر، اليقين بالله الذي يجعلك ترى عدو الله هباءً منثورًا وعدده كغُثاء السيل لا طائل منه.

من بعد تلك الواقعة اشتهر داوود بين طوائف وذرية أسباط بني إسرائيل كافة فأحبوه لما كان من شجاعته وبطشه بجالوت ليخلصهم من العذاب المُهين، ولم يكن أحد يعلم حينها بأنهم قادمون نحو أزهى عصورهم على الإطلاق فقد صار داوود عليه السلام نبياً وملكاً عليهم في نفس الوقت بعدما تزوج ابنة طالوت وكانت له معجزة الحديد فألانه الله له ورزق الحكمة والفصل بين المُتنازعين ليشرع بعدها في إعادة إعمار المسجد الأقصى وتوسعة رقعته بعدما أصابه الدمار جرّاء الحروب المتعاقبة والفيضان العظيم من قبل، ثم جاءت الحقبة الأهم وهي فترة حُكم سُليمان عليه السلام والذي كان بن داوود ففي فترته نعم بني إسرائيل بالقوى المطلقة بعدما سخر الله لسُليمان عليه السلام الريح، والجان الذين بنوا له حضارة عظيمة ومحاريب للعبادة وهو يُكمل ما بدأه والده من إعمار للأقصى، وكان من بين تلك المحاريب العنوان الأهم ألا وهو: "هيكل سُليمان" وهذا الهيكل هو بيت عبادة لله كبير الحجم قيل بأنها تحوي ما يُسمى "قدس الأقداس" وهي الكنوز الثمينة والأشياء المُباركة ومن بينها تابوت العهد بالطبع وبقية آثار الأنبياء كافة الذين خرجوا في قوم بني إسرائيل من قبل وقد أطلق عليه بيت يهوه ومعناه "بيت الله" ولكن تعارف هذا البيت عند بني إسرائيل بإسم "بيت همقداش" ومعناه البيت المُقدس وهذا موجود في سفر التكوين وتُرجم بعدها إلى ما يُدعى بالـ "هيكل" الآن وكان هذا الهيكل واحداً من محاريب كثيرة بناها الجان لسُليمان عليه السلام، ولكن تقديس هذا البيت عند اليهود خاصة فهو لاحتوائه في تلك الحقبة على جميع آثار الأنبياء والألواح.

- لذلك سلفهم اليوم يبحث عن الهيكل المزعوم ظناً منهم أنه ما زال موجوداً أسفل الأقصى ليتباركوا به مُجدداً ويذهبوا في رحلة احتلال العالم أجمع تحت طائلة نحن قوم الله وأهل الخير! كانت تلك كلمات البشري الحانقة، لتُكمل العين ما نراه.

حكم سُليمان الأرض بأكملها وازدهرت في حقبة قوة بني إسرائيل فصاروا عليه القوم، ولكن وبعد وفاته انقسمت مملكته وتفرقت عبر أولاده وبعد دهرٍ من الزمن رجع بني إسرائيل إلى ماضيهم وضلالهم الأبدي فابتعدوا عن عبادة الله عزَّ وجلَّ وكانت تلك مُقدمة النهاية..

ليأتي صوت العين وهي تُخبرنا، بأن في كُتب بني إسرائيل الصحيحة تم ذكر كينونة آخر نبي وكونه من العرب، وبالطبع كان هذا الأمر حدثاً جلاً عندهم فهم على اعتقاد شعب الله المختارين، ولكن، وقبل التطرق إلى تلك النقطة هنالك أمر في غاية الخطورة وهو أنه تم ذكر

في كتب الأثر الخاصة بهم بأنه سيأتي إليهم رجلٌ يُطلقون عليه “المُخْلِصُ” وهو من سيجعلهم يحكمون الأرض بأكملها مُجددًا.

بعد صمتٍ مديدٍ عادت القصة مُجددًا والتي بدأت بعد وفاة سُليمان ضلَّ القوم طريقهم وكان عقاب الله قاسيًا تلك المرة فقد تعرَّض بنو إسرائيل لأكبر خطر واجهوه على مر التاريخ وهو جنود بابل في العراق...

في ذلك الوقت ظهر حاكمٌ قوي شديد البطش يُدعى (بختنص) أو (نبوخذ نصر) واستطاع ذلك الملك حُكم العالم أجمع وانتصر على مملكة آشور ومن عاونها من جنود مصر القديمة وأثناء تلك الحروب كان طموحه الوصول إلى الأرض المقدسة “أرض بيت المقدس” وبالفعل توجه إليها وشنَّ حربًا طاغية على بني إسرائيل الذين عارضوه فقتل بعضهم وأسّر منهم الكثير وعددٌ قليلٌ فقط من نجا ومكث بجانب الكنعانيين في أرضهم، وعُرِفَت تلك الحقبة بمصطلح شهير يُدعى “السبي البابلي” وهو أخطر ما تعرضوا له ليس لأنه أذاهم فقط إنّما لأن بختنصر قام بتدمير جزء من الهيكل الذي بناه سُليمان تدميرًا مُدججًا بالغضب وهو أمرٌ جلل بالطبع بالإضافة أيضًا إلى اختفاء تابوت العهد وكان لذلك الأمر ثلاث أطروحات أحدها بأن بختنصر دمره أيضًا، الأخرى تقول بأنه ضاع أثناء الحرب والأخيرة تقول بأن هنالك كاهنًا تنبأ بتلك الأحداث فأخذ التابوت وأخفاه صوب بلاد الغرب.

في بابل لاقوا الأسر والقهر طوال فترة حُكم بختنصر حتّى جاء لهم الفرج بظهور ملك جديد وهو “كورش الكبير” من بلاد فارس حرَّرهم من الأسر والعبودية وأعطاهم صلاحية المكوث في بابل أو العودة مرةً أخرى إلى أرض بيت المقدس بعدما فارقوها سنواتٍ طوال.

رجع بعضهم والمتشددون منهم إلى أرض كنعان بالفعل وكان ذلك عام 521 قبل الميلاد وأعادوا بناء الهيكل أو ما تبقى منه ولكن وبسبب فسقهم وتوالي عصيانهم لله عبر قتل الأنبياء والحيد عن الطريق الصحيح ابتلاهم الله مُجددًا بفترة الحكم الروماني التي اجتاحت الشرق الأوسط في تلك الحقبة وقد صاروا أكثر عنفًا من بابل حيث شرعوا في قتل الكثير منهم ودمرَ الإمبراطور الروماني ما أعادوا ترميمه من الهيكل تدميرًا شاملاً ليقضي على فكرة المعتقدات وبذلك ساد الرومان حكم بيت المقدس في ذلك الوقت لتنتهي حقبة الأضرحة ويُحجم منهم الكثير.. وفي خضم تلك المعارك هرب أحد الكهنة بتابوت العهد صوب أوروبا ولم يُرَ بعد ذلك مرةً أخرى!!

أسس الرومان مملكة خاصة بهم حصينة الأركان ولاقى بنو إسرائيل الويلات جوارهم وحسب العهد القديم يُسطر بأنه وفي ذلك الوقت كان هنالك مجموعة من الأنبياء تُدعى “الأنبياء

الصِغار “ و عددهم اثنا عشر وأقبوا بذلك لأنَّ دعوتهم لم تمكث طويلاً، وأيضاً إلى القديس “ أوغسطينوس ” والذي ميّز بين الكتب النبوية الاثني عشر القصيرة باعتبارها نبوات صغيرة من الكتب الأربعة الأطول والأساس للأنبياء “إشعيا، إرميا، حزقيال ودانيال”

بعض أسامي هؤلاء الأنبياء الاثني عشر كان: “هوشع، يونس، يونا، ميخا وزكريا “ وكان لكل واحدٍ منهم سفر خاص به تمَّ تجميعها في مخطوطات متتالية داخل كتاب اسمه “ أسفار الأنبياء الصِغار “ في الحقبة ما بين القرن الثامن والرابع قبل الميلاد، وداخلها تم التنبؤ بممالك وأحداث حقبة قديمة وأيضاً بالمستقبل ومجيء المُخلص والذي سيكون نبي مميّزًا للغاية ...

هنا انتفض الشاب بعدما استنبت ماهية ذلك المُخلص وقبل أن ينطق ببنت شفة لم ثمهله العين لتشرع في إكمال التاريخ الحقيقي، خلال تلك الفترة ظهر رجل يُدعى “عمران” وكان عبدًا صالحًا هو وزوجته حيث عاشا على طاعة الله والاستزادة من العبادات، إلى أن حملت زوجته فما كان منها سوى أنّها نذرت جنينها لله، وأن يكون في خدمة أرض بيت المقدس وعند مولدها عرفت أنّها فتاة، حزنت لذلك كثيرًا ليس اعتراضًا لأمر الله بل لأنَّ قانون بني إسرائيل حينها لم يكن يسمح للفتيات بأن يقعن داخل بيت المقدس، وأن يكنَّ في خدمته ولم تكن تعلم هذه الزوجة بأنَّ ابنتها سيكون لها شأنٌ عظيم، وهذه الابنة كان اسمها “مريم”.

مرّت السنون وصارت مريم شابة يافعة وبسبب حسن سلوكها وعبادتها المتواصلة لله عزَّ وجل بجانب طبيعتها المحتشمة للغاية، سمحوا لها بأن تخدم بيت المقدس وتعتكف داخله فصار قدرها عظيمًا، أخذت تتعبد داخل محراب لا تخرج منه سواء عندما تحيض أو لقضاء حاجةٍ ما، وهنا خرج صوت العين صاحبًا وهو يحث الشاب على التدقيق فيما سيتلو، أردفت قائلة:

- مريم الشابة كان لها أخت وهي زوجة نبي الله زكريا، أحد الأنبياء الإثني عشر الذين تحدثنا عنهم، وفي ذلك الوقت حملت زوجة زكريا وكانت معجزة لكون زوجها قد هَرَمَ في العُمر وهي عاقرةٌ ولكنَّها إرادة الله، أثناء حملها صار زكريا عليه السلام يهتم لشؤون أختها مريم ويرعاها والعجيب أنّه كُلَّمَا دخل عليها المحراب وجد عندها شتَّى أنواع الطعام غير مُصدق كيف أتى ذلك إليها فترد عليه بأنّه من عند الله، فيصمت النبي المؤمن ثم يرحل...

أثناء اعتكاف مريم داخل المحراب نادتها الملائكة أن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين... بالطبع لم تسع الدنيا بأكملها مريم الطاهرة فهذا شرفٌ عظيم حتَّى أتى اليوم الموعود وأحد أعظم أيام البشرية..

كما هي عادة مريم الخروج من محرابها فقط للاغتسال أو لحاجةٍ ما وفي هذا اليوم خرجت لتستقي بالماء مُرتدية حجابها الذي يسترها عن أعين الناس وهي تنزاح عنهم تأبى الاختلاط

بهم وقوم بني إسرائيل كانوا يعلمون ذلك جيدًا فكان لمريم مهابة وشأنٌ عظيم بينهم. ذهبت إلى مكانٍ منعزل في الصحراء واستسقت منه لکنها فوجئت وأثناء انتهائها ممًا تفعل بوجود رجل يقف أمامها وهما وحيدان بتلك البقعة فارتعدت وقالت له، أنها تستعيز بالرحمن منه إن كان تقيًا. فأخبرها الرجل ألا تقلق وأنه ملكٌ مُنزل من الله سبحانه وتعالى واسمه جبريل، قد تشكّل في صورة بشر حتى لا تفزع منه فاندَهشت وسألته عن سبب هذه الزيارة..

لاحظتُ جحوظ أعين البشري لما يحدث أمامه والمنزلة العظيمة التي حظيت بها مريم العذراء لدرجة أن جبريل تنزّل إليها بأمرٍ مُباشر من الله، ارتعدت فرأته وهو يُشاهد جبريل عليه السلام وقد بشرها بمجيء غلام ستكون هي أمه، ولكنها اندَهشت وحنقت فكيف سيصير ذلك وهي لم تتزوج! وهذه مسألة شرف وأمر عظيم، لكنه أخبرها بأن مولودها سيكون آية ورحمة من الله للناس ليقوم بعد ذلك بالنفخ تجاهها فتأتيها ريحٌ لتخترقها من الأعلى وتهبط إلى أسفل جسمها ويُغادر جبريل عليه السلام بعد ذلك..

رجعت مريم إلى محرابها ولا تفهم كيف سيتم ذلك الأمر، ولكن ما إن مرّت الأيام حتى صُعقت لمعرفة كونها حاملًا في مولود دون أن يمسه بشر! ولم تعرف كيف ستواجه تلك الفاجعة.. صارت تُخفي ذلك الأمر ولكن أول من اكتشف حملها هو أختها لرؤية أصابتها في المنام وملاحظة بطنها فيما بعد وعرف زكريا كذلك، ولكن أول من عرف من قوم بني إسرائيل هو رجل يُدعى "يوسف النجار" وكان فطنًا وصالحًا أيضًا، وأوقفها في ذات يوم وسألها مُترددًا، أيكون شجر دون ماء أو زرع دون بذر، فكان ردها نعم فمن خلق الشجرة الأولى؟ وبعدها جاء سؤاله أيكون ولد دون ذكر فقالت نعم، قال كيف، فقالت كيف خلق الله آدم أبو البشر فلم يقدر يوسف على الرد لفصاحة مريم لتُخبره بعد ذلك بأنها حامل في غلام بشرًا الله به واسمه المسيح "عيسى" وسيكون له شأنٌ عظيم...

مرّت الشهور وولدت أخت مريم أولًا فكان مولودها هو يحيى عليه السلام وسيكون النبي الوحيد الذي يُرزق النبوة وهو شاب في صباه وبعدها بشهور جاء ميعاد ميلاد مريم التي هرعت خارج بقعة أرض بيت المقدس جوار نخلة بالية دون تمر وبجوارها شريط ماء، حتى لا يراها أحدٌ وجاءها المخاض إلى جذع النخلة... وبالطبع أخذت تبكي وتقول يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا.. لأنها تعلم وبكل تأكيد ما سيفعله بنو إسرائيل بها، وهنا نادى جبريل من تحتها أنها لا تحزن وأن تهز إليها بجذع النخلة فستسقط عليها ثمارًا، وبالرغم من كونها سيدة لا تملك عضلات الرجال بمجرد أن فعلت ذلك تساقطت الثمار عليها، والماء طبعًا من تحتها، وبعدها خرج للحياة مولودها عيسى عليه السلام... وفي ذلك اليوم تحدث أناس كثير عن كرامات مذهلة لا يعلمها سوى الله.

تدخّل الشاب هنا قائلاً:

- بالطبع ميلاد المسيح كان عظيمًا، ومميزًا بأحداث كثيرة ومثال ذلك حديث رسولنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما من بني آدم إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان غير مريم وابنها.. انتبهت العين حينها لمدى التميز الذي حظي به هذان الاثنان لتكْمِل ما بدأنا.

بعد فترة رجعت مريم إلى قومها وقد أتاها أمر الله أن تكون صائمة عند عودتها ورؤيتها للقوم، لا تتكلم وتشاور لهم بأيديها فقط، وبالطبع كانت خائفة للغاية فقومها استباحوا دماء الأنبياء فماذا سيفعلون معها!؟

تجمّع عددٌ كبير من بني إسرائيل حول مريم بعضهم الصالحون وكثيرٌ منهم أسوأ الخلق الذين قاموا بإطلاق العنان بالسباب ورميها بالحجارة وهي صامتة تمامًا، تبادوا للطعن في شرفها والصالحون غير قادرين على الرد، وحينما أتت إليهم تحمل الطفل أخبرها القوم بأنّها آتت بسوءة عظيمة وقد ذكروها بأنّها من بيتٍ صالح فكيف تفعل ذلك، وهنا أشارت للطفل فامتلكهم الحنق ظنًا منهم أنّها تستهزئ بهم، وبالطبع اندهشوا فكيف يُكلمون رضيعًا في المهد لتحدث المعجزة ويتحدث الرضيع عيسى مثل الرضيع بن ماشطة فرعون سابقًا، ويقول لهم "إني عبد الله"، هنا تذكّر الشاب الآية الشهيرة في سورة مريم وأخذ يُردد بصوتٍ مسموع إياها قائلاً:

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) [مريم: ٣٠: ٣١]

أجواء من الروحانيات سيطرت على الأجواء ومعها رأينا الصمت والدهشة التي أصابت بني إسرائيل عندما سمعوا كلمات الرضيع ولم ينطقوا ببنت شفة وانفضوا من حولها غير مصدقين ما حدث لتقوم مريم برعاية طفلها داخل بيت المقدس ويحيى معه يكبر ويصير شابًا.. هنا تحدّث الشاب قائلاً:

- قبل الخوض في حياته سمعت أنّ سبب كُنيتي، "المسيح" مُتباين؛ فاسم المسيح ذُكِرَ إحدى عشرة مرة في القرآن، ولذلك بعض الأطروحات مثل المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام لصدقه فقد كان عيسى أشبه الناس بيوسف الصديق لتسامحه وبعفه ورحمته وصدقه مع الله والناس والنفس، نظرية أخرى تحدثت عن أنّه سُمي بذلك لأنه كان يمسح بيده على العليل والأكمه والأبرص فيبرئه بإذن الله، وهنالك سببٌ آخر وهو سُمي بذلك لحسن وجهه، إذ «المسيح» في اللغة جميل الوجه يقال على وجهه مسحة من جمال وحسن، وكان هنالك سبب رابع وهو أنّه يمسح الأرض أي يقطعها، ويصدق هذا القول إن عيسى بن مريم

يعد أكثر الأنبياء سياحة في الأرض، وهو أصغر وأشهر سائح جاء إلى مصر، وقد قطع المسافة وهو طفل صغير من بيت لحم حتى القوصية في جنوب مصر فكان تارة بالشام وأخرى بمصر، ومرة على سواحل البحر وساح في البراري والقفار والزراعات.

أمّا عن صفاته فهو وبعد تجميع أحاديث رسولنا الكريم عنه نخرج باستنتاجات هامة مثل أنّه كان رجل قوي البنية، شعره مجعد طويل يندسل على كتفيه، بشرته مُشربة بالحُمرة وطوله متوسط عريض الصدر.. وأشبه الناس به هو الصحابي “عروة بن مسعود الثقفي” في زمن الرسول محمد صَلَّى الله عليه وسلم..

تعجّبت العين من فصاحة الغريب وكم معرفته ولكثّها لاحظت أيضًا أمارات الإجهاد الجلية على وجهه فلم يُمهله كثيرًا من الوقت وشرع في إنهاء الأمر برمته.

بعد أن صار عيسى شابًا نبيًا جاءت رسالته لبني إسرائيل لتهدّهم وتبعدهم عن الشريك الذي أصابهم والفساد الذي لحق بهم جوار الرومان المسيطرين على بقعة أرض بيت المقدس وبالطبع أخبرهم خلال ذلك بأنّه نبيّ مُرسَل من الله وليس إله أو ابن إله، ولكنه واجه تصديًا عظيمًا من بني إسرائيل ورفضًا تامًا لدعوته برغم كونه النبي المُخلص الذين دعوا به الله مرارًا ولربما كان ذلك الرفض لعيسى بن مريم لأنه جاء في صورة بشري “قديس” وحاول تخليصهم من شرورهم، ولم يظهر في صورة ملك يُعيد إليهم سلطانهم الدنيوي، فأكروه واضطهدوه، وحتى الآن وهم يَنتظرون المسيح المُخلص في صورة ملكٍ من نسل داود، يُخلصهم من الاستعباد والتشوّت وتلك هي النبوءات التي يعيشون عليها ويطمحون إلى مستقبلها اليوم...

بالطبع وبرغم وجود عدد كبير من الكارهين له آمن به الحواريون وصاروا أتباعًا مخلصين وكان لعيسى معجزات كثيرة جدًا عظيمة الشأن لا تقلّ عن معجزات سليمان عليه السلام مثل إبراء الأكمه والأبرص والنفخ في الطين كهيئة الطير فيصبح طيرًا حقيقيًا وإحياء الموتى وكل ذلك بإذن الله بكل تأكيد وكانت تلك المعجزات مواكبة لفترته مع قومه الذين برعوا للغاية في علوم الطب.. بالطبع معجزات مبهرة بل إنّه

كان يُخبر قومه بما يأكلون ويدخرون داخل بيوتهم!!

أخذ أتباعه من الحواريين يسيرون معه في كافة البلدان ويدعون إلى عبادة الله جواره ويشدون من أزره على الصعاب التي يُلاقها وقد انتشرت دعوته بالفعل حتّى جاء يوم أخبرهم النبي عيسى أن يصوموا 30 يومًا ليسألوا الله بعد الصيام فيعطيهما ما يسألوه فامتثلوا لذلك الأمر، ولكن مع انتهاء اليوم الثلاثين طلبوا منه أمرًا عجيبيًا وهو أن يُنزل عليهم الله مائدة من السماء

ليروا بها معجزة بينة ويتيقنوا منه فتصير تلك المائدة دليلاً على نبوته وحبتهم واليوم الذي تنزل فيه ستصير عيداً لهم، مع اندهاش سيدنا عيسى من ذلك الطلب ورفضه في بادئ الأمر، ولكن ومع إصرار قومه بكى وتضرع إلى الله ودعاه بتلك المائدة فاستجاب له ذلك وتوعد أن من يُشرك منهم بعد ذلك فسيأتيه عذابٌ لم يصب به أحدٌ من قبل، وبالفعل أتى اليوم الموعود ورفع الجمع رؤوسهم للأعلى فإذا بهم يرون مائدة في السماء تحملها الملائكة كما حدث من قبل مع تابوت العهد في عصر جالوت، المائدة كانت بين سحابتين وأخذت تدنو من سيدنا عيسى رويداً رويداً وكلُّما دنت كان يدعو الله أن تكون مائدة رحمة لا نقمة حتَّى صارت بين يديه وكانت مائدة عظيمة يأكل منها آخر القوم وأولهم ومن معجزتها أن طعامها لا ينفد وأنَّها طعاماً ينزل عليهم حيث نزلوا بمعنى أنَّها تنزل عليهم في كل موطن ومكان.. وحينها أمرهم عيسى النبي ألا يدخروا من أكل المائدة أو يحملوا بعضه إلى بيوتهم لكنهم وللأسف وبعد مدة عصوا ذلك الأمر!!

من كفر بالمائدة تم مسخهم إلى قرده وخنازير مثل أصحاب السبت وأصابهم عذابٌ عظيم... خرجت تلك الكلمات من العين فجاءت صارمة تُدمي القلب.

استمر الحال على تلك الشاكلة إلى أن صار عُمر سيدنا عيسى تقريباً 33 عاماً وحينها وعندما رأى الأحرار وكهنة بني إسرائيل تجمع عدد كبير من البشر حوله وانتشار دعوته، صاروا يكيدون له المكائد ويحاولون التخلص منه، وعندما فشلت مُحاولاتهم التمسوا طريقاً آخر وذهبوا إلى الملك الروماني في البلاط والذي يسطو على أرض بيت المقدس، وأخبروه بدعوى الحرص عليه بأن هنالك رجلاً يقول على نفسه نبي، وهو في السر يُخطط لانقلاب ضده لإزاحته عن الحكم وأنَّه يُحرض على تمرد ضد روما، الذين كانوا لا يرحمون في قمع المعارضة السياسية عبر الصلب، حتى الرومان أنفسهم اعتقدوا أن الصلب كان بربرياً، وبالفعل انطلقت الخدعة على الملك الذي أصابه الحنق الشديد، وعلى الفور أرسل جنوده ليتخلصوا من النبي عيسى فتوجهوا إلى بقعة بيت المقدس وحينها كان معه اثنا عشر شخصاً من الحواريين، وهنا أوحى الله لنبيه عيسى بأنَّه سيتم رفعه إلى السماء وهو حيٌّ ليُبعث هناك دون أن يمسه سوء، وهنا تدخلت العين مُجدداً قائلة:

- قبل ذكر أحداث النهاية هنالك قصتان مختلفتٌ عليهما، الأكثر شيوعاً أقرب إلى الصدق هي أن من أخبر جنود ملك الرومان عن مكان عيسى هو أحد الحواريين أنفسهم وقد خانه جرأء النقود والسلطة ويُقال بأنَّه يُدعى، "يهودا الأسخريوطي" ولكن وب معية الله لنبيه انشقَّ سقف الغرفة ليصعد جسم عيسى الشريف إلى السماء بسرعةٍ ومعجزةٍ إلهية لا تقل عمًا حدث خلال مولده وحياته وجرأء خيانة ذلك ال "يهودا" ألقى الله بقدرته على وجهه تغيرات فصار شبيهاً

لعيسى عليه السلام دون أن يقدر على الكشف عن نفسه وبمجرد رؤيته من طرف الجنود قبضوا عليه وقاموا بصلبه أمام العامة وأعلى عامود خشبي منصوب وقد شُبه إليهم ولكن ما أدخل الشك في قلوب بعضهم حينذاك هو تصرف النبي المُشبه لهم حيث كان يصرخ مستميتاً متمسكاً بالدنيا وهو أمر لا يفعله عيسى الحقيقي!! وبذلك انتهت حقبة هامة من التاريخ ولم يعرف أحدهم بأنها لم تكن النهاية بل ستكون مؤقت لبداية عظمة أخرى...،

هنالك قصة ثانية تحدثت عن أنه لم يخن أحد الحواريين عيسى بل تطوع أحدهم لأن يتشبه به ويُصلب محلّه وجرّاء ذلك يُجاوره في الآخرة، فتطوع ذلك الرجل غير المعروف اسمه -حتّى لنا نحن قبائل الجان-، لتلك المهمة الشاقة وصعد عيسى بجسمه الطاهر إلى السماء حيّاً ليجلس أعلاها منتظراً بقية قصته.

يحيى النبي الآخر أيضاً بن خالة عيسى والذي كان شاباً جواره لم يسلم من بطشهم فبسبب فتاة أرادها الملك لنفسه والتي كانت تميل ليحيى ورفض بالطبع خوفاً من الله، وضعت شرطاً للزواج من ملك بني إسرائيل أن يأتئها برأس النبي للزواج منه وبعد تردد كبير فعل ما أرادت فقطعوا رأسه الشريفه وقدموها لها قرباناً بغية الزواج من الملك!

بعد تلك الأحداث العصبية انقلب عليهم ملك الروم فأراد قتلهم جميعاً لما استنبط تجاههم من غدر وعصيان، ليقرر بنو إسرائيل جُلهم الرحيل عن أرض بيت المقدس، تلك الأرض المباركة التي سكنوها طوال قرونٍ مديدة فلم يكونوا أهلاً لها وإنما مرتحلين بعضهم صالح ومنهم الأنبياء وأكثرهم فاسد وضال، نعم هجروا الأرض ورحلوا إلى أوروبا حينذاك وكان هذا هو التفرق الأول لهم فلم يكونوا عصابة كما اعتادوا من قبل وعبر دهرٍ طويلٍ من الزمن فصار حالهم هو التشتت في الأرض وهنا مفترق الطرق..

قبل طرد هؤلاء القوم كانوا عبارة عن مملكتين أحدهما في الشمال تُدعى "إسرائيل" والأخرى في الجنوب وتُدعى "يهودا" وكانت يهودا تلك الأكثر تعصباً وتمسكاً بالأرض فمنهم الحاخامات ومُحرفين الألواح وهم حجر الأساس نحو كيان اليوم المعتدي القاطن في أرض فلسطين وبعدهما تمّت تفرقتهم على يد الرومان وتدمير هيكلهم إلى الأبد، هاجروا أرض البيت المقدس وتوجهوا إلى أوروبا منتظرين كالمعتاد النجاة القادمة عن طريق نبي آخر يخرج من صلبهم ويوحدهم للظفر بكل شيء ولكن!!!

هنا حدث ما لم يتوقعه المُدلسون منهم فكان آخر الأنبياء وكما ذكر لهم نبي الله عيسى ولم يُصدقوه، بعيداً عن نسل إسحق بن إبراهيم عليهما السلام، بل كان من نسل إسماعيل عليه السلام أو كما يُطلقون عليه "أبا العرب" فوُلد الرسول الكريم (محمد بن عبدالله) داخل شبه

الجزيرة العربية وفي ذلك حكمة من الله لأنَّ أهل تلك المنطقة لم يحتكوا بالصراعات الناشئة داخل مصر، بابل وأرض بيت المقدس بل كانوا يعلمون عنها فقط فلم تتلوث أيديهم بشيء، خرج مُحمد الرسول عن ذرية بني إسرائيل ففي يوم مولده رأى الجان توهجًا في السماء وشعر القاصي والداني بنبأ عظيم ولم يكن هم فقط بل ورجال الدين المُخلصين من اليهود فقد كُتِبَ عندهم أيضًا بأنَّ خاتم الأنبياء من العرب وشواهد يوم ميلاده التي عرفوها تباغًا، لذلك وبكل تأكيد يمقتون نسل المُسلمين أجمع إلى اليوم ويكيّدون لهم الويلات لأجل رسولهم وكونه خاتم الأنبياء..

كيف يكون خاتم الأنبياء خارج سلالة لاوي، خارج بني إسرائيل!! فكانت عداوة يهود يثرب للرسول والصحابة خفية تطغى في شرّها عن عداوة كُفّار قريش حينذاك.

مرّت فترة الرسول وصحابته جلية بالأحداث والصعاب والتي سنأخذ منها حديثين يخصان أرض المسجد الأقصى وهما رحلة "الإسراء والمعراج" والتي أُسري فيها بالرسول من مكة إلى القدس في لحظات وهو يمتطي البُرّاق ليؤم جميع الأنبياء داخل ساحة المسجد الأقصى وبعدها عُرِجَ به صوب السماء حتّى وصل إلى "سدرة المنتهى" عند عرش الرحمن.

الحدث الثاني هو أنّه وبعد فاة الرسول فُتِحَت أرض بيت المقدس على يد الصحابي (عمر بن الخطّاب) بجيشٍ أَعده الرسول سلفًا لذلك الفتح المُبين وهو ما يُوضح أهمية المسجد الأقصى للمسلمين أجمع إنسهم والجان منهم عن بكرة أبيهم..

بعد سنواتٍ عظيمة للإسلام وتحديدًا مع بداية القرن الثامن عشر تشكّل لليهود المتفرقين في أوروبا مُسمى آخر ألا وهو "العائلات" فلم يصيروا قبائل كما السابق بل عائلات كُثر متفرقة عبر مُحيط أوروبا بأكمله، ألمانيا، إيطاليا، أسبانيا بعددٍ قليل، بريطانيا وفرنسا وغيره، كانوا الأكثر براعة في جني الأموال وهذه صفة مكتسبة منذ خروجهم مع موسى قديمًا، فمع اقتناص فرصة الذهب الوفير الذي خرجوا به وأيضًا حنكتهم التجارية صار لهم شأن كبير وسط مُجتمع الرأسمالية أو بالأحرى بداية تكوينه وبدأوا بتشكيل ذرية مُتعددة الأفراد واعتنق بعضٌ منهم المسيحية ظاهرًا ولكن أصولهم وولاءهم كان للأصل القديم وخطتهم الكُبرى في الرجوع مُجددًا لأرض الميعاد، استمر الوضع الراهن كما هو، هدوء تام والجميع ينعم بالاستقرار ولكن قبيلة "يهودا" لم تنسَ أبدًا ما حدث لها وما يحتويه كتابهم المُقدس المُحرف عن كونهم في انتظار المُخلص الذي سيمكّنهم من حُكم الأرض أجمعين والقضاء على أي عقيدة أُخرى وبالتأكيد دين الإسلام أولها فهم وبزعمهم القوم الأحق فقط بالأنبياء وبدأ تجمعهم مرةً أُخرى في نهاية القرن الثامن عشر وبالتحديد في مدينة "بازل" بسويسرا وأقروا هناك بحتمية وجود دولة موحدة لهم، وبالطبع كانت نظرتهم الأولى إلى الأرض الطاهرة والتي يظنون بأنَّ

المُخلص قادمٌ من مكانٍ قريبٍ منها، الأرض التي تحوي هيكلًا مزعومًا تم تدميره ألا وهي أرض بيت المقدس، فنجح اليهود والذين هم من أصل مملكة يهوذا في التأثير على البقية بزعم كون الأرض ملكهم منذ فجر التاريخ وأشاعوا زورًا وبهتانًا كونهم أول من عاشوا بجانب الأقصى وأن أنبياءهم وخصيصًا داوود وسليمان هم من بنوا المسجد كاملاً مُتناسين الحقيقة وأن هؤلاء الأنبياء قاموا برفع القواعد وتوسيع رقعته فقط، أخذوا يشيعون في قلب كل يهودي يتحتم عليهم الوصول إلى المسجد الأقصى من أجل الظفر بهيكل سليمان وقُدس الأقداس ومع مجيء المُخلص سيحكمون كما كانوا من قبل ولكن قابلتهم مشكلة ألا وهي أن أصحاب الأرض منذ القَدَم عرب فلسطين ماكنون بها فانتظروا قليلاً ريثما تحين الفرصة المواتية ومن ذلك الانتظار ظهر مصطلح شهير وهنا كانت بداية لفظ “الصهاينة” والذي لم يتقبله بعض اليهود الآخرين وانشقوا عنهم رافضين بشئى الطرق تلك الخطط من أجل الرجوع والدخول في متاهات لا صدق لها.

عام 1901م اجتمعوا مرةً أخرى من كل صوبٍ وحذب، صهاينة أوروبا الشرقية وروسيا ليُلاقوا السلطان العثماني (عبد الحميد الثاني)

في ذلك الوقت في بداية القرن التاسع عشر كانت الدولة العثمانية هي من تُسيطر على خلافة المسلمين وبالطبع من ضمن نطاق حكمهم أرض بيت المقدس، خلال أواخر فترتهم عانوا من تشتت وديون متراكمة نحو بلاد الغرب، لكن وبالتأكيد كانوا قوة كبيرة وذات شأن.

اجتمع هؤلاء مع السلطان العثماني وطلبوا منه أن يُتيح لهم امتلاك أراضي في بيت المقدس بحُجة الماضي والأصل في مقابل أن يدفعوا جميع الديون التي على الدولة العثمانية ويُخلصونهم منها...

ارتعد البشري وهو يتذكر ما يحدث الآن ويتوافق مع تلك النغمة..

بالطبع كان هنالك ضغوطات كبيرة وقاسية على السلطان عبد الحميد للموافقة حتّى من مُستشاريه، ولكنه وبكل جرأة وحزم رفض بشكل تام حدوث ذلك وانتهى الأمر مؤقتًا ليأتي حدثٌ آخر يقلب الموازين ألا وهو الحرب العالمية الأولى.. الحرب كانت بين، إيطاليا، بريطانيا، فرنسا وروسيا ضد ألمانيا، بلغاريا النمسا وللأسف الدولة العثمانية.

لا شكَّ بأنَّ الدولة العثمانية عريقة ولكن في تلك الفترة كان لها سقطات وعداءات مع العرب فمع دخول الحرب العالمية الأولى اضطرت إلى جعل العرب في جيشها والبدء بالحدث الذي سيهز العالم أجمع.

كان يحكم مصر في ذلك الوقت (محمد علي) والذي كان طاغية بالمعنى الحرفي فبرغم إنجازاته الكبيرة إلا أنه قهر الأهالي واستعبدهم بل وكسر شوكتهم حتى الهرم الأكبر أراد تدميره ليستخدم حجراته في بناء القناطر الخيرية لولا منعه من قبل مُستشاريه.

لأحلام محمد علي التوسعية كان هنالك خللٌ بينه وبين الدولة العثمانية فساند بريطانيا ضدّهم وما يهم هو أن الدولة العثمانية هُزمت مع الألمان وخرجت من أرض العرب ولكن.. بريطانيا وفرنسا كانتا من جانب الطرف الفائز وبخسة الغرب حدث أمرٌ عظيم كان السبب الأكبر فيما نعيشه اليوم ألا وهو "وعد بلفور" في عام 1917م أي قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى بعام واحدٍ فقط، قام وزير خارجية بريطانيا (بلفور) بإخبار أحد قادة الصهاينة بأن الحرب شارفت على النهاية وبأنه سيُعطيه الحق في الرجوع إلى أرض بيت المقدس هو والبقية أجمعين فكان وعد "من لا يملك إلى من لا يستحق" وبالفعل في عام 1918م احتلت بريطانيا أرض بيت المقدس "فلسطين" وبدأت في تهجير الصهاينة صوبها تبعاً، وبدأ زيف التاريخ الذي تم ترسيخه في الأذهان من الإعلام الغربي وللأسف بعض العرب ألا وهو أن الفلسطينيين هم من باعوا أرضهم!!!

الحقيقة أنّ هذا الكلام زور وبُهتان ولم يحدث قط بل كان غرضه تثبيط الهمم في الدفاع عنهم وأيضاً لمنع لوم النفس، الحقيقة هي أنّه وفي عام 1918م بدأ تهجير الصهاينة تدريجياً إلى أرض بيت المقدس واستطاعوا التستر عن هويّاتهم وشراء بعض البيوت والمنازل بغرض العيش فقط من أهلها وبأثمانٍ عالية وبرغم جميع تلك المُغريات وعدم معرفة الأهالي بهم تملّكوا فقط 2.5 % من مساحة فلسطين ويا للعجب ولتلك المعلومة الهامة هو أنّه ومنذ ذلك التاريخ وحتى عام 1948م تملّك الصهاينة فقط 5.2% من المساحة الكلية أي شيء لا يُذكر حتى جاءت نهاية الحرب العالمية الثانية 1944م...

انتهت الحرب العالمية الثانية وصارت أمريكا سيدة العالم ومعه جاء وعدّها بإقامة كيان الاحتلال، ولكن قبلها ما حدث هو أن الصهاينة حازوا أسلحة متقدمة واستطاعوا بها تعذيب أهل فلسطين في بيت المقدس بشتّى الطرق وهجّروهم عن بيوتهم قصرًا دون أن يحميهم أحد وبالطبع تم تعتيم الأمر أو تحويره كما يحدث اليوم في وسائل إعلامهم وترون أمام أعينكم، ولذلك وبتلك الطرق كافة قامت دولة "إسرائيل" لتكون مثل الشوكة في حلق الشرق الأوسط بأكمله عامّةً، وأهل فلسطين الأبيّة خاصةً واستمر الأمر حتى اليوم.

بعد هذه الأحداث العصبية وكشف حقائق الأمور عبر سرد الماضي السحيق باغتتنا العين بسؤالٍ خاص مفاده كيفية التفرقة بين المسجد الأقصى ومسجد "قبة الصخرة" الذي يُروج له اليهود كونه الأقصى على كل بقعة وحال؟

نظر البشري إلى العين مباشرةً وقال بصوتٍ ثابت:

- في البداية دعني أقول لك ملحوظة صغيرة، ألا وهي أنّ شروط المسجد ثلاثة: حدود، أرض وقبلة، فمساحة المسجد الأقصى كبيرة جدًا تصل إلى 144000 متر مربع، وهي مساحة تتسع إلى نصف مليون مُصلي!! تمتلئ ساحته بالأشجار، المآذن، المدارس والعديد من المعالم التاريخية.. لذا كل تلك المساحة تُمثل المسجد الأقصى المبارك بما فيها معلّمان في غاية الأهمية وهما مسجد "قبة الصخرة" ذو القبة الذهبية والذي بناه (عبد الملك بن مروان) الخليفة الأموي وقام بتزيينه في أبهى صورة و "المسجد القبلي" ذو القبة الرصاصية أو الجامع القبلي والذي يقع في جنوب المسجد الأقصى وهو قبلة المسلمين الأولى لذا الجواب على هذا السؤال أنّ مسجد قبة الصخرة جزء من المسجد الأقصى وتتبقى نقطة هامة وهي لماذا إن كتبنا اسم المسجد الأقصى في مُحركات البحث تظهر لنا صور قبة الصخرة فقط، هذه نقطة هامة من ابتداعها هم الصهاينة، وبعد أن أريتنا حقائق التاريخ الحقيقي استنتجت الأمر، مع اندثار العلم لدى العرب وانشغال الكثير منهم باللهو تناسى الكثيرون الحقيقة وحدود الأقصى فنجحوا في جعل القبة الذهبية هي الصورة العالقة بالأذهان وذلك لأمرين في غاية الخطورة، الأول هو وحسب مُخططهم أن ينتهكوا جزءًا من حُرمة ذلك المسجد فإن فعلوا ذلك بعيدًا عن مساحة القبة الذهبية ظنّ العرب بأنهم بعيدون عن الأقصى، والسبب الآخر هو أنّهم ما زالوا يعتقدون بأنّ هيكل سليمان قابع أسفل باحة الأقصى، ولذلك يسهل عليهم الحفر واستخراجه دون أن يتدخل العرب فهم يحفرون بعيدًا عن القبة الذهبية وبالطبع استخراج الهيكل وكما ذكرت أنت هو مسألة عقائدية لهم منذ عصر سيدنا موسى عليه السلام فداخله يوجد تابوت العهد وقُدس الأقداس ومتى كانت تلك الأشياء معهم كان لهم النصر الحتمي كما في الماضي، ولكن وبالطبع لن يتحقق مُرادهم أبدًا...

انتهت وأخيرًا حقبة هامة من التاريخ عرفنا خلالها الحقيقة الكاملة وأنّ التاريخ القديم دراسته والبحث وراءه أمرٌ حتمي ليس رفاهية لمعرفة سرائر الحاضر وما نعيشه اليوم، فما فائدة الحياة بتلك الشاكلة وقد باتت حياة بهيمية دون وعي وهذا ليس من الدين في شيء!

لاحظت العين العرق المتفصد على جبين البشري وعينيه اللتين كستها الدماء، جحظت لتسأله عمّا إن كان بخير فما كان منه سوى الإشارة بوجود الخروج من ذلك العالم والرجوع مُجددًا نحو رمال الصحراء على أرض الواقع الحقيقي فقد استنزف جُلّ روحه لاستقبال كافة تلك المعلومات وبها اكتسب ما أراد بل وأكثر...

طاقةً هائلة تسحبني للخارج ومعها رأيت الومضات كافة وهي توازي بعضها البعض مُجمعة كأنّها إحياء بما مررنا به من أحداث.

بداية خلق الجان على الأرض، دعوة سوميا، الحرب الكبّرى وظهور عزازيل صغير الجان، نزول الملائكة ثم صعود عزازيل للسماء، خلق آدم والعصيان الأكبر لإبليس والهبوط إلى الأرض لتبدأ معها قصة الأقدمين، حضارة البشر الأولى وما بها من تطور وازدهار عكس ما تم ترويجه لنا عن قصص أهل الكهف والبدائية، قابيل وهابيل، قوم شيث وهجرة إدريس نحو مصر ثم طوفان نوح العظيم، تتابع الأنبياء وملوك الأرض الأربعة ورحلة المسيح الدجال الخطرة، أتباعه وبقية المخلوقات مثل يأجوج ومأجوج ثم النهاية وحقائق المسجد الأقصى والذي سيكون الراية والنهاية لكل متجبر أو مُعادٍ لله ورسله، تشكلت الدموع على مقلتي العين لتلك الأحداث العظيمة التي مررنا بها ومعها انقشعت الومضات بضوءٍ متوهج للغاية وانتهى كل شيء...

غادرت وأخيرًا تلك الرحلة الشاقة ومعها رأيتُ جسم البشري وهو قابِعُ أعلى الرمال جوار التمثال الأكبر، يدثره الغطاء الذي جلبه في مرحلة استيقاظ سابقة، اشتدَّ المطر وباتت المياه غزيرة تآبى الانحسار، فتح الشاب عينيه مُتثاقلاً وأصدر آهاتاً تنم عن وهنٍ شديد، أمسك جزءاً من التمثال ليُعينه على النهوض وهو ينفس الهواء مُتسارعاً إلى أن وقف أخيراً بعدما استجمع قواه، تحسس الرسمة الدائرية بسبّابته والتي دثرت نصف وجهه الأيسر فإذا به ينتفض لشعوره بأنّها احترقت جرّاء استقبالها هذا الكم المفرط من الطاقة المنبعثة من الرمال وعلى الفور، نظر إلى ساعته عجيبة الشكل وأصابه الفزع لرؤية الأرقام عليها وهي تُشير جُلّها إلى ثلاثة أرقام فقط من الأعلى وثلاثة في المنتصف.

في الأعلى كانت الأرقام هي: "3، 6، 9" وفي المنتصف شهد صفاً آخر من الأرقام مفاده، "6 6 6" ليُشهر صوته في اتّجاه الفراغ وهو يُخبره:

- لقد عرف مكاننا أخيراً وبات على مقربةٍ منّا لذا يتحتم عليك المغادرة.

فُبيل ذلك استطعت النفاذ إلى عقله لأسمع أفكاره الحاليه والتي كانت:

"لقد فهمت الآن لعبة التاريخ الأكبر والعين الضخمة التي شهدناها عند كل موطنٍ للضلالة، لقد دوّنت كل شيء داخل ذاكرتي؛ فالعين الأولى ظهرت في مشهد قتل قابيل وهابيل وقد تلون بالأحمر، الثانية ظهرت عند المساهمة في تفشي المعازف والفجور داخل قوم قابيل وتلونت بالبرتقالي، الثالثة عند أول حادثة شريكٍ بالله في قوم نوح وتلونت باللون الأصفر، الرابعة عند أول حادثة زنا بين قوم قابيل وشيث وتلونت بالبنفسجي، الخامسة كانت عند موطنٍ سحر النمرود وكهف العين وتلونت بالأزرق، عند تجميع كافة تلك الخيوط سأعرف حقيقة ما يحدث

معنا اليوم وما هو الرابط بين الألوان التي نشهدها أمامنا مجتمعة وبين المؤامرات الخفية ومن المُتحكم بها”.

توارد أفكاره مُرعبٌ بحق، ولكن ما أفرغني وأوقف كل شيء هو صوت العين التي رافقتنا طيلة تلك الفترة فجاء صوتها هادراً من اللامكان فقد شهدت موقع قدمها على الرمال:

- أشعر أيضاً باقترابه منّا ولست مؤهلاً الآن لمُحاربته، قد ساعدتك في حصد المعرفة وما زال للحديث بقية فهناك الكثير من الغموض ينبغي عليك كشفه لتجني المعرفة الكاملة وبها لن يقف أمامك أحد.

ابتسم البشري وهو ينظر حوله مُتعباً ليقول:

- صحراء سيفار، أكبر لغز على أرض الجزائر الأبية الأرض التي كافحت العدو الغربي وتحررت منه، رمالها أسفل قدمي باردة للغاية وحتماً سنكشف أسرار وحقيقة هذه الصحراء، ولكن قد نفذ الوقت فلتذهب الآن.

غادر الشاب رقعة الصخور وما تحمله من طاقة ثمّ أزاح غطاء الرأس الخاص به ليكشف عن وجهه جلياً، وقد ابتسم صوب إحدى البقاع التي وبالتأكيد يقف عليها من جاوره والذي يُحادثه طيلة تلك المدة ومعها جاء صوت الكيان ثابتاً:

- الآن أستطيع مُناداة اسمك دون حذر بعدما امتلكت سرائر الكون، وداعاً يا (سعفان) سأذهب إلى جبل توبقال وأنتظر مجيئك فأياك أن يُصيبك مكروه.

أزاح سعفان قدماً تلو الأخرى ليعبر الصخرتين الكبيرتين وعلى مرمى بصره شهد كياناً آخر متوجهاً صوبه وقد امتلأ بالظلمة وطاقة لم أشهد مثلها من قبل، تفوق العين جوارنا بكثير، طاقة قادرة على سحق الجميع، أثناء مسيره قال بصوتٍ أجش:

- وداعاً يا (شمهروش) رفيقي العزيز أحد أقدم ملوك الجان.

اضمحل وجود شمهروش أخيراً، وكان هو الرفيق الخفي منذ البداية طيلة تلك الرحلة الشاقة لأصعق برؤيتي لسعفان وقد نظر صوبي، اعتقدت في بادئ الأمر بأنها مصادفة، ولكن حديثه القادم أصاب قلبي بالصاعقة، مقلناه كانتا مثل الذئب وهو يُوجههما نحوي ويقول:

- وأنتِ أيضاً يا أمنية، كفاكِ ما شهدته معنا فأنا أعلم وجودك منذ شرعنا خلال هذه الرحلة، والآن سأطردك من عقلي وأقضي على حضورك هنا فلا حاجة لمعرفة ما سيحدث بعد حين..

تسارعت نبضات قلبي فلم أقدر على تقبُّل فكرة أنّ سَعْفان قد فطنَ لي منذ البداية وقد أخفيت وجودي جيّدًا، أردتُ أن أصاحبه لأعلم ما سيُلاقِيه من أهوال، لم يُمهني الوقت لفعل شيء لألحظ جزءًا من ذراعِهِ وقد ازدان بالرسومات والأرقام وها هي طاقة عظيمة تتولد من جسمه تُطِيح بمقدرتي على الصمود أكثر، تعالت صرخاتي وأنا أعود إلى غرفتي مُجددًا وقُبيل ذلك سمعت صوته وهو يتوجه صوب الكيان المظلم الذي سيُحاربه:

- مرحبًا بك مُجددًا يا قُصي...

تمّت بحمد الله...

شكر خاص

إلى لجنة قراءة العمل الذين أفنوا وقتهم للغوص عبر طيّات التاريخ السحيق:

دكتور إبراهيم هاشم

ياسر القاضي

مريم جمال

د. سليم حسن

د. سمر قاسم